جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

معهد الترجمة

النظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب وعلاقتها بالترجمة:

دراسة تحليلية ونقدية لكتاب الترجمة والإمبراطورية(Translation and Empire) لدوغلاس روبنسون (Douglas Robinson) بترجمة ثائر ديب

مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة

تخصص عربية-إنجليزية -عربية

من إعداد الطالب: محمد ياسين بلقندوز **تحت إشراف الدكتور: محمد الصالح بكوش**

لجنة المناقشة:

د. جمال بوتشاشة رئيسا

د. محمد الصالح بكوش مقررا

أ. د. وحيد بن بوعزيز عضوا

السنة الجامعية

جوان 2015

إهـــــداء

إلى والديَّ الغاليين أطال الله عمرهما على عمل صالح،

وإلى كل أفراد عائلتي لقاء التشجيع والمودة والتفهم،

وإلى كل أصدقائي محمد وحميد ويوسف ومصطفى وسعيد،

وإلى لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل، راجيا من الله عز وجل أن يثيبه خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

محمد ياسين بلقندوز

2015/05/02

مقدمة

لقد شاع أن يختزل البعض صورة الترجمة بوصفها مجرد فعل جمالي لغوي، ينحصر في التكافؤ اللساني وإيجاد المقابلات، وفي مدِّ جسور التواصل بين الثقافات والحضارات والأمم المختلفة، بحيث كانت الترجمة ولا تزال مَعْبرا تمرُّ عليه صنوف العلوم والآداب، وتمتزج فيه إبداعات البشر لتولِّد التلاقح الحضاري الضروري بين الشعوب عن طريق الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير.

ولقد كانت نظريات الترجمة لفترة طويلة تتجاهل الفكرة القائلة بأن الترجمة لها صلة ما بالسياسة، باعتبارها مجرد نقل لغوي جانبي .ولذلك لم يَتَنَاول النقد الثقافي والأدبي العلاقة بين الكولونيالية والترجمة حتى عهد قريب، أي بعد ظهور نظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية التي اكتشفتْ أن فِعْل الترجمة يقع في سلسلة معقدة ومتشابكة من الأنظمة الثقافية والسياسية والأيديولوجية، فهو ينطوي على الدوام على شيء أكبر من النقل اللساني، كونه نشاط غير محايد وموضوعي.

وقد يعتقد المرء أن الكولونيالية حركة سياسية بحتة، بل أن أفكارها وأيديولوجيتها باتت متسللة إلى شتى جوانب الثقافة والفنون والعلوم، إذ لا تكون السيطرة على الشعوب تامة إلا بالاستيلاء على العقول والأنفس، ولا يكون هذا إلا بالتوغل في عوالم الأيديولوجيا والأدب واللغة والترجمة.

ولهذا شرع مؤخرا منظرو الترجمة يتساءلون عن المفهوم التقليدي المتعلق بشفافية الترجمة وبراءتها، بعد إدراكهم أن صعوبات عملية نقل النصوص، ولا سيما الأدبية منها، من نظام لساني إلى آخر تعود إلى التفاعلات الثقافية التي تقع عبر الحدود اللغوية والسياسية، وأصبحت بذلك العلاقة بين الاحتلال والترجمة محل تمحيص . وقد ظهر في الآونة الأخيرة اهتمام كبير بالترجمة ضمن دراسات ما بعد

الكولونيالية، فقد أدرك منظرو هذا التيار الفكري أن الثقافة تُنقل بواسطة اللغة التي تحمل في طياتها رموزا حضارية ومؤشرات ثقافية خاصة بمحيطها .ونتيجة لذلك، أصبحت الترجمة ذات أهمية كبيرة في مجال دراستهم. ومع ذلك، تبقى نظرية ما بعد الكولونيالية موضوعا حديث النشأة، بحيث لم تتناوله بعدُ الدراسات النقدية بكثرة في الجامعات العربية أو الجزائرية على حدٍّ سواء. وقد قررنا اختيار هذه النظرية كونها تسمح بقراءة ما بين سطور الماضي وكشف خبايا وألغاز البشرية وتمسح الغبار عن المسكوت عنه في صفحات التاريخ، ولا سيما تاريخ دول ما يسمى بـ"العالم الثالث "والوطن العربي بشكل أخص .

وقد يتيح لنا هذا البحث في الترجمة تتبع تساؤلات واستفسارات ومحاولة الإجابة عنها، وملامسة شتى جوانب نظرية ما بعد الكولونيالية بهدف الاستفادة منها في قراءة التاريخ بشكل مغاير .وكهدف أكاديمي، نود القيام بهذا العمل لأننا نتطلع مستقبلا إلى التخصص في دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية الأدبية .

إن خصوصية هذه الدراسة تتمثل، فيما يبدو لنا، في كونها دراسة جديدة تتناول نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية من خلال كتاب تحليلي ومقارن ونقدي الموسوم بـ "الترجمة والامبراطورية ."وهو من أهم المؤلفات التي ظهرت مؤخرا والتي تعالج قضية ارتباط دراسات الترجمة بنظريات ما بعد الكولونيالية من جوانب أدبية وثقافية وسياسية وتاريخية وإيديولوجية، بحيث يستقصي هذا الكتاب طبيعة العلاقة التي تصل الترجمة بالحركات الكولونيالية في العالم.

كما يناقش هذا الكتاب الطرائق الملائمة لترجمة نصوص ما بعد كولونيالية في إطار سياسة تصفية الكولونيالية. وقد قام بتأليف هدا العمل دوغلاس روبنسون (Douglas Robinson)، وهو باحث أكاديمي ومترجم وروائي أمريكي، اشتهر

بأعماله في دراسات الترجمة والأدب. وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية المترجم السوري ثائر ديب، وهو رئيس تحرير مجلة" جسور "الفصلية التي تعنى بالترجمة ودراساتها.

وعلى ضوء ما سبق، جاءت إشكالية البحث على النحو الآتي :

ما النظرية ما بعد الكولونيالية وما طبيعة العلاقة التي تربطها بدراسات الترجمة؟

أو بشكل آخر، أين تتضح هذه العلاقة بشكل أكثر جلاء؟ وما علاقة الاحتلال بالترجمة؟ وبأي صورة كانت الترجمة قناة للإمبراطورية ؟ وما هي النتائج السياسية والأيديولوجية التي يمكن أنْ تشكلها الترجمة؟ وكيف يمكن أن تستعمل الترجمة كوسيلة للمقاومة ومجابهة هيمنة سياسة القطب الواحد وتقويض الفكر الكولونيالي؟

وعن هذه الإشكالية يتفرع سؤال أساسي وهو ما الاستراتيجيات أو الأساليب الأنسب لترجمة كتابات ما بعد الكولونيالية؟

لن يكتمل هذا البحث إلا بالتطرق إلى بعض الفرضيات والتساؤلات التي تطرحها نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية، فمثلا هل ينبغي الأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنصوص عند الترجمة أم يكفي فقط إيجاد المكافئات اللغوية بغض النظر عن الأنظمة السياسية والثقافية والاجتماعية والتاريخية المحيطة بهذه النصوص؟ وما مدى ارتباط اللغات بالثقافات؟ وأين يتضح عدم التوازن في العلاقة بين اللغات؟ وما مدى هيمنة اللغات الكولونيالية؟ وما مفهوم النظرية ما بعد الكولونيالية وما هي أسسها وأهدافها ؟ وهل هي فعلا قادرة على تفكيك ظاهرة الاحتلال كما تدّعي؟ وما صلتها بالاستشراق؟ وبأي شكل استعملت الترجمة كأداة للاحتلال والهيمنة على ثقافات أخرى؟ وكيف تغدو الترجمة وسيلة لإحلال الحوار والتبادل

بين الثقافات؟ كيف تستعمل الترجمة كأداة فعالة في تفكيك الفكر الكولونيالي؟ وكيف يتم ترجمة كتابات ما بعد الكولونيالية؟ وما هي الاستراتيجية الواجب اتباعها ؟ وأيهما أفضل التوطين أم التغريب؟

إن هذه الدراسة تسعى إلى مناقشة مجموعة من المسائل الجوهرية التي شغلت مفكري ومؤرخي ما بعد الكولونيالية في محاولاتهم لإبراز العلاقة بين دراسات الترجمة ونظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب. ومن أجل إيضاح طبيعة هذه العلاقة، سنستهل بحثنا بتقديم عرض أولي للموضوع مع إعطاء الأسباب التي استندنا إليها لاختيار المدونة كمحور دراسة، ونقوم بطرح الإشكالية التي ننطلق منها والفرضيات التي تصاحبها، وبعد ذلك نتناول الدراسة النظرية والتطبيقية التي تقودنا إلى الإجابة عن أسئلة الفرضيات.

ومن أجل الإلمام بنواحي العلاقة التي تصل دراسات الترجمة بنظرية ما بعد الكولونيالية، ستضم المذكرة شقين رئيسين نظري وتطبيقي، نستهلها بمدخل نقَدِّم فيه تعريفا لنظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية وشتى أبعادها . وسنركز في الفصل الأول على تبيان علاقة الاحتلال بالأدب الروائي، ونستكشف مدى تورط الترجمة في الأيدولوجيا الكولونيالية، وكذا سبل تفكيك ظاهرة الكولونيالية الثقافية من خلال الترجمة، ونطرق باب الترجمة آداب شعوب" الجنوب "ما بعد الكولونيالية إلى لغات "الشمال "ونقارن بين إستراتيجيتي التوطين والتغريب.

أما الجانب التطبيقي، فهو يضم فصلين، بحيث سنخصص الفصل الثاني في المذكرة لدراسة المدونة والتعريف بكاتبها ومترجمها، وسنتبع في هدا الصدد المنهج الوصفي والتحليلي، بحيث سنقوم بمسح ووصف للنظريات التي جاءت بها

وتحليلها، ونستخلص النظريات التي توضح العلاقة بين الترجمة والفعل الكولونيالي، واكتشاف الطريقة الأنسب لترجمة نصوص ما بعد الكولونيالية.

ويكون الفصل الثالث مخصصا لتقويم الترجمة العربية لمدونتنا مقارنة بالنص الإنجليزي، بعد أن نقوم بتحليل ترجمة المدونة ونقارنها بالأصل، ونقوم بتقويمها من خلال استخراج الترجمات القابلة للنقاش التي وردت فيها، ونستكشف الأسلوب الذي اختاره المترجم في ترجمته لهذا الكتاب باعتباره من كتابات ما بعد الكولونيالية التي تتناول مسألة الترجمة ما بعد الكولونيالية، ونرى ما مدى أخد المترجم في الحسبان عدم تكافؤ القوى بين اللغات في عالم معاصر يتجه نحو تقليص الهوة بين الثقافات،محاولا صهرها داخل الثقافة الغربية الواحدة على حساب ثقافات الأمم الأخرى، ولا سيما الثقافة العربية.

وعلى غرار أي بحث علمي، فقد صادفتنا بعض الصعوبات وهي تتعلق خاصة بحداثة الموضوع في حقل الترجمة، فدراسات ما بعد الكولونيالية لم يتم تناولها في الجزائر أو في باقي الدول العربية بشكل كاف، سواء في مجال الأدب أو في ميدان الترجمة. وهي لا تزال تخصصا حديث النشأة نسبيا. ولهذا يعود سبب قلة المراجع والدراسات العربية التي تتناول نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية. ومن بين الكتب والأعمال التي استفدنا منها كثيرا في إنجاز هذا البحث، نذكر، كتاب" في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية "لأنيا لومبا ، و"في نظرية الترجمة "لإدوين غينتسلر، و"دراسات الترجمة "لسوزان باسنيت، و"تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية "لجمال الدين الشيال، و"المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية " لمحمد العربي ولد خليفة، و"دليل الناقد الأدبي "لميجان الرويلي وسعد البازعي و"الثقافة والامبريالية "لإدوارد سعيد. وسنختتم البحث بعرض خلاصة للنتائج التي سنتوصل إليها في هذه الدراسة .وسيتم إرفاق البحث بالردود التي تلقيناها من

مؤلف المدونة باللغة الإنكليزية، بالإضافة إلى مسرد المصطلحات الواردة في المدونة، نظرا لأهميتها في هذا البحث، مرتبة ترتيبا أبجديا في اللغة الإنكليزية . فضلا عن مسرد للمصطلحات التي تناولنها في البحث، رتبناها حسب الأبجدية في اللغة الإنكليزية، بالإضافة إلى مصادر ومراجع البحث وفهرس للموضوعات .

وفي الأخير، نتقدم بتشكراتنا الخالصة إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد الصالح بكوش على إشرافه على البحث ونصائحه القيمة ومتابعته لكل تفاصيله . ونوجه امتناننا الكبير كذلك إلى الأساتذة حياة أم السعد ووحيد بن بوعزيز ومحمد الزين شوقي على دعمهم لي ونصائحهم ووقتهم الثمين، وكل الأساتذة الذين أناروا لنا طريق العلم. والحمد لله حمدا كثيرا على توفيقه ومّنه بتيسير إنجاز هذا العمل.

مدخل

إن الترجمة هي فن قديم لجأ إليه الإنسان ليتواصل مع جاره الذي يخالفه في اللسان، وليتمكن من التعرُّفِ على ما تزخر به حضارته وثقافته، فيأخذ منها ما يفيده ويروي عطشه المعرفي، وليكتشف الخلف ما بلغه السلف عن طريق الترجمة التي تُعَدُّ بنتا للحضارة ورفيقتها في كل مكان وزمان، فهي النافذة التي تطل بها الأمم لتستضيء بنور غيرها[1]. بيد أن الترجمة كانت تعتبر ولعدة قرون مجرد عملية لغوية اشتقاقية فترددت الأوساط الأكاديمية في احتضانها كعلم قائم بذاته، فأدرجته كنشاط هامشي ضمن التخصصات الفكرية وأُهملت دراستها كمنهج مستقل.

غير أن تحديات العولمة العصرية زادت في الحاجة إلى القيام بالترجمة لدورها التواصلي والحضاري، بعد أن اتسع نطاق الترجمة ونما حقلها، فهي من أهم روافد الثقافة ومنابعها، وكل منهما يخدم الأخر ويُكمِّله. فليس من العجيب اعتبار التعطش إلى التعرف على ثقافة الآخرين من أهم البواعث إلى الترجمة، بحيث تزداد أهميتها بتزايد انفتاح الشعوب على بعضها البعض عن طريق الترجمة التي باتت سبيلا إلى الاطلاع على المستجدات والتطورات في العلوم والفنون والأدب.

ولذلك أصبح البحث في هذا النشاط يراعي الخلفيات الثقافية للنصوص، مما فتح للباحثين آفاقا واسعة في دراستها وانفتحت أمامهم نوافذ رحبة على حقول معرفية كانت في الماضي القريب لا تربطها صلة جلية بدراسات الترجمة، كدراسات ما بعد الكولونيالية التي أعادت تعريف معاني الثقافة واللغة والترجمة والآداب والعلوم والمجتمع والسياسة، وقَلَبَتْ موازين التفكير عندما حطّمت المُسَلَّمات وقوَّضت البديهيات وقامت بكشف المخبوء والمستور في أنساق التفكير وأشكال التسلط والهيمنة. ولهذا تكون دراسات ما بعد الكولونيالية ركيزة محورية في

[1] – سالم العيسى، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات إتحاد العرب، دمشق، 1999، ص 10.

هذا البحث، إذ تنطلق منها جُلُّ التعاريف الاصطلاحية والمفاهيم الفكرية والنظريات الترجمية، لأن معالجة مسألة شائكة مثل هذه الدراسات تفرض علينا التطرق قدر المستطاع إلى معظم جوانبها النقدية واتجاهاتها الفكرية والسياسية التي ترصد التحولات الاجتماعية التي شهدها العالم، ولا سيما انتشار الامبريالية الأوروبية إبان القرنين التاسع عشر والعشرين التي اكتسحت جُلَّ أراضي المعمورة وجعلت منها مسرحا فسيحا لممارسة استعلاءها، ومنبعا غنيا يبعث ثوراتها الاقتصادية والرأسمالية، بعد أن نهبت ثرواتها وطمست هوياتها ودنست ثقافاتها.

ولم تكتف بفعل ذلك سياسيا فحسب، بل راحت تختلق الحجج لتبرير أفعالها، وتستنجد بشتى الطرائق لتَدَّعي أنها حاملة لرسالة حضارية تسعى إلى إنقاذ "الآخر من نفسه" وطبيعته المتخلفة. وعلى الرغم من أن التحولات الجذرية التي صاحبت الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى انتشار الوعي القومي لدى الشعوب بوحدة قضيتها العادلة وضرورة انتصارها وتعجيل إفتكاك استقلالها من بين فكي أوروبا الغازية التي لم ترحل إلا بعد أن دَسّت روحها في ثنايا هذه المجتمعات وخفايا تاريخها وخبايا هويتها، فجعلتها تابعة عمياء طائعة لها في كل الأصعدة تحت غطاء أساليب وصيغ هي أدهى وأمرّ من التواجد العسكري الفعلي، فصارت القيم الغربية أصلية والقيم الأصلية غريبة دخيلة.

وكان رفض هذا الإرث الجديد السبب الرئيس في انبثاق النواة الأولى لأبحاث نقدية تتناول بالدرس مخلفات الإمبراطورية الأوروبية في العالم، وتقوم بتحليل خطاب الغرب السياسي وإنتاجه الأدبي وكذا أدبيات البلدان التي احتلتها سابقا ومخزونها الثقافي، يطلق على هذه الدراسات تسمية "ما بعد الكولونيالية" التي تبلورت كخطاب نقدي ضروري في عصر العولمة والمواجهة بين الحضارات، بحيث فقدت الثقافة الأوروبية هيمنتها المعهودة، وآن الأوان لسماع أراء وتصورات الآخر الغريب القاصي.

وعليه، سنخصص هذا المدخل لمعالجة أبعاد النظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب ومختلف جوانبها، بحيث سنحاول أولا توضيح الفروقات المعنوية لبعض المصطلحات المهمة التي تدور في فلكها كالاحتلال والامبريالية والكولونيالية. ثم سنحاول تحديد مفهومها وتقديم تعريف للخطاب ما بعد الكولونيالي. ونتناول ثانيا أهداف ومقاصد النظرية ما بعد الكولونيالية فضلا عن الأسس النقدية. أما العنصر الموالي فسيكون نبذة عن مساهمات أقطاب هذه النظرية وأرائهم على اختلاف خلفياتهم الثقافية.

وبعد ذلك سنسعى إلى تقديم مفهوم عن الخطاب بصفة عامة والخطاب الكولونيالي بصفة خاصة، ونبرز الفرق بين مصطلحي الخطاب الكولونيالي والنظرية ما بعد الكولونيالية، وندعم ذلك بتقديم نموذج عن الخطاب الكولونيالي ألا هو "الاستشراق" بحيث سنقوم بتحديد معناه وبيان مكانته في المشروع الامبريالي الأوروبي، وكذا حقول المعرفة التي شاركت في تشكيله وإعلاء كلمته على مرِّ الزمن.

ومن ثم نكشف عن الوجه الأخر غير المعروف للاستشراق، فنخص بالذكر بعض المستشرقين الذين نقضوا الفكر الغربي التمركزي ودافعوا عن الموضوعية العلمية في نظرتهم للعالم الذي يعيش خارج دائرة الغرب. وبطبيعة الحال وللضرورة العلمية، سنحاول في الأخير تقديم نقد للنظرية وذلك بذكر بعض هفواتها وكبواتها، ونستكشف مدى نجاحها في مجابهة الفكر الكولونيالي وتفكيكها للخطابات الأيديولوجية الغربية وتقويض أنساق السلطة وإعطاء الجهات الصامتة المهضوم حقها في الكلام والتعبير عن نفسها والاحتفاء بفنها وأدبها وثقافتها.

أولا: النظرية ما بعد الكولونيالية: المصطلح والمفهوم

سنتطرق في هذا القسم إلى تقديم تعريف لما بعد الكولونيالية اصطلاحا.

1- المصطلح

إن الحديث عن ما بعد الكولونيالية يتطلب أولا تحديد الفروق الدلالية بين بعض المصطلحات كالاحتلال والامبريالية التي تعني نظاما اقتصاديا يعتمد على الاختراق والسيطرة على الأسواق لضمان اليد العاملة دون الحاجة إلى سيطرة سياسية مباشرة. أما الاحتلال فيقصد به سلب الأراضي والاستيلاء على المصادر المادية واستغلال العمال والتدخل بالبنى السياسية الثقافية لأرض أو أمة أخرى.

ويمكن للامبريالية العمل دون دول محتلة رسميا لكن الاحتلال لا يستطيع ذلك[1]. أما الشيء الذي جعل مفهوم مصطلح ما بعد الكولونيالية أمرا معقدا أكثر فهو البادئة "ما بعد"، التي تفترض انقضاء الكولونيالية، فإذا ما كانت أشكال جور الحكم الاحتلالي لم تمح بعدُ فربّما يكون من السابق لأوانه إعلان زواله، فيمكن لبلد ما أن تكون في حيز ما بعد كولونيالية (أي أنها مستقلة رسميا)، وضمن كولونيالية جديدة كونها لا تزال في نفس الوقت تابعة اقتصاديا وثقافيا[2].

وهذا ما يجعل مصطلح ما بعد الكولونيالية يثير الجدل والنقاش في الدوائر الأكاديمية. ومن الضروري أيضا تسليط الضوء على بعض المصطلحات الانجليزية التي يتم الخلط بينها مثل **(Colonization)** و **(Colonialism)** **(Coloniality)** بحيث يُراد بالكلمة الأولى الاحتلال العسكري والثانية بالهيمنة الاقتصادية والايديولوجية والثقافية.

---

[1] – أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، 2007، ص ص. 21–22.

[2] – المرجع نفسه، ص. 22.

أما الكلمة الأخيرة فتعني احتلال أوروبا العنيف للشعوب غير الغربية والتحكم في ثقافاتها. وهكذا تكون كلمتي**(Postcoloniality)** و**(Postcolonialism)** هي دراسة وتحليل الإرث الثقافي الكولونيالي للشعوب التي كانت تحت نير الاحتلال وأشكال مقاومتها للحفاظ على هويتها.

وفي هذا السياق، يذهب بعض الباحثين أن هناك اختلاف بين مصطلح **(Postcolonialism)** بدون واصلة ومصطلح **(Post-Colonialism)** بالواصلة (-)، ذلك أن المصطلح الأول يستعمل للدلالة على الملامح الخاصة بثقافة المحتلّ منذ غزوها إلى الآن، في حين أن الثاني يشير إلى الفترة التي تلي الاستقلال. ولكن لا يمكن عدُّ مرحلة ما بعد الكولونيالية رديفا لما بعد الاستقلال، باعتبار أن الدول المحتلة سابقا لم تحرز إلا استقلالا سياسيا من خلال إنشاء هيكل الدولة ولم تتخلص من تبعات الاحتلال على جل الأصعدة الاقتصادية والثقافية واللغوية. وبذلك يكون المصطلح **(PostColonialism)** الأكثر استخداما في حقل نظرية ما بعد الكولونيالية.

2- المفهوم

إن مصطلح "ما بعد الكولونيالية" هو من أكثر أحد المصطلحات المستعملة في الما بَعْدِيات (ما بعد البنيوية، ما بعد الحداثة)، إذ نراه يتنقل بين فضاءات الفكر والمعرفة ذهابا وإيابا من الدراسات الثقافية إلى العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد والفلسفة وعلم اللغة والأنثربولوجيا والتاريخ ;إلى النقد الأدبي.

ولعلّ نظرية ما بعد الكولونيالية تقف اليوم في طليعة الدراسات النقدية والفكرية والتاريخية التي تلاقي قبولا عاما في كل مكان بعد أن باتت نقطة تقاطع مختلف الحقول المعرفية بحيث دخلت الخطاب النقدي في نهاية السبعينيات وبداية

الثمانينيات ثم توسعت في سائر أنحاء العالم، فشملت دراسات الجندر والمرأة والجنوسة والأعراق والتاريخ والهوية والمقاومة والأقليات وأساليب الهيمنة الثقافية.

ويمكن القول أن النظرية ها تعود إلى بداية حركة الكولونيالية ذاتها فهي تحاول العثور على القواسم المشتركة بين شعوب العالم الثالث المستقلة في مقاومتها للاحتلال والصراع الحضاري والتعالي في استعمال مصطلح "الشمال ضد الجنوب"، والنظرة الاستعلائية الأوروبية والمركزية الغربية في مجملها، وما تركه الاحتلال من آثار على ثقافاتها ومجتمعاتها، فهي لم تتخلص من آثار الغزو سواء كانت ثقافية أو لغوية أو اقتصادية أو عسكرية أو كل ذلك مجتمعا، فمعظمها لا يزال خاضعا ثقافيا واقتصاديا للأمم الكبرى عبر أشكال حديثة من الاحتلال والغزو والاخضاع.

إنّ النظرية ما بعد الكولونيالية هي مجموعة من القضايا العالمية تتعلق بالتحرر وبالمواقف المنقحة تجاه التاريخ والثقافة، وكان من أَشدِّها بروزا البحث النقدي المنتظم والمُنَاهِض للمركزية الأوروبية ونظام السلطة الأبوية[1].

وتتناول الدراسات الكولونيالية جملة من الأفكار الثورية العلمية وتستعير من نظريات التحرر والتحليل التاريخي والثقافي لمواجهة المركزية الغربية وامبرياليتها وهيمنتها. وتشير النظرية إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاحتلال التقليدي قد انتهى وكذا الخطاب الكولونيالي المتصل به، وأن مرحلة من الهيمنة (تسمى المرحلة الإمبريالية أو الكولونيالية) قد حَلَّت وولَّدتْ ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا دقيقا وتركيزا للبحث في ملامح مرحلة ما بعد الاحتلال، غير أن البعض

[1] – إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، تذييل طبعة 1995، ، دار رؤية، القاهرة، 2006، ص. 530.

يرى أن الخطاب الكولونيالي ما يزال قائما وأن فرضية "الما بعدية" لا مبرر لها[1]، ولذلك لا ينبغي أن تُفهم نظرية ما بعد الكولونيالية بالمعنى التاريخي.

وقد تم اقتراح أنه من الأجدى التفكير بها ليس على أنها حرفيا تالية للاحتلال ودالة على زواله، بل بمرونة أكبر على أنها الطعن بالسيطرة الكولونيالية وتركات الاحتلال[2]، فهي رؤية لنقد الاحتلال ونقض طروحاته وتداعياته إلى ما بعد الاستقلال الوطني، وهي تنطوي على محاولة استعادة الهوامش الضائعة من الخطاب الكولونيالي الرسمي والعلمي والسياسي، فضلا عن إعادة إلى سطح التاريخ والذاكرة أساليب ومظاهر مقاومة الأهالي لوضعهم المتخلف لحظة مقاومتهم للاحتلال ذاته[3].

بمعنى آخر، إن رؤية ما بعد الكولونيالية ومنهجها يساعدان فعلا على كشف الحقائق وتفسيرها، فقد سمحت بكشف قارات كاملة وكامنة في ثقافات الشعوب التي مثَّلتْ المحيط في العقل المركز الأوروبي، وساهمت بدورها في تذليل الحوائل وتضييق الشروخ الحضارية التي اتسعت بين الشمال والجنوب، وصار بالإمكان الحديث عن حضارة إنسانية بأصوات متعددة، أي الكل بإمكانه التكلم[4]، فهي تتيح المجال الفسيح للثقافات التي عاشت مطولا على هامش التاريخ للتعريف بأنماط عيشها وآدابها دون أن تشعر بمركب النقص الذي زرعته فيها القوى الامبريالية.

---

[1] - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002، ص. 158.

[2] – أنيا لومبا، مرجع سابق، ص.27.

[3] – نور الدين ثنيو، قراءة وكتابة تاريخ الاستعمار في لحظة ما بعد الكولونيالية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 33، الجزائر، 2012، ص. 60.

[4] – المرجع نفسه، ص.62.

وهكذا، تتقصى النظرية ما بعد الكولونيالية الأثر الثقافي للغزو الأوروبي على المجتمعات وطبيعة استجابتها وأثر اللغات الأوروبية عليها، وكذلك تأثيرات العلوم الأخرى كالتاريخ والفلسفة وطبيعة والتعليم الكولونيالي وسياقاته، وكذا الروابط بين المعرفة الغربية والسلطة الكولونيالية، وهي قضايا تتعلق باستجابات المحتلين، والصراع على التمثيل الذاتي[1].

ثانيا: مقاصدها وأسسها النقدية

إنَّ النظرية ما بعد الكولونيالية هي في الواقع قراءة للفكر الغربي في تعامله مع الشرق، أو فكر الأمم المتحضرة في الشمال في نظرتها إلى دول الجنوب النامية من خلال مقاربة نقدية بأبعادها المتعددة الثقافية منها والسياسية والاقتصادية والتاريخية.

ويعد صلب موضوع النظرية الأدبية لما بعد الكولونيالية ومحور اهتمامها هو محاولة تفكيك العقل الغربي وإثبات قيامه على قواعد واهية تدّعي العقلانية والأفضلية ودحض أرائه العنصرية ومقولاته الشوفينية الكولونيالية، من خلال الكشف عن أنساق التسلط والهيمنة في آدابه وثقافته ، وإبراز مزايا ثقافة وآداب الآخر وخلخلة السرديات الكبرى التي حكمت عليه بالانحطاط وطمست هويته.

ويَكْمُن هدف نظرية ما بعد الكولونيالية الرئيس في إعطاء الأمم التي عانت التهميش لعدة قرون الإمكانية للإدلاء بأصواتها والتعبير عن نفسها والاحتفاء بموروثها الثقافي عن طريق نشر نتاجها الأدبي وبالتالي إفساح الفضاء لأصوات عديدة أخرستها الإيديولوجيات المهيمنة سابقا مطولا.

[1] – عمر كوش، إدوارد سعيد ومفارقة الهوية، ط1، دار الشرق للطباعة، سوريا، 2006، ص. 290.

وعلى هذا المنوال، تحيل النظرية أيضا إلى الثقافات التي تأثرت بالامبريالية منذ البداية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، كما تَدْرُس كل أشكال الحياة الثقافية في المجال المحلِّي التي سيطر عليها المركز الغربي، وحين تعذر عليه تدميرها قام بتحريفها عن مسارها الأصلي.

وتكشف النظرية أن الآداب الأوروبية التي نشأت في ظل الإمبراطوريات والحقبة الكولونيالية قد اكتسبت شرعيتها بقوة السلطة والهيمنة وليس بفضل خصائصها الجمالية الرفيعة، وهي نتاج النخبة المثقفة التي تمنح ولاءها وتأييدها للامبريالية، وهي بذلك قاصرة عن تمثيل ثقافة البلدان التي تحتلها بكل موضوعية لأن هذا لا يخدم مصالح أوطانها الاستيطانية.

ولهذا تشكِّل هذه الآداب مختبرا مثاليا لتقصّي هذه الصيرورة ما بعد الكولونيالية ودراستها بالقدر الذي تتم فيه مساءلة الفكر الامبريالي الذي خلق هذه الآداب ودحض أوجهها المتعددة. كما أتاحت التحولات السياسية والثقافية في العالم ما بعد الكولونيالي ونمو الوعي القومي والثقافي، المجال لإنتاج أعمال فكرية ومؤلفات أدبية مميزة تقوم بالرد على هذه الآداب، نابعة من التهجين ومناهضة لأنساق الفكر الأوروبي والإبداع الغربي، وناقدة لنزعة التمركز العِرْقِي والثقافي للآداب والنظريات الجمالية الأوربية، محاولة تقويض الأفكار النمطية السائدة عن الشعوب الأخرى.

ولهذا تدعو أن دراسات الما بعد الكولونيالية إلى استرداد آداب الشعوب غير الغربية والاحتفاء بها وإعادة توزيعها وتفسيرها ليس من أجل تعديل وجهة النظر المتصلة بالثقافة الأوروبية فحسب، بل كجزء من عملية تفكيك الاحتلال[1]، فهي

[1] – أنيا لومبا، مرجع سابق، ص. 101.

تهتم بفترة سيطرة القوى الأوروبية وبعدها وتأثيرها على الآداب المعاصرة للشعوب الأخرى في أفريقيا واستراليا والهند وآسيا وكندا وأمريكا اللاتينية وأمريكا الوسطى، وحتى أمريكا باعتبارها كانت محتلة في السابق من قبل الإمبراطورية البريطانية. إنَّ ما يجمع بين هذه الآداب ما بعد الكولونيالية هو مميزاتها الثقافية وخصائصها الإقليمية وسماتها اللسانية التي ظهرت بشكلها الحالي في أعقاب انحصار المركز الإمبريالي. ويبقى على أية حال الهدف الرئيس من هذه النظرية هو معاينة ومجابهة ما تبقى من أثار الاحتلال على الثقافات، وهي لا تنبش الذاكرة محاولة تصحيح هفوات الماضي وكبواته عبثا ولكنها تسعى إلى قلب صفحة الماضي وإيجاد أرضية تفاهم بين الحضارات المتصارعة، فهناك إدراك أن مؤشرات حقبة الكولونيالية لا تزال قوى فاعلة لهذا اليوم.

إن الحداثة إنما عبَّرت في ذاتها عن ظاهرة كولونيالية، لهذا فإن غرض الدراسات ما بعد الكولونيالية هو محاولة نزع القطبية عن المركزية الأوروبية ونقد ثقافة الكولونيالية ذاتها[1]. ولقد طرحت نظرية ما بعد الكولونيالية جملة من الإشكاليات الجوهرية والقضايا التي تتعرض لعلاقة الأنا بالآخر، وعلاقة الهامش بالمركز، وعلاقة الغازي بالشعوب المحتلة، وهي تعتمد في قيامها بذلك على مرتكزات بشكل متكامل ومترابط يؤسس مناهجها النقدية والفكرية ولا سيما في ميدان الدراسات الثقافية والتحليل التاريخي ومجال النقد الأدبي المتمثلة في فهم ثنائية الشرق والغرب، ومواجهة التغريب، وتفكيك الخطاب الكولونيالي، والدفاع عن الهويات القومية، وإبراز علاقة الأنا بالآخر، والدعوة إلى علم الاستغراب، وتوفير المقاومة المادية والثقافية والنقد الذاتي، وغربة المنفى والتعددية الثقافية[2].

---

[1] – آمال علاوشيش، مجموعة مؤلفين، خطابات الـ"ما بعد" في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2013، ص. 58.

[2] – جميل حمداوي، نظرية ما بعد الاستعمار

ثالثا: أهم روادها

إذا كانت النظرية ما بعد الكولونيالية قد عرفت النور في المشهد الثقافي الجامعي للدول الغربية وخاصة أمريكا، فإن روادها هم مجموعة من الكُتَّاب والنقَّاد الذين ينتمون إلى الأقليات المهاجرة من الدول التي سبق احتلالها، ولم يكتف هؤلاء بمجابهة الغرب ونقد خطابه فحسب، بل سعوا إلى نقد ذواتهم. ولقد سطعت أسماء باحثين يطلق عليهم تسمية "الثالوث المقدّس" للنظرية وهم سعيد وسبيفاك وبابا. ولكننا سنبدأ مع فرانز فانون كونه من الأوائل الذين ناهضوا الفكر الكولونيالي الأوروبي في كل مكان، مما جعله قدوة احتذى بها المفكرون الذين جاؤوا بعده.

1- فرانز فانون(Frantz Fanon) (1925-1962)

ارتبط فانون بالنظرية مع أنه كان طبيبا نفسيا، لأنه طرح قضايا تقع في صميم النظرية على غرار عقدة القابلية للاحتلال، ووضّح جليا في أعماله الأدبية آثار التهميش العرقي والعنف الكولونيالي. وانتقل إلى البليدة في الجزائر عام 1953 ليفهم في الميدان أثار الكولونيالية على الأشخاص، وقدرات المقاومة الشعبية[1].

2- إدوارد سعيد (Edward Said) (1935-2003)

يعتبر إدوارد سعيد المؤسس الحقيقي للنظرية ما بعد الكولونيالية بفضل نظرياته الرائدة في ميادين النقد والدراسات الثقافية، بحيث اهتم كثيرا باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة في المؤسسات المركزية الغربية، وذلك عبر تحليل الخطاب الاستشراقي، ويبدو أنه كان متأثرا في ذلك بمنهجية ديريدا، وفوكو[2]،

---

http://www.alukah.net/publications_competitions/0/39097/، 10/06/2014، 17:22

[1] - Frantz Fanon, Les Damnés de la Terre, ENAG, Alger, 2011, p.8.

[2] - ميشال فوكو (Michel Foucault) 1926 - 1984 فيلسوف فرنسي ومفكر الحداثة وما بعد الحداثة.

وغرامشي[1]. ويُعدُّ كتابه "**الاستشراق**" أحد الأعمال التأسيسية الأولى في حقل النظرية، لأنه يحوي انتقادات للخطاب الاستشراقي، وتعمّق في دراسة ظاهرة الاحتلال. ونعتقد أن لا أحدا يرفض النتيجة التي خلص إليها، وهي أن الغرب رسم للشرق صورة مزيفة وظل متمسكا بها بغرض الاستعلاء والهيمنة[2].

3-**غاياتري شاكرافورتي سبيفاك(Gayatri Chakravorty Spivak)** (1942)

هي رائدة من رواد النظرية الثقافية المعاصرة وناقدة أدبية هندية تُعدُّ أول منظرة نسوية فعلية في حقبة ما بعد الكولونيالية، وعرفت الشهرة بفضل ترجمتها وتقديمها لكتاب دريدا تحت عنوان "علم الكتابة"* وخاصة مقالها "هل يمكن للتابع أن يتحدث؟"** أين تعاين تأثير الكولونيالية على علاقتنا بالأدب والثقافة. كما أنها تَحدَّت المناهج التقليدية في النقد الأدبي والفلسفة الأكاديمية بالتركيز على النصوص الثقافية للمهاجرين الجدد والطبقات الكادحة والنساء[3]، إذ ناقش كتابها " نقد العقل ما بعد الكولونيالي"*** كيف أن الفلسفة الميتافيزيقية الأوروبية تقوم بإقصاء غير الأوربيين من حديثها بصورة فاعلة.

4- **هومي بابا(Homi Bhabha) (1950)**

إن هومي باب هو منظر وناقد ثقافي هندي مهاجر في أمريكا وأستاذ الأدب الإنجليزي والفن في جامعة شيكاغو، وهو من أبرز المفكرين الذين حللوا الظواهر الثقافية في المجتمعات المعاصرة، وخاصة مسألة الهوية والهجنة ومعاملة ثقافات أخرى بطريقة سليمة والإفلات من أسر ثنائيات الشرق والغرب

---

[1] – أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci) 1891- 1937 فيلسوف إيطالي ومنظر سياسي ومناضل ماركسي.

[2] – الطيب صالح، مغيب الشمس (3)، نقلا عن كتاب إدوارد سعيد: طائر القدس المهاجر، ص. 228.

* - Jacques Derrida, De la grammatologie.

** - Gayatri Chakravorty Spivak, Can the Subaltern Speak? 1988.

[3] - Stephen Morton, Gayatri Chakravorty Spivak, Routledge, London and New York, 2003, p. 16.

*** - Gayatri Chakravorty Spivak, A Critique of Postcolonial Reason, 1999.

والذات والآخر، والسيد والعبد. وقد كرَّس جهوده الأخيرة في عمله الموسوم بموقع الثقافة"[1] لاستكشاف الموقع الثقافي البيني على الحدود ما بين الثقافات والأمم والهويات والعوالم، وهو فضاء جديد لا تكون فيه الهويات منسوبة إلى مميزات ثقافية معينة.

5- روبرت جي. سي. يونغ (Robert J.C Young) (1950)

هو مؤرخ وناقد ثقافي إنجليزي من الفاعلين في مجال النقد والأدب والتاريخ، ناقش في عمله الأكاديمي تحت عنوان" ميثولوجيات بيضاء: كتابة التاريخ والغرب"* أن الفلسفات الماركسية حول التاريخ التي تَدّعي أنها تواريخ عالمية، ما هي إلا كتابة من منظور مركزي أوروبي، فيذهب إلى أن ماركس* قد وجد مبرراً للاحتلال حين قال إن الاحتلال البريطاني للهند نتيجة إيجابية تتمثل في إدخال الهند في سياق التاريخ الغربي المتطور[2]. أما كتابه "ما بعد الكولونيالية: مقدمة موجزة جدا"[3]، فيحلل ويصف فيه التجربة ما بعد الكولونيالية للقارئ العادي انطلاقا من نماذج واقعية تركز على الجندر واللغة والهجانة.

كما لم تخلو الساحة النقدية العربية من مساهمات المثقفين الذين قاموا بتعرية المنظومة المعرفية الغربية وتفكيك مقولاتها وتقويض مقاصدها الإيديولوجية كأنوار عبد الملك وعبد الله العروي، وخاصة عبد الوهاب المسيري في

---

[1] - Homi Bhabha, Location of Culture, 1994.

* - Robert J. C. Young, White Mythologies: Writing History and the West, 1990.

* – كارل ماركس (Karl Marx) 1818– 1883 فيلسوف واقتصادي وعالم اجتماع ومؤرخ واشتراكي ثوري ألماني. ويحاول يونغ تقويض أسطورة التمركز الغربي والفكر الماركسي من خلال إعادة كتابة تاريخ الفكر الغربي، فالماركسية تجعل من الغرب مركزا للقيادة والعلم والمعرفة، وتتورط بذلك في الخطاب الكولونيالي.

[2] – الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي، ص. 159.

[3] - Robert J. C. Young, Postcolonialism: a Very Short Introduction, Oxford University Press, New York, 2003, p. 69.

* خصص يونغ الفصل الرابع عن الهجانة في الثقافة الجزائرية في سياق ما بعد كولونيالي، فاختار موسيقى "الراي" كمثال عن ممارسة ثقافية هجينة يقول إنها ألهمته كتابة غالبية هذا الكتاب كونها ظاهرة تثير الاهتمام.

كتابيه "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري وتصنيفي جديد"، و"الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة"، وكذا ترجمته لكتاب "الغرب والعالم* للمؤرخ الأمريكي كيفن رايلي الذي يبرز بعض أوجه التناقض في ثقافة الغرب، فيكشف عنها غطاء الامتياز والتفوق والعالمية الذي تدعيه. أما حسن حنفي فقد اقترح بديلا عن الاستشراق حيث يقول إن " الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، يهدف علم الاستغراب إذا إلى فكِّ العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الأخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس"[1].

رابعا: الاستشراق والخطاب الكولونيالي

يحيل الخطاب الكولونيالي إلى مجموعة النصوص الأدبية والثقافية والأنساق المعرفية والآراء والأفكار المؤدلجة التي تدرس الشرق أو الجنوب– كل حسب منظوره– رسميا وتساهم بذلك في عمل السلطة الاحتلالية. ويمثل هذا الخطاب كل منتجات المؤسسات والنصوص المكرسة لدراسة المجتمعات المحتلة، وهي أنماط المعرفة التي تستخدمها المراكز الامبريالية لنشر الاحتلال وتبريره واستعباد الآخر.

وعلى هذا المنوال، تُحوِّل هذه الخطابات الكولونيالية المعرفة إلى سلطة وقوة توجد في مدارات السياسة والإعلام والثقافة والأدب وغيرها في صيغة ثنائيات متضادة تُفضِّل الغرب على الشرق بشكل مباشر حينا وبشكل موارب حينا

* – Kevin Reilly, The West and the World: a History of Civilization, 1985.

[1] – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، منشورات مجد، بيروت، 2000، ص 23.

آخر، كثنائية المركز والهامش، والأنا والغير، والعلمانية والأصولية، والتقدم والتخلف، والشمال المادي والجنوب الروحي، وهلم جرا.

وباختصار، يشير مصطلح الخطاب الكولونيالي إلى فعل تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبِّر عن توجهات كولونيالية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكِّل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله الفيلسوف فوكو لمصطلح خطاب[1].

ولعل أوضح نموذج يمكنه الحديث بالنيابة عن الخطابات الكولونيالية هو الاستشراق. ويعرف قاموس أكسفورد المستشرق بالشخص الذي " تبحّر في لغات الشرق وآدابه"، وبصفة عامة يعد الاستشراق نشاط فكري نشأ في الغرب الأوروبي، اتخذ الشرق مادة وموضوعا، والدارس الذي يمارس هذا النوع من النشاط يسمى مستشرقا أي مشتغلا بدراسة آداب الشرق ولغاته وحضارته وكل ما يتصل بحياة شعوبه عبر العصور". فالمستشرقون هم أدباء الغرب وعلماؤه الذين أتقنوا اللغة العربية وبحثوا في الحضارة الإسلامية والتراث العربي وكل ما يتصل بالعروبة والإسلام، فالشرق يتجاوز لدى الغرب الإطار الجغرافي المعروف لأنه ينصرف في عرفهم إلى كل البلاد التي انتشر فيها الإسلام وتتواجد بها اللغة العربية.

وهكذا جاء الاستشراق كمشروع ثقافي غربي لحتمية لا مفر منها لعوامل تفاعلت وتعددت بين ثقافية ودينية وتاريخية واقتصادية وسياسية، كالاحتكاك مع العرب في الأندلس ثم الحروب الصليبية، حيث نشطت حركة الاستشراق مع انطلاق البعثات التبشيرية المسيحية وتعلم اللغات الشرقية بفتح مدارس للعربية.

[1] - الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي، ص. 158.

وعرفت هذه الحركة أوجها بمطلع القرن التاسع عشر عند توغل الامبريالية الأوروبية في البلاد العربية، فهي ليست مجرد منتوج معرفي، إنها أداة للتدخل وإعادة رسم الحدود والاستعباد، تقوم على قاعدة روديارد كيبلنغ[1] "الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا"[2]. وما يهمنا في الاستشراق هو خطابه الكولونيالي رديف نظام الهيمنة والإخضاع الذي من خلاله تغلب الغرب على الشرق بالاعتماد على وصمه بالصفات الذميمة كالشهوانية والبدائية والاستبدادية وتشويه صورته والإنقاص من قيمته وإساءة تمثيله، فهذا الشرقي الآخر التابع عاجز عن تمثيل نفسه، ولذلك فهو في حاجة إلى من يمثله وينقذه من همجيته وبربريته وظلاميته.

في حين نجد أن الخطاب الاستشراقي يمتدح حضارة الغرب ويصفها بالعقلانية والديمقراطية خاصة، وهذا ما خدم أغراض الهيمنة لإضفاء غطاء الشرعية على الإمبريالية، وإقناع العالم بضرورة ونبل تلك "الرسالة التحضيرية التي عادة ما يلحقها خطاب الاستشراق بالحركات الكولونيالية"[3].

واللافت للنظر أن علوم مختلفة وميادين معرفية متنوعة شاركت في تشكيل هذا الخطاب الايديولوجي الذي جعل من الشرق موضوعا له كفقه اللغة والأثنولوجيا والأنثربولوجيا والفلسفة والأدب، والقاسم المشترك بين هذه الخطابات هو النظرة الدونية إلى الشرق واعتباره كيانا متخلفا ثقافيا وحضاريا مما أدى إلى تكوين فكرة أيديولوجية فجة مفادها أنه على الغرب حمل مشعل النور والحرية لأولئك الشرقيين.

وربما يبدو غريبا أن ينخرط في هذا الخطاب فلاسفة وأدباء ورحالة كانوا يعتبرون في الأمس القريب من أشد المدافعين عن حرية الإنسان أمثال كارل

---

[1] – روديارد كيبلنغ Rudyard Kipling (1865 – 1936) كاتب وشاعر وقاص بريطاني.

[2] - Rudyard Kipling, The Ballad of East and West, 1889.

[3] - Mission Civilisatrice.

ماركس وألبير كامو[1]، لكن يجب ألا يفوتنا أن ننوه أن الكاتب أو المثقف ليس بكيان معزول منفصل عن مجتمعه، بل هو فكر تحدده البيئة الثقافية والسياسية التي ترعرع فيها.

واستنادا على ما سلف ذكره، لا يمكن أن يكون البحث عن المعرفة نزيها، كون العلاقة القائمة بين الثقافات هي غير متكافئة، ولأن المعرفة سواء تناولت اللغة، العادات والأديان لهذه الشعوب، فإنها دائما ما تستخدم لمصلحة الكولونيالية. فالاستشراق الغربي يمثل نوعا من التسلط الثقافي ويؤكد التفوق الأوروبي على الشرقي. إن الشرق كما يتصوره الغربيون ما هو إلا اختراع أو اختلاق لغوي وأيديولوجي لا صلة له بتاتا بالشرق الجغرافي الموجود موضوعيا في الواقع. وهنا تلتقي المعرفة بالقوة، أي أن قوة الغرب منحته فرصة اتخاذ الشرق كموضوع لدراساته وأبحاثه المعرفية لكن هذه المعرفة نفسها استغلت كغطاء أيديولوجي لممارسة الهيمنة والسلطة على الشرق ومرآة تعكس سلطة الغرب وشهوته الإمبريالية، معرفة تطورت جنبا إلى جنب مع توسيع الإمبراطوريات الكبرى الغربية في الوقت الراهن.

خامسا: تقويم النظرية

وبالرغم مما سلف ذكره عن الاستشراق، هناك جانب آخر منه يميل البعض إلى نسيانه وغض النظر عنه، جانب يعكس الوجه الآخر المشرق للغرب في نظرته للإسلام، نجح في الانفلات من قبضة المركزية الغربية للبحث عن الحقيقة خارج الأنساق الثقافية المسيحية. وللضرورة البحثية العلمية سنورد فيما يأتي بعض النماذج لمستشرقين تميزوا بالموضوعية في نظرتهم للشرق والغرب في الآن نفسه

[1] - ألبير كامو (Albert Camus) (1913-1960) فيلسوف وُجوديّ وكاتب مسرحي وروائي فرنسي.

وبانفتاحهم على الحضارات الأخرى: جاك بيرك[1]، وروجي كارودي[2]، وموريس بوكاي[3]، وأميل درمنغم[4]، وأنا ماري شيمل[5]، ومراد ويلفريد هوفمان[6]. ويهمنا أن نختم في قضية الاستشراق أن نشير بأنه بالرغم أن الغرب قرر التوقف عن استعمال هذا المصطلح، لما ينطويه من دلالات تاريخية سلبية، ولأنه لم يعد يفي بوصف الدارسين الموضوعيين للعالم الشرقي والإسلامي والعربي، بيد أن الخطاب الكولونيالي لا يزال متواصلا رغم تراجع الاستشراق الكلاسيكي–إذا أمكننا القول– لفائدة استشراق بعباءة مغايرة ومعاصرة ولاسيما في البلدان المحتلة سابقا.

---

[1] – جاك بيرك (Jacques Berque) 1910–1995 عالم الاجتماع الفرنسي الذي عاش بالجزائر (تيارت). خلّف الكثير من الأعمال أهمها ترجماته للقرآن الكريم الصادرة بباريس 1990، وكتاب "إعادة قراءة القرآن" 1993 بباريس لتقديم ترجمة لمعاني القرآن. واشتهر بولائه للعرب والإسلام وانتقاده لآليات الحكم الفرنسي.

[2] – روجي كارودي (Roger Garaudy) 1913– 2012 فيلسوف فرنسي ينفرد بمواقف موضوعية حول الحضارة الإسلامية، ويرى أن النهضة الأوروبية ليست حركة ثقافية فحسب، وإنما ميلاد الرأسمالية والكولونيالية المترادفتين. نقلا عن روجي كارودي، من أجل حوار الحضارات، ترجمة زقاق قرقوط، ط.1، دارالنفائس، بيروت، 1990، ص 11. نشر عدة مؤلفات منها: الإسلام دين المستقبل، المسجد مرآة الإسلام.

[3] – موريس بوكاي (Maurice Bucaille) 1920–1998 مفكر وطبيب فرنسي أصدر في مطلع الثمانينات مؤلف "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث" دحض فيه كل المقولات التي تشكك في مصداقية وصحة القرآن على عكس النصوص الدينية الأخرى حيث خلص أن القرآن يتضمن كثيرا من الحقائق التي أثبتها العلم اليوم. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، نقلا عن عماد الدين خليل، الوجه الآخر للغرب، ط.1، الرسالة، بيروت، 1997، ص.95..

[4] – أميل درمنغم (Emile Dermenghem) 1892 – 1971 مستشرق فرنسي اشتغل بدراسة الإسلام وحضارته، امتاز بالموضوعية، وعمل مديراً لمكتبة الجزائر. من آثاره كتاب "حياة محمد" عام 1929، يتناول السيرة النبوية بالتفصيل، وهو من أدق ما صنّفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب "محمد والسنة النبوية" 1955 بباريس. إميل درمنغم، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط.2، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949، ص.8.

[5] – أنا ماري شيمل (Annemarie Schimmel) 1922–2003 مستشرقة ألمانية مختصة في الدراسات الإسلامية، أحبت الحضارة التي انكبت على دراستها. في رصيدها حوالي ثمانين مؤلفاً وبلغات مختلفة، كتاب "محمد رسول الله" بالألمانية عام 1981، وكتاب "باكستان: قصر ذو ألف باب" عام 1965.

[6] – مراد ويلفريد هوفمان (Murad Wilfried Hofmann) 1931 مفكر ألماني انكب على البحث في ماهية الحضارة الإسلامية لتجاوز النظرة الغربية التي وضعت الإسلام في خانة العدو. عمل منذ الخمسينات في سفارة ألمانيا الإتحادية في الجزائر. تركّز اهتمامه على دراسة مكانة الإسلام في الغرب بعد أحداث 11 سبتمبر خصوصا. من أعماله: الإسلام كبديل، طريق فلسفي إلى الإسلام، يوميات مسلم ألماني، رحلة إلى مكة.

فإذا كنا نعتقد أن الواقع المعاصر قد تحرر من الكولونيالية التقليدية فإننا في واقع الأمر نلاحظ تناقضا نظريا وعمليا مع الواقع الدولي الراهن الذي لازالت تسوده الهيمنة واستباحة الأراضي والأعراض وضرب المعتقدات والقيم والتضحية بحقوق الإنسان[1]، فالهيمنة الامبريالية الأوروبية لا تزال مستمرة بأشكال غير مباشرة في كل أرجاء المعمورة والعالم العربي على سبيل الخصوص ومنذ حملة نابليون على مصر عام 1798، في صيغة أنساق ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، تزيد من نشر أفات التمييز العنصري والتهميش العرقي والديني.

ويعتبر معظم نقاد النظرية ما بعد الكولونيالية أن الأسس المعرفية والفكرية للخطاب الكولونيالي ما زالت حاضرة حتى يومنا هذا، فهم يؤكدون أن نوعًا معينًا من نظرية ما بعد الكولونيالية يمثل هو نفسه جزءًا من البنية الغربية القائمة على السيطرة والإخضاع، أي أنه نوع متواصل ومكرر من أنماط الكولونيالية، كون هذه النظرية نشأت وعرفت النور في الغرب بوسائله المعرفية وفي منظومته الأكاديمية.

إن محاولة زحزحة المركز تنبع من الفكر الأوروبي ذاته حيث توجد في المجتمعات الغربية منذ القديم أصوات مضادة ومناهضة للكولونيالية، وإن كان أصحاب هذه النظرية ينتمون إلى دول العالم الثالث التي عانت من الاحتلال، لذا لا يمكنها مجابهة الغرب ومحاربة مركزيته بوسائله المعرفية وأدواته النقدية والمنهجية وأسلحته العلمية الخاصة، وهذه من أشد الانتقادات التي تلقتها النظرية.

وفي هذا المضمار، يقول بعض الباحثين أن من ينقد الغرب يتأثر بما ينقده، وبالتالي يظل اجتهاده محدود، ويظل نقده مردودا إليه، لأنه ينقد الغرب

[1] – آمال علاوشيش، مجموعة مؤلفين، خطابات الـ"ما بعد" في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2013، ص. 54.

بآليات الغرب ومناهجه، ولولا الغرب ما أمكن نقد الغرب، ينقد الغرب بما تعلّمه من الغرب، ويظل الناقد غربيا وهو يظن أنه يتخلص منه، ويثبت غربيته، وهو يظن أنه يتحرر منه[1].

ويعارض بعض مثقفي ما بعد الكولونياليين قول أن النظرية ما بعد الكولونيالية هي شكل من أشكال ما بعد الحداثة والتحرر، بل يرى بأنها لا يمكنها تجنب أسس الفكر الغربي، وإن واجهته بالنقد والتحليل والتفكيك. وهذا لأن السلطة هنا لا تروض رعاياها عبر فرض القيود عليهم، فحسب، بل إنها تقرر لهم سلفا الوسائل التي بها يقاومون تلك القيود، وهذا واحد من النتائج التي وصل إليها فوكو، بحيث أثبت أن ما جرى اعتباره ثورة ضد السلطة لم يكن في حقيقته سوى واحدة من وسائل السلطة لترسيخ وجودها، وبه تتوسع السلطة وتتقوى[2].

ويذهب بعض نقاد النظرية ما بعد الكولونيالية الغربيين بأنها تفتقد إلى مشروع فكري واضح يحدد معالمها ومجالاتها، فهي تقع في مفترق طرق بين العديد من الميادين المعرفية التي تستعير منها الأفكار والمقولات كالتاريخ وعلم الاجتماع والسياسة والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا واللسانيات والثقافة والأدب والفن.

كما يتهمون الخطاب ما بعد الكولونيالي بتنميط صورة الغرب في كتاباته، وهم يرون أنه لا يقدم شيئا ولا يعطي حلولا، ولكنه يكتفي بتحميل الامبريالية الأوروبية المسؤولية الكاملة وراء أوضاع المعيشة المزرية التي تمر بها البلدان التي حققت استقلالها السياسي. علاوة على ذلك، ظهر لدى النظرية بعض الإشكالات والعوائق لتزايد اهتماماتها وتعالق مسائلها، مما ينجم عنه رؤية غير واضحة عن

---

[1] – حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب، دار رؤية، القاهرة، 2005، ص. 164.

[2] – عبد الله الغذّامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص. 46/45.

طبيعتها ومجال دراستها، ولم تقدر تبرر مشروعيتها في الفكر المعاصر ولم يتم تقبلها كليا من الكل خاصة في الأوساط السياسية، كونها تكشف عن المخبوء في الأدب والثقافة والسياسة وتفضح الإيديولوجيات الكولونيالية والامبريالية.

أصبحت الترجمة تحظى بالاهتمام والعناية داخل الدوائر الأكاديمية التي اعتبرتها أنفا مجرد فعل فني واشتقاقي ومحايد، لكن التحولات التاريخية والاجتماعية دفعت المفكرين إلى البحث في الآثار الثقافية الناجمة عن ذلك، فلم تعد الترجمة مجرد نقل لغوي ثانوي أو مجرد نشاط جانبي، بل أضحت حقلا معرفيا له تخصصاته ويحظى بكل الرعاية والعناية وسط تحديات عصر العولمة والصراعات.

وهكذا نشأت دراسات الترجمة كمنهج أكاديمي متعدد الفروع يشمل دراسات ما بعد الكولونيالية وهي فرع عبر تخصصي يبحث في خفايا الخطاب الثقافي وعلاقته بالسلطة قصد تقويض أنساق الهيمنة، تعد من أهم الدراسات الأدبية والنقدية التي كشفت عن الصلة الوثيقة التي تربط بين الثقافة والخطابات والأيديولوجية. تسلَّحَ بهذه النظرية كُتَّاب العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية لمجابهة تعالي المركز الغربي ولتقويض مقولاته الفكرية، فهي تدرس الجانب الثقافي في المجتمعات ما بعد الكولونيالية، ولاسيما الآثار الأدبية التي كانت تُرَوِج للخطاب الكولونيالي وتقوم بإبراز تجلياته في الأدب، بالارتكاز على قواعد نقدية.

وتعتبر النظرية ما بعد الكولونيالية حركة ثقافية مضادة ومقاومة، ظهرت للوقوف في وجه التغريب والهيمنة الغربية المغلوطة[1]، تستعرض ثنائية الشرق والغرب في إطار صراع سياسي وحضاري وتدرس ثقافة المجتمعات ما بعد

[1] - آمال علاوشيش، مجموعة مؤلفين، خطابات الـ"ما بعد" في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2013، ص 59.

الكولونيالية، وتقوم بالتشكيك في أعمال الفكر الكبرى، ولاسيما الآثار الأدبية التي كانت تروج للخطابات الكولونيالية وبإبراز تجلياتها في الأدب والثقافة وسرديات الغرب وتطرح مجموعة من القضايا الشائكة للدرس والمعالجة.

ويتمحور دور النظرية الأدبية لما بعد الكولونيالية في نقض أفكار العقل الغربي العنصرية وأرائه التهميشية والكشف عن أنساق التسلط في نصوصه الأدبية وإبراز مزايا آداب الآخر الأصلاني والاحتفاء بموروثه الثقافي والأدبي وزحزحة الأساطير الكبرى التي أدانته بالهمجية والعنهجية.

ومن أقطاب هذه النظرية الأدبية النقدية فانون وسعيد وسبيفاك وبابا ويونغ وغيرهم من الذين اعتبروا الثقافة الغربية أسطورية مبنية على خطابات ثقافية مؤدلجة تستخدمها الامبريالية لتبرير غزو الآخر، وواجهوا الخطاب الغربي المركزي بالنقد والتقويض والمقاومة وإعادة قراءة تاريخ الحقبة الكولونيالية بمنظور شعوبهم، من بينهم فانون وسعيد وسبيفاك وبابا ويونغ. ويعد الاستشراق أبرز هذه الخطابات الكولونيالية، وهو مشروع ثقافي غربي اتخذ الشرق مادة وموضوعا وخاصة العروبة والإسلام، من أجل السيطرة عليه، وإساءة تمثيله وفي المقابل مدح المركزية الغربية وإقناع الآخر برسالته التحضيرية المزعومة. ومع هذا، يوجد مستشرقون اتسموا بالموضوعية، أمثال بيرك وكارودي وبوكاي ودرمنغم وشيمل وهوفمان.

وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات واسعة كوجود انفصام بين النظري والواقعي وعدم وضوح مجال درسها وموضوعها. بل يرى بعض النقاد أن النظرية ما بعد الكولونيالية هي نمط من أنماط الكولونيالية. كما يرى البعض الآخر أنها مجرد مزيج من المناهج والتحليلات، فشل في تقديم الحلول وباحتوائها على بعض التناقضات والمفارقات، باعتبار أن الخطاب الاستشراقي لا يزال مستمرا بأساليب حديثة وقديمة في لبّها.

وعلى كل حال، يكمن هدف النظرية ما بعد الكولونيالية الأسمى في تحرير الشعوب من استعباد الكولونيالية في شقيها الكلاسيكي والعصري، ولإرساء حوارات حضارية تتخطى الأيديولوجيات التي تكرس الصدام بين الشمال والجنوب. فلابد من الإقرار بأن عهد الرؤية الأحادية والنظرية الجامدة قد ولى، وأن العقل الغربي المركزي لم يعد يملك الهيمنة الفكرية كما كان الحال سابقا، وأن الأصوات التي همشتها الامبريالية آنذاك قد اكتسبت أيضا خطابات وتصورات مختلفة حول الذات والآخر.

الفصل الأول

الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية

المبحث الأول: الأيديولوجيا في الأدب الروائي

المبحث الثاني: الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب

الفصل الأول: الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية

إن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا عندما نذكر مصطلح "الترجمة ما بعد الكولونيالية" هو ما طبيعة العلاقة التي تصل نظرية ما بعد الكولونيالية بدراسات الترجمة؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن نشير في البداية أن الترجمة لم تعد مجرد نقل لغوي ثانوي أو مجرد فعل فكري جانبي، بل أضحت نشاطا معرفيا يأخذ في الحسبان التغيرات الثقافية والسياسية والأيديولوجية والاجتماعية المحيطة به.

وفي مضمار نظرية ما بعد الكولونيالية، صارت العديد من الحقول الفكرية تعتبر نشاط الترجمة عنصرا محوريا في أبحاثها، ونخص بالذكر الأنثروبولوجيا التي باتت تُعنى بثقافات الشعوب، ولاسيما بعد ظهور موضة اكتشاف عالم "البدائيين والمتوحشين"، وحب الإطلاع على "سحر" الشرق، كما صَوّرَتهُ قصص ألف ليلة وليلة، والتعرف على البدائي في الجزر المعزولة والنائية، والتحقق من فرضيات النظرية الداروينية في التطور والارتقاء.

ولا يخفى أن كثيرا من تلك الدراسات قد أجريت لصالح التوسع الكولونيالي أو لخدمة ايديولوجيات عنصرية، ولا شك أن البعض منها كان ضمن برامج بحث علمية لا علاقة لها بالاستعمال الأيديولوجي والسياسي الذي ألت إليه فيما بعد[1].

ولقد كانت الدراسات الإنسانية لفترة طويلة تدعي أن هده العلوم الإجتماعية تتسم بالموضوعية في أبحاثها ولا تمت بأي صلة للسياسة، وتنفي الفكرة القائلة بأن الأدب له أي علاقة بالأيديولوجيا على أساس أن الأدب إما ذاتي جدا حتى يوصم هكذا، حتى جاءت نظرية ما بعد الكولونيالية التي كشفت تورط هده العلوم وشتى أنساق الثقافة وبالتالي اللغة والترجمة في الأفعال الكولونيالية.

[1] – محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص. 11.

المبحث الأول: الأيديولوجيا في الأدب الروائي

سنسعى في هذا المبحث إلى الإحاطة ببعض المقاربات والمناهج التي يتم تداولها ومناقشتها في حقل النظرية الما بعد كولونيالية الأدبية، ولاسيما المسائل التي تخص مكانة الأيديولوجيا في إطار السرد الروائي، ونبرز تمظهرات الامبريالية في الرواية في ما يعرف بـ"الأدب الكولونيالي" الذي قامت على أنقاضه "الأداب ما بعد كولونيالية" المقارعة للخطاب الإستشراقي.

كما سنركز على الرواية كنسق ثقافي جديد في القارة الإفريقية لنسلط الضوء إلى قضية اقتراض هذه الآداب للغة المركز الأوروبي الكولونيالي كأداة للكتابة والتعبير عن قضاياها. وفي الأخير، سنعالج قضية الترجمة التعجيمية ، وسنرى كيف يستقبل الأدب العربي في الخارج ومدى تأثير ذلك على صورة الشعوب العربية وحضارتها وثقافتها.

أولا: الإيديولوجيا في الأدب

سنتطرق في هذا القسم إلى تجليات الأيديولوجيا الكولونيالية في الأدب الروائي.

1- الأدب والأيديولوجيا

إن الأدب كظاهرة اجتماعية لا يمكن فهمها إلا في ضوء السياق التاريخي الذي حدثت فيه، فلا يمكن تجريد الظاهرة الأدبية من الظواهر السياسية الاقتصادية والاجتماعية[1]، كونها نتاج هذه الظواهر مجتمعة في حقبة زمنية معينة. ولهذا ليس من الغريب اعتبار العلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة بين خلفية وأمامية، فالتاريخ

[1] – علي سامي وآخرون، الترجمة والثقافة بين النظرية والتطبيق، حلقة بحثية، الجزء الثاني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص. 430.

خلفية للأدب الذي هو أمامية للتاريخ[1]، فهناك ارتباط وثيق بين التاريخ والأدب والرواية خاصة كنسق ثقافي له دور في صياغة وجهات النظر، فالرواية هي الأكثر الأشكال الأدبية الرئيسة حداثة زمنيا وأن نشوءها هو الأكثر قابلية للتأريخ. وفي هذا المضمار، صار لزاماً على المرء ألا يبحث فقط عما تقوله التقنيات الجمالية والصور البيانية والاستعارات والمجازات في الرواية، بل يتعين عليه التفتيش عما يختفي وراء هذه الأساليب من فترات صمت وأمور مسكوت عنها تعبر عن النقيض عما هو سائد ومنتشر، فهي تشير إلى الحاضر بقدر ما تشير إلى الغائب، فيرفع القارئ الغطاء عن المضمر ويكشف عن الأيديولوجيا التي تحرك هذه الرواية.

إن الأيديولوجيا هي مفهوم متعدد الأوجه والتعريفات حسب الميدان الذي يستخدمه، ففي مجال علم الاجتماع تعرف كنظام من الأفكار ترتبط اجتماعيا بتجمع اقتصادي أو سياسي أو إثني[2]. أما في حقل الدراسات الثقافية والأدبية، فيشير مصطلح الأيديولوجيا إلى أسلوب في التفكير يدعم طبقة اقتصادية واجتماعية مسيطرة[3]. فالأيديولوجيا هي نسق من المعتقدات والآراء يحمل في جوفه العديد من الاختيارات الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية للأفراد والجماعات.

ولا يزال الجدل دائر حول مكانة الأيديولوجيا في الأدب، بحيث ير البعض أن الأيديولوجيا[4] تربطها صلة وثيقة بالأدب تتجلى في كون كل واحد منهما موجود

---

[1] – عبد الله الغذّامي، النقد الثقافي، ص44.

[2] – محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية ، ص. 40.

[3] - Michael Ryan, The Encyclopedia of Literal and Cultural Theory, Literary Theory from the 1900 to 1960, Literary Theory from 1966 to Present Cultural Theory, Vol. I, II & III, Wiley Blackwell, UK, 2011, p. 639.

[4] – لقد لاحظنا أن هناك اختلاف في موضع الهمزة في كلمة *ايديولوجيا*، ويعود السبب –في اعتقادنا– إلى الأصل الذي ترجم منه هذا المصطلح، فإذا كان فرنسيا (Idéologie) فتكون الهمزة تحت الألف أي *إيديولوجيا*، وإذا كان إنكليزيا (Ideoogy) فكانت الهمزة فوق الألف *أيديولوجيا*، وهذا حسب نطق المصطلح في اللغتين.

في الأخر بشكل ضمني، وهذا لأن الأيديولوجيا هي ليست أداة الكاتب لاستغلال نصه الأدبي في عرض أفكاره ومبادئه ومعتقداته فحسب، بل هي وسيلة يوظفها من أجل خدمة مصالح مضمرة، ولأن السلطة تستفيد من الرواية كنسق ثقافي لتمرير رسائلها وتحقيق أهدافها. وعليه تتسم العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب بالتعقيد والتشابك باعتبار هذا الأخير مجالا إبداعيا يحتضن بين جناحيه حقول ثقافية متعددة، وتتفاعل بداخله عوامل سياسية واجتماعية ومكونات أيديولوجية يصعب فصلها عن النص الأدبي.

إن النصوص الأدبية ولاسيما الروائية منها، لا يمكن أن تخلو –بأي حال من الأحوال– من الدلالات الأيديولوجية والأحكام الشخصية والمواقف الفردية المكونة لمحتوى النتاج الأدبي، إذ لا يمكن لها أن تقوم إلا على أساس التناقضات والصراعات الأيديولوجية والتي يمكن استخراجها واستنباطها من خلال ملء الفراغات في النص والقيام بالقراءة بين السطور لإسماع صوت الغائب.

ويرجع السبب في ذلك أن الروائيون يمثلون –بشكل واع أو غير واع– جزء لا يتجزأ من الأيديولوجيات القائمة التي لا يمكنهم الإنفلات منها بسهولة، إذ ينتقل الواقع إلى الأدب بطريقة غير مباشرة عبر الدلالات المعنوية والشفرات اللغوية والرموز الثقافية والمرجعيات التاريخية . إن المؤلفون كائنون إلى حد بعيد في تاريخ مجتمعاتهم يشكلون ويتشكلون بذلك التاريخ وبتجربتهم الاجتماعية بدرجة متفاوتة، وإن كانوا لا يتحددون بصورة آلية بالأيديولوجيا أو الطبقة أو التاريخ الاقتصادي[1]. ولذلك نجدهم يسعون إلى إخفاء أيديولوجياتهم بين ثنايا النص والتستر عنها خلف الأساليب الجمالية والبلاغية والانزياحات المجازية. فلا يمكنهم الانفلات من قبضة الأيديولوجيا في مجتمعاتهم أين اكتسبوا ثقافتهم وهويتهم السياسية. وإذا خصصنا الذكر الأدباء الأوروبيين، فإن العديد منهم قد أسهم –عن وعي أو من دون وعي–

[1] – إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، مرجع سابق، ص. 66.

في تحضير الخلفية العنصرية والمركزية الأوروبية وتعميق الرؤية في الذات المتحضرة من خلال أعمالهم الموالية للكولونيالية، والتي شجعت حركات الاحتلال ضد الشرق الذي رأوا فيه بقعة يمكن أن تحقق فيها إمبراطورياتهم مطامعها وأجندتها ومأربها. يبقى من الطبيعي أن نتساءل كيف كانت الرواية ملاذاً للامبريالية الأوروبية أنذاك؟

2- تجليات الامبريالية في الرواية (الأدب الكولونيالي)

يقصد بالامبريالية العملية أو السياسة اللتان بهما يتم تأسيس الامبراطورية أو إدامتها والحفاظ عليها[1]، وببساطة تعني الامبريالية التفكير بالسيطرة على أرض لا يملكها المرء واستيطان أراض نائية، يعيش عليها ويملكها أخرون[2]. ولذلك كان همّ الرواية الأوروبية تصوير هذه الأراضي خارج أوروبا على أنها خالية ومهجورة، وحتى إذا كانت تعج بشعوب تملكها وتسكنها، فيتعين على الرواية إضفاء صفات الوحشية والبدائية على أهاليها باعتبارها قِيَماً تستدعي التحضير والتعليم والتصحيح والإصلاح.

في ظل هذه الأطروحة، تواطأت الرواية كثيرا مع صناعة مخيال كولونيالي حول الإنسان غير الأوروبي حيث تمثلت وظيفتها الأولى في وضع هذا الآخر أو الغريب أو الأجنبي أو الأهلي أو الأصلاني موضوع دراسة وبحث وتخييل.

قد اكتشفت الامبريالية الأوروبية في الرواية أداة تخدم الحملة الكولونيالية وحليفة لها تعينها على تبرير أفعالها داخل مجتمعاتها، بتوجيه القارئ الأوروبي للعالم الشرقي وترجمة أهم مؤلفاته الأدبية ("ألف ليلة وليلة" مثلا) بطريقة تدعم

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 80.

[2] – المرجع نفسه، ص. 78.

تصوراتها وأحكامها المسبقة، واعتبار هذه الأعمال الأدبية وثائق اجتماعية تحمل الحقيقة بين طياتها وتساهم بذلك في توسيع نطاق المؤسسة الكولونيالية وانتشار أفكارها وأساليبها.

وعليه من المشروع القول بأن هناك ارتباط وثيق بين الإمبريالية والأدب لاسيما الرواية كنتاج وشكل ثقافي ذا أهمية كبيرة في صياغة وجهات النظر والآراء وتغيير المواقف، قد يستغلها مؤلفها أيديولوجيا لتكريس تصورات تبرر الاحتلال والهيمنة الكولونيالية.

كما أنها تساعد الإداراة الكولونيالية في السيطرة على الشعوب الأصلية المتخلفة–حسب منطقها– وقمع محاولات التمرد والمعارضة والمقاومة بها من خلال المدراس الكولونيالية التي تلقن الروايات التي تحرص على جعل الشخصيات الغربية هي المسيطرة داخل العوالم المتخيلة لهذه الأعمال السردية، أما الشخصيات غير الغربية فهي غير متحضرة، وغير مرئية، وغير مسموعة، وخاضعة، وضعيفة، ولا تجرأ بتاتا على الكلام، وتوضع على خلفية مجريات الأحداث الرئيسة.

ولقد تطورت كل من الرواية والإمبراطورية الأوروبية في مناخ إيديولوجي واحد إبان القرن التاسع عشر، وتطور أحدهما كان محكوماً في جوهره بتطور الآخر، فقد سار تنامي الرواية كشكل ثقافي أدبي بالتوازي مع تطور الإمبراطورية والمؤسسة الكولونيالية، حيث نجد دوائر الفكر والمعرفة والثقافة والعلوم والفنون كانت تساند الحركات الامبريالية، فأساس الامبراطورية هو الفنون والعلوم، أزلهما أو حط من قدرهما تختف الامبراطورية. إن الامبراطورية لتتبع الفن[1].

إن اللغة والأدب متورطان معا في ثنائية الذات الأوروبية والآخر اللا أوروبي والتي هي جزء من خلق السلطة الكولونيالية[2]، تجعل من الذوات متضادة

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 83.

[2] – أنيا لومبا، مرجع سابق، ص. 81.

ومتعارضة سواء على أرض الواقع أو في عوالم الرواية حيث تكون الأولى أرفع شانا وأكثر تمدنا وأرقى ثقافيا أما الثانية فهي أقل منزلة ورقيا.

إن الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر هي بشكل ثقافي معزز لسلطة الواقع الراهن[1]. فعلى سبيل المثال، كانت الرواية البريطانية آنذاك مركزاً إمبريالياً مهمته الأساسية الحفاظ على مكانة "الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس" والمساهمة في تأييد وترسيخ المواقف حول عظمة رسالتها التحضيرية من خلال الروائيين الذين تبنوا وجهة نظر وصول السلطة البريطانية إلى أسيا وإفريقيا.

فينبغي ألا يكون ممكنا قراءة الأدب الانجليزي في تلك الحقبة دون تذكر أن الامبريالية التي اعتبرت مهمة بريطانيا الاجتماعية، كانت جزءا مهما من التمثيل الثقافي لإنكلترا من أجل الإنكليز[2].

ويجدر الاشارة أنه يمكن لهذه النتاجات الثقافية أن تكون أعمالا عظيمة من إبداع الخيال وأن تضم في أن واحد وجهات نظر ظاهرة تسلخ الانسانية من غير الاوروبيين وتبرز شعوبا وأصقاعا بأسرها خاضعة ودونية جاعلة إياها مقتضية حكم الأوروبيين[3].

وبالرغم مما قيل آنفا، فإن هذا لا يعني أن الرواية كانت هي السبب الوحيد في مجيء الإمبريالية أو الثقافة بالمعنى الواسع قد سببت الامبريالية ، إلا أنه لا يمكن التفكير في الرواية الأوروبية في الفترة ما قبل الاحتلال بمعزل عن الإمبريالية فالرواية الأوروبية كما نعرفها اليوم ما كانت ستوجد في غياب الامبراطورية. فليس هناك تزامن حكم الظاهرتين على مر العصور فحسب، بل إنهما تبادلتا حرفيا المنافع والمصالح. إن الامبريالية والرواية غير قابلتين للخطور بالبال منفصلتين

---

[1] – إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ص 145.

[2] – أنيا لومبا، مرجع سابق، ص 89.

[3] – إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، مقدمة المترجم، ص 10.

إحداهما عن الأخرى. ولقد حصنت الرواية والامبريالية إحداهما الأخرى إلى درجة عالية يستحيل معها قراءة احداهما دون التعامل بطريقة ما مع الأخرى[1].

كما أن الامبريالية الأوروبية لم تكتف بالاحتلال المادي والعسكري للأجساد والأراضي، ولكنها راحت تسعى إلى استعباد العقول والأذهان عبر قنوات الثقافة العديدة أهمها الأدب والرواية. فالقوة لم تعد تكمن في السلاح وحسب، لكنه باتت تكمن في غزو الألباب وطمس الهويات القومية ومحو الثقافات وتحقير اللغات المحلية، تظهر أثاره على المدى البعيد.

ورغم اختلافها في الشكل والرؤى والأنساق، تقف الآداب الكولونيالية على أرضية واحدة، فهي جميعها تستر أيديولوجيا النص وراء أساليب فنية، تسوق خطاب القوة والسيطرة، عبر آليات التمثيل ووفق المخيال الكولونيالي الذي يدور في فلك الهيمنة.

ويعتقد مؤلفوها أنه لا بديلا للاحتلال فالإمبريالية شيء حتمي ولا حاجة إلى المقاومة على أية حال، فهم يؤمنون كل الايمان بوجود ثقافة غربية واحدة تستحق الاحترام والتبني والتقليد واقتفاء الأثر، وبأن بدائية الشعوب غير الأوروبية تبرر رسالة الامبراطورية التحضيرية.

وكرد فعل على هده الآداب الكولونيالية، ظهرت الآداب ما بعد الكولونيالية، أو ما يعرف بـ "الرد بالكتابة".

ثانيا: الأدب ما بعد الكولونيالي

سنسلط هنا الضوء على الآداب ما بعد الكولونيالية –ولاسيما الإفريقية منها– ونركز على قضية اقتراض للغة المركز الأوروبي الكولونيالي كأداة للكتابة والتعبير عن قضاياها، وفي نهاية المطاف سنعالج مسألة الترجمة التعجيمية،

[1] – المرجع نفسه، ص ص. 138–139.

وسنرى كيف يستقبل الأدب العربي في الخارج ومدى تأثير ذلك على صورة الشعوب العربية وحضارتها وثقافتها.

1- الرد بالكتابة

تقوم النظرية ما بعد الكولونيالية على عنصرين أساسيين: دراسة الآداب والثقافات الغربية من حيث مركزيتها وتعاليها ودراسة آداب وثقافات العالم الثالث التي تمثل موقفاً من الامبريالية الأوروبية. هذه الآداب التي أخذت ترد بقوة على الإمبراطورية في محاولة لاسترجاع مكانتها في العالم والانتقال إلى المركز الذي استولت عليه أوروبا.

وفي ظل هذه الثقافة الكولونيالية، كان لا بدّ من ظهور آداب هدفها مواجهة خطاب الغرب الإيديولوجي، والعمل على منح الحضور لأولئك الذين يعيشون في الأطراف القصية من العالم. وهو الأمر الذي شكل في النهاية ما أصبح يعرف بكتابات أو آداب ما بعد الكولونيالية.

فإذا كان همّ الآداب الكولونيالية تبرير الامبريالية الأوروبية ودعمها، فإن الآداب ما بعد الكولونيالية التي بدأت بالظهور والانتشار تمثل فعل الهدم والتفكيك ومعارضة الخطاب الكولونيالي . والأدب ما بعد الكولونيالي هو تركيب مكون من المعارضة والتقليد، فهو يدمج الثورة والصلح. هذه الثنائية تتخلل استراتيجيته وأسلوبه ومواضيعه بشكل لا يسهل إدراكه من قبل النقاد على الدوام[1]. لذا كان لا بدّ من ظهور روايات ما بعد كولونيالية لكتاب من الشعوب المحتلة تعارض وتقف بالضد أمام أعمال أدبية ضمن الثقافة الإمبريالية، فكانت (نجمة) لكاتب ياسين

[1] - Kwaku Asante-Darko, Language and Culture in African Postcolonial Literature, Volume 2 Issue 1, Purdue University Press, National University of Lesotho, 2000, p.2. http://docs.lib.purdue.edu/clcweb.

فعلاً موازياً لـ(الغريب) لألبير كامي، و(موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح مقابل (قلب الظلام) لكونراد. وهكذا، ويوسع المؤلفون مجال مصطلح ما بعد الكولونيالية في بعض النصوص الما بعد كولونيالية، ليضم كل الانتاجات الأدبية باللغة الانكليزية من قبل المجتمعات التي خضعت للاحتلال. فآداب الدول الافريقية وأستراليا وكندا ودول الكاريبي والهند وماليزيا ومالطا ونيوزيلندا والباكستان وسنغافورة ودول جزر المحيط الهادي وسيرلانكا هي كلها آداب ما بعد كولونيالية[1].

وكانت هذه الآداب تسمى في فترة سابقة "آداب الكومنولث" وذلك في كل من أوروبا وبريطانيا وأمريكا وأستراليا وكندا والكاريبي وكل الدول التي كانت تابعة للإمبراطورية البريطانية.

2- اللغة الكولونيالية

ولقد كان مجال الهيمنة الكولونيالية الأكثر أهمية هو الفضاء الذهني للمستعبدين أي السيطرة من خلال اللغة. لأن السيطرة الاقتصادية والسياسية لا يمكن أن تجدي نفعا إن لم تصاحبها السيطرة الثقافية. وهذا ما حدث في معظم الدول المحتلة حيث حلت اللغة الكولونيالية محل اللغة القومية والوطنية وباتت تحدد التعليم الابتدائي. وأنتج هذا الأمر في وعي الطفل انشطارا عن محيطه الطبيعي والاجتماعي، حيث أصبحت اللغة الكولونيالية مقياس الذكاء والثقافة، ومعيار النجاح في التعليم والوسيلة للوصول إلى النخبة الكولونيالية. وصار الطفل الكولونيالي يرى العالم كما هو مصور في لغات أوروبا وثقافاتها وتاريخها، أما الهامش فكان يُرى من المركز ويوصف بالتخلف والجهل، وهي صور لا يمكن أن تمحى بسهولة من ذهن الطفل.

[1] - Ella Shohat, Notes on the "Post-Colonial", Social Text, No. 31/32, Third World and Post-Colonial Issues, Duke University Press, 1992, p.102.

ويشير كاتب ياسين إلى انتشار الثقافة الأوروبية التي حلت مكان التقاليد المحلية حيث يقول رغم نجاحي في المدرسة وفي استيعاب الثقافة الفرنسية إلا أنني كنت أشعر أنني أبتعد شيئا فشيئا عن أمي وعن وطني وعن لغتي الأم[1].

وبالرغم من ذلك، فإن تدريس اللغة الأجنبية لا يعني أنه سيكون على حساب ثقافة التلميذ، فالثقافة المرتبطة باللغة هي للتعلم بها وليست لتطبيقها . فعندما نعلم أن هناك من يعبد البقر في مجتمع ما لا يعني أننا سنقوم بالعمل نفسه عند تعلم لغتهم[2].

كما أن هذا لا يعني أن نقوم بهدم ما غنمناه من العهد الكولونيالي، بل يجب علينا أن نقوم بتحويله تحويلا مفيدا. على أنه لا بد للإشارة إلى الجانب السلبي، وهو ما نسميه بآثار الاحتلال الخفية، لأننا باستعمال لغة المحتل نحذو كذلك حذوه في التفكير، بل نتقيد بنفس قيمه. وهذه الآثار السيئة لا يمكن زوالها إلا بالرجوع إلى الثقافة الوطنية[3].

وفي هذا المضمار، يرى بعض المحللين أن الفرانكفونية تعني بشكل أو بآخر انتاج وترويج نماذج معيارية للتخلف في الجزائر وإفريقيا، وإلا كيف نفسر أن كل الدول الناطقة بالفرنسية وحتى التي تستعمل الفرنسية كلغة رسمية هي دول تعيش حالة تخلف اقتصادي واجتماعي وثقافي، وهل استطاعت اللغة الفرنسية

---

[1] – سفيتلانا براجوغينا، حدود العصور حدود الثقافات: دراسة في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، ترجمة ممدوح أبو الوى وراتب سكر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1995، ص. 182.

[2] – منصور بن محمد الغامدي، تأثير تدريس اللغة الإنجليزية على ثقافة التلاميذ ولغتهم الأم في المرحلة الابتدائية، 2003، ص. 2. الغامدي هو أستاذ اللغة الإنجليزية واللغويات في اللملكة العربية السعودية.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الإستعمار إلى الثورة لثقافية 1962–1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص. 22.

انتشال هذه من مغبة التخلف والفقر بالمفهوم الواسع[1]، فالفرنكفونية حركة سياسية تهدف إلى جعل فرنسا هي المركز الذي تدور حوله حركة الاقتصاد في البلدان الناطقة بلغتها في نهاية المطاف، وهذا يعني بصفة أخرى وضع هذه الدول في مجال التبعية الاقتصادية والثقافية لها[2].

وما ينبغي أن نشير إليه أنه حتى اللغة الفرنسية نفسها تحاول المحافظة على هويتها ومكانتها، فعندما أحست هذه الأخيرة أنها مضطهدة في عقر دارها بسبب العولمة وازدهار اللغة الإنكليزية قامت السلطات الفرنسية بسن القوانين لتعميم استعمال اللغة الفرنسية واستنكار انتشار الإنجليزية وغزو الثقافة الأمريكية[3].

ولنا قدوة في القارة الأسيوية أين احتفظت اللغات المحلية بمكان متميز في التبليغ الثقافي إذ تستعمل في شتى مجالات الحياة ويتم التأليف والنشر الأدبي والإعلامي بها. وعلى الرغم من تداول اللغات الأجنبية بين النخبة العلمية والفكرية والتكنوقراطية، فمن النادر أن تستعمل اللغات الكولونيالية مع غير الأجانب[4].

كما تقدم الفيتنام صورة رائعة للوطنية والغيرة على الهوية، فقد استعادت هانوي في وقت قياسي لغتها القومية، ولا ننسى كوريا الجنوبية وهي من البلدان الأكثر تقدما في التقانات والعصرنة التي مسحت بجرة قلم الدخيل من اللغة اليابانية وتدور كل المعاملات فيها من المخابر الأكثر حداثة حتى الصحافة باللغة الكورية وهي لا تستخدم اللغات الغربية إلا للاتصال مع الأجانب[5].

---

[1] – حمري بحري، الرجم بالكلام، مقالات في الثقافة والسياسة والفكر، إتحاد الكتاب الجزائريين، 2003، ص 61.

[2] – المرجع نفسه، ص. 62.

[3] – محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ص. 382.

[4] – المرجع نفسه، ص 392.

[5] – المرجع نفسه، ص 382.

أما في القارة الإفريقية فلا تزال اللغة الكولونيالية هي المهيمنة على المشهد الثقافي حتى بعد حصول بلدانها على الاستقلال، إذ أن الأدباء والمفكرين الذين يستعملون في كتاباتهم لغات محلية تطبع لهم أعداد قليلة من النسخ وإنتاجهم غير معروف خارج بلدانهم. كما أن الذين يكتبون وينشرون باللغة العربية في الجزائر لا يطبع لهم في الغالب أكثر من ثلاثة ألاف نسخة، وهو نفس العدد الذي يوزع في بلدية من بلديات أوروبا لا يزيد سكانها على 25 ألف نسمة[1]. وهذا ما يقودنا إلى قضية الأدب الإفريقي المكتوب باللغات الكولونيالية الأجنبية.

3- الأدب الإفريقي

يعتبر الأدب الإفريقي نسيج ثقافي يضم في مجمله آدابا متنوعة بلغات ولهجات مختلفة، منها المكتوب ومنها الشفاهي، تحتضن عدة حكايات شعبية وأمثال وحكم وأساطير ورموز وأشعار وروايات. ويحاجج البعض أن الأدب الإفريقي الشفاهي إذا صار لزاما عليه أن يُكتَب فإذن سيظهر للعيان كم هي غير ملائمة الكلمة لتعريف "التجسيد الشفهي لروح الناس الإبداعية "، فشرق افريقيا كباقي دول القارة برمتها غنية بالقصائد الغنائية والأشعار والقصص التي تعود للأزمنة السحيقة[2].

ولقد ظهر الأدب الإفريقي مع بروز حركات التحرر في القارة ونيل معظم بلدانها الاستقلال منذ ستينات القرن الماضي، بحيث لعب دورا شاقا في النضال من أجل انتزاع الاستقلال الوطني وكافح في سبيل حصول الشعب على حقه في التطور الروحي والثقافي المستقل.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 390.

[2] - Meena Pydah, The Language of Discord in The Novels of Ngugi Wa Thiong'o, International Journal of English, Language, Literature and Humanities, Vol. 1 Issue 4, 2014, p. 118.

ولقد عكس هذا الأدب رغبة الشعوب الإفريقية في قراءة تاريخها بنفسها ومعرفة ذاتها وحضارتها وإمكانياتها والعالم المحيط بها والتغلب على الصعوبات التي تركها الاحتلال. كما نظر إلى الماضي وأخذ منه المفيد معه إلى المستقبل وفهم الحاضر وتجاوب مع أحداثه ورسم لوحة للحاضر بكل تعقيداته[1].

ويصور الأدب الإفريقي واقعا إفريقيا بجميع أبعاده، وهذه الإبعاد لا تضم الصراع مع القوى الكولونيالية السابقة فحسب، وإنما تضم أيضا النزاعات داخل القارة الإفريقية، ويتفرع الأدب الإفريقي إلى أدب مكتوب باللغات الكولونيالية وآخر باللغات الإفريقية.

وهكذا تطرح قضية الأدب الإفريقي المكتوب بلغات أجنبية كالفرنسية في الجزائر على سبيل المثال لا الحصر: هل الأدب المكتوب باللغة الفرنسية من قبل أقلام جزائرية هو أدب قومي أم هو أدب أجنبي؟

إن هذه الظاهرة الثقافية مثيرة للاهتمام لأنها ظاهرة جديدة لم يعرف لها مثيل سابقا في تاريخ الشعب العربي الثقافي. ولكنها صفة للدول التي تحررت من الاحتلال أو من التبعية الكولونيالية[2].

4- الكتابة بلغة الأخر

وبطبيعة الحال تثار هنا بحدة قضية علاقة الشكل بالمضمون والفكر باللغة وعلاقة المتخيل الفرنسي بالمتخيل الجزائري[3]. وفي هذا الصدد، يقسم البعض الأدب الفرنسي في شمال إفريقيا إلى قسمين:

---

[1] – سفيتلانا براجوغينا، حدود العصور حدود الثقافات، ص111-112.

[2] – المرجع نفسه، ص 39.

[3] – المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 87.

أدب السكان الأصليين وأدب الكولون، بينما يرى البعض الآخر أنه لا معنى لتقسيم كتاب المغرب العربي إلى فرنسيين وغير فرنسيين، لقد كانت نواة تقسيهم موجودة في إبداعهم[1]، فهناك أدباء يناضلون ضد الاحتلال وهناك أدباء يبررون أعمال المحتلين. وقد تمكن الأدب الأول من وضع اللبنات الأولى في بناء الأدب القومي للمغرب العربي، وذهب الأدب الثاني مع رحيل الاحتلال[2].

بيد أن بعض الروايات الما بعد كولونيالية قد كتبت قبل تحقيق الاستقلال السياسي، إذ برزت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مع مطلع الخمسينات على أنقاض الرواية الكولونيالية التي كانت تحتكر وحدها الفضاء الروائي الجزائري[3].

وعلى ذكر الرواية الكولونيالية، لقد كتب **ألبير كامو** حول الجزائر إلا أنه على غرار الكتاب الفرنسيين لم يستطع التغلغل إلى أعماق روح أبناء الجزائر ولم يلمس خلجات قلوبهم ولم يتحسس أوجاعهم ولم يتعاطف مع جراحهم، بل اكتفى بوصف طبيعة الجزائر الجميلة ووصف عاداتها وتقاليدها وطقوسها الشعبية، إذ كانت الجزائر لوحة خلفية لمؤلفاته. أما تطلعات الشعب الجزائري نحو الحرية والاستقلال فلم يصورها إلا أولئك الذين خرجوا من أعماق الأرض الجزائرية أبناء الجزائر الحقيقيون[4].

إن الأدب الإفريقي المكتوب باللغة الفرنسية هو أدب هجين، حارب الاحتلال القديم والجديد باللسان الأجنبي الذي تغلغلت الثقافة الغربية عبره إلى المجتمع المغاربي وبمساعدته تَكَوَّن النموذج المغاربي للثقافة والأدب. كما أعطى أفاقا جديدة للعلاقات الأدبية المغاربية مع المناطق الأخرى الناطقة باللغة الفرنسية

---

[1] – سفيتلانا براجوغينا، مرجع سابق، ص 31.

[2] – المرجع نفسه، ص 32-33.

[3] – المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سباق، ص 88.

[4] – سفيتلانا براجوغينا، مرجع سابق، ص 332.

في إفريقيا وغيرها، وأغنى إمكانية الخروج إلى العالم ودخول العملية الأدبية العالمية والوسط اللغوي للدول الناطقة باللغة الفرنسية بشكل عام[1].

ورغم لغته الفرنسية، فإن رسالة هذا الأدب الحقيقية تتمثل في التعبير عن شخصيته الجزائرية فهو أدب جزائري ومعبر عن ثقافة جزائرية أصيلة. والجنسية الأدبية ليست من صنع الجغرافيا ولكن من صنع التاريخ. فالأديب هو ذلك الذي اختار ربط مصيره بمصير الأمة ليعبر عن أمالها وعن إرادتها في العيش حرة عزيزة ومستقلة[2].

وللكتاب العرب الذين كتبوا باللغة الفرنسية فضل كبير في تشكيل الأدب العربي الجديد في المغرب العربي والذي ازداد نموا. إن هذا الأدب الذي نشأ على تخوم عصرين تاريخيين – عصر الاحتلال وعصر الانبعاث القومي... قد اضطلع بدور هام في تكوين الهويات والثقافات القومية الجديدة لبلدان شمال إفريقيا. ولا بد من القول أن معظم الكتاب العرب عالجوا موضوع "نحن وهم" أي الشرق والغرب أو بالتحديد العرب وأوروبا، وبعد ذلك انتقلوا إلى معالجة الواقع المغاربي[3]. فلقد كانت النزعة القومية الأقوى في مرحلة ما بعد الاستقلال. وبعد ذلك أخذ الأدب يعالج المسائل الاجتماعية فنادى الأدباء بالنظام الديمقراطي وبالتحولات التقدمية[4].

إن هذا الأدب غدا جسر للقاء مع الثقافة الأجنبية وخطا حدوديا لا يفصل بين الشعوب والحضارات المختلفة ولا يؤدي إلى الصدام والمجابهة بينهما بل يقرب بعضها من بعض ويجمعها في: سبيكة عجيبة يمتزج فيها الشرق والغرب[5]. وبالرغم

---

[1] – المرجع نفسه، ص 15.

[2] – المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص 86.

[3] – المرجع نفسه، ص 364.

[4] – المرجع نفسه، ص 363.

[5] – المرجع نفسه، ص 365.

من أن غالبية الآداب الافريقية لا تزال تكتب باللغات الكولونيالية، يلاحظ أن عدد المؤلفين الذين يختارون الكتابة باللغة الأم في تزايد مستمر[1]، ولاسيما في شمال إفريقيا العربي.

ثالثا: ترجمة الرواية العربية إلى اللغات الكولونيالية

لقد استطاع الأدب العربي أن يحمل لواء الأدب الإنساني طوال عشرة قرون. فلم يكد يتقدم القرن الثاني للهجرة حتى استطاعت اللغة العربية أن تسع آداب الأمم الأخرى، وظلت حية مسيطرة حتى أحيت العقل الأوروبي في نهضته الأولى في القرن الثاني عشر، نتيجة اتصاله بالعرب ونقل كل ما استطاع نقله[2]. وقد قام الأدب الأجنبي المترجم في كل العصور والآداب بدور الوسيط والملهم في أن واحد. وربما يرجع إليه الفضل في بعض الأحوال إلى تكوين الأدب المحلي نفسه أو النهوض به من سباته الطويل وهدايته إلى أفاق أرحب وتكوين الوجدان الثقافي وتزواج الحضارات وتفاعل أرواح الشعوب. وفي نهاية المطاف، كل أدب يضجر من نفسه إذا لم يتم تجديده من قبل مساهمة أجنبية"[3]، أي إذا لم تتم ترجمته من قبل أقوام أخرى وضمه لآدابها.

لكن يجب الوعي بأن عملية الترجمة يجب أن تكون حركة ذات اتجاهين وليست مقصورة على اتجاه دون آخر. فالترجمة يجب ألا تقتصر على ترجمة الآداب الأوروبية إلى العربية أي التعريب ولكن التعجيم أو ترجمة الأعمال الأدبية

---

[1] - Marthe Dijk MA, the Translation Problems of African Literature, MA English Language And Culture Master's Programme Translation Studies, Utrecht University, Germany, p. 16.

[2] – يوهان فولفغانغ غوتة، النور والفراشة، رؤية غوتة للإسلام وللأدبين العربي والفارسي مع النص الكامل للديوان الشرقي، قدمه للعربية عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا– بغداد، 2006، ص. 64.

[3] - Antoine Berman, op.cit., p. 106.

العربية إلى اللغة الأجنبية مطلوبة وضرورية على حد السواء، لأنها تحقق مكاسب ثقافية كبيرة للأمة العربية في الأقطار الخارجية.

فمن خلال التعجيم، تستطيع الأمة العربية أن تقدم نفسها للعالم ثقافيا ليتعرف العالم إلى واقعها الاجتماعي والحضاري ولتتخطى عزلتها وحصارها الثقافي وتحطم صورها المشوهة.

وضمن هذا السياق تكتسب الترجمة الأدبية التعجيمية أهمية قصوى فمن خلالها يمكن أن ننقل إلى العالم الوجه الثقافي الحضاري لأمتنا وأن نعرف العالم بصورة صادقة وصحيحة على واقعنا ومشكلاتنا وطموحاتنا[1]. ولا يبدو غريبا أن تكون هذه الآداب الكولونيالية وراء تلك الصورة النمطية السلبية المبتكرة عن العالم الشرقي والعربي خاصة، فكثيرًا ما تشكل القوالب المنمطة سببا أساسيًا يحول دون الفهم بين الثقافات العربية وبقية شعوب المعمورة.

لا سيما وأن معظم أدباء ومثقفي الغرب لا يدركون من العرب إلا مظاهر البداوة والصحراء والجمل، والجواري والمرأة المهضومة حقوقها والجهل والسحر والتخلف وتفشي الفساد والظلم والاستبداد. إن هذه الصور المشوهة ترتبط بشكل وثيق بالأفكار التي ترسبت عبر قرون عديدة في أذهان الغربيين عبر النصوص العلمية والثقافية والأعمال الفنية والروايات. أما صورة أوروبا في الأدب العربي الحديث فهي تتروح بين الانبهار والتمجيد والتقليد إلى غاية المقت نتيجة للتاريخ الكولونيالي الطويل، كما يقرن الأوروبي غالبا بالانحلال الخلقي والإلحاد، الأمر الذي يعيق الذهن عن إدراك الحقائق في كلا الجانبين.

إن كل عمل أدبي مترجم يقدم للمتلقين الأجانب صورة صادقة عن أوضاع الأمة العربية ويساهم في تصحيح صورة العرب في العالم والتغلغل إلى قلوب

[1] – عبده عبود، هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، منشورات إتحاد العرب، 1995، ص.22–23.

المتلقين الأجانب وعقولهم، وبالتالي على أن يكون أفضل رسول لأمتنا إلى الشعوب الأجنبية. ولذلك وجب الإهتمام بالترجمة التعجيمية ضمن إطار علاقات ثقافية تكون متوازنة بين العرب والغرب قائمة على التبادل الأدبي من موقع الندية لا من موقع التبعية[1].

وفي الواقع، هناك خلل كبير في بنية حركة الترجمة الأدبية بين العربية واللغات الأوروبية. فما يترجم من أعمال أدبية إلى اللغات الأجنبية ليس متكافئا كما ونوعا مع ما يترجم إلى العربية من مؤلفات أجنبية، ولا يصل إلى جماهير عريضة من القراء مما يجعل تأثيره محدودا في تعريف الجمهور الغربي بالأدب العربي[2]، ولذلك يجب تشجيع ترجمة الأدب العربي في الخارج ودعمه.

ومع أن الصورة التي يقدمها الأدب العربي قد تنطوي على سلبيات إلا أنها قادرة على أن تنفذ إلى عواطف القراء وألبابهم، فتجعلهم أكثر تفهما للمجتمع العربي وقضاياه. ومن هنا فإن الأدب العربي المترجم قادر على أن يساهم بفعالية في تصحيح صورة العرب كأمة بلا حضارة تنسب انجازاتها إلى الحضارة الغربية. فهذا الأدب يضع في متناول المتلقي الأجنبي مؤلفات متطورة فنيا وفكريا تمثل إنجازا حضاريا عربيا، فأمة بلغ أدبها القديم والحديث هذه الدرجة من التطور لا يمكن أن تكون أمة همجية. وغني عن الشرح أن مؤثرات إبداعية كهذه تساهم بدورها في تشكيل صورة العرب في الخارج، كأمة صانعة للحضارة في الماضي والحاضر، تبدع الأدب والفن الراقيين[3]. وهل لقلم رصين يروم شهرة أو تبليغ رسالة من رواء البحار دون أن يمتطي متن الترجمة؟[4]

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 48.

[2] – المرجع نفسه، ص. 62.

[3] – المرجع نفسه، ص ص. 68–69.

[4] – المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص. 412.

لقد غدت الرواية جزءا من أيديولوجية التوسع الامبراطوري وملاذا للامبريالية ورفيق تطور المشروع الكولونيالي بعد أن تمكنت الإدارة الأوروبية من توظيف هذه الماكنة الثقافية لخدمة مآربها الاقتصادية وتبرير أفعالها السياسية وإحكام هيمنتها الذهنية على الشعوب. وظهر روائيون كُثر ألفوا وفق هدا المنظور أعمال أدبية تصدر عن إيمان عميق بقيمة الحكم الأوروبي، أو ما يعرف بالروايات الكولونيالية.

فكان لابد من بروز الآداب الما بعد كولونيالية الساعية إلى تدمير النظرية السائدة بأن حضارة أوروبا البيضاء غزت العالم الملون لوصله بالحضارة ليتم الارتقاء به إلى مستوى العرق الراقي، وبفضلها صرنا نتبع أثار الكولون، ونكتشف تاريخا أخر لم نراه إلى ذلك الحد لأنه بتر أو حُرف، وكأنه تاريخ غازي لا ملموس، كتبه مؤرخون ينتمون الى "جنس الغالبين المتفوقين"[1].

وهده الآداب ما بعد الكولونيالية هي في غالبها مكتوبة بلغة الكولون المهيمنة على اللغات المحلية ولاسيما الآداب الافريقية والجزائرية منها. ومع دلك تبقى آداب قومية القلب وإن كان قالبها أجنبي، تعبر عن الهويات والثقافات الإفريقية والجزائرية، جسر للقاء مع الثقافة الأجنبية لها فضل أثر كبير في صياغة الأدب العربي.

[1] – المرجع نفسه، ص. 210.

المبحث الثاني: **الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية**

نظرا لأن موضوع بحثنا يصب جل اهتمامه على العلاقة الكائنة بين دراسات الترجمة والنظرية الما بعد كولونيالية الأدبية، سنركز في المبحث الثاني على الإلمام بجل جوانب ونواحي هذه العلاقة.

وللقيام بذلك سنلقي الضوء على عدة جوانب أولها الانزياح الأيديولوجي لعملية الترجمة في سياقات كولونيالية. فنرفع الغطاء أولا عن البعد السياسي للترجمة ونكتشف ما مدى تورطها في ترسيخ الحكم الإمبراطوري والحركات الكولونيالية، وكذا انخراط علم الأنثروبولوجيا في تسهيل قناة الإحتلال وتلاعب الفكر السياسي باللغة لخدمة مصالحه.

ومن ثمة سنتناول الاستغلال الإيجابي لعملية الترجمة في سياق الترجمة الما بعد كولونيالية كوسيلة يرجى من خلالها التخلص من الإرث الإحتلالي والتبعية والهيمنة الثقافية.

وبعد ذلك، سنطرق باب الترجمة الأدبية، ونركز على ترجمة الرواية الما بعد كولونيالية. وسنتعرف إلى الأسباب وراء وصف الترجمة كعملية "إعادة كتابة"، وهو تيار يتفحص علاقات القوة المهيمنة على منظومة إنتاج والضغوط التي تتعرض إليها الترجمة الأدبية.

وهذا ينقلنا إلى الاستراتيجيات التي يستعين إليها المترجمون لترجمة للآداب الما بعد كولونيالية، كإستراتيجيتي "التوطين والتغريب" وذكر إيجابياتها وسلبياتها.

أولا: الترجمة في سياق كولونيالي

سنحاول في هدا القسم تبيان العلاقة القائمة بين الترجمة والأنثروبولوجيا.

1- الأنثروبولوجيا: أداة لإكتشاف الأخر؟

تعنى علم الإناسة أو الأنثروبولوجيا التي بدراسة الثقافات والمجتمعات الإنسانيّة والتي نشأت قبل ظهور علم الاجتماع وذلك بناء على رغبة الغربيين في معرفة المجتمعات التي تعيش خارج نطاق عالمها المألوف[1]. ومن فروعها نجد الإثنولوجيا، والتي تسمى أيضا الأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية إذ تهتم بدراسة الجماعات الانسانية ذات الثقافات القديمة[2]. ويهتم عالم الأثنولوجيا بدراسة الثقافات المختلفة أينما وجدت، فهو يهتم بالثقافة كظاهرة مميزة للبشر وليس بثقافات مجتمعات معينة[3].

ولقد ارتبط أول استخدام عملي للأنثروبولوجيا – وهو الاستخدام الذي ما زال شائعا حتى اليوم – بإدارة شعوب الأراضي المحتلة. فنجد السلطات الكولونيالية الفرنسية والبريطانية والهولندية تستعمل الأنثروبولوجيا على نطاق واسع[4] كأداة لاكتشاف ثقافة الآخر للسيطرة عليه ولا للتعرف عليه. ترى أن الاطلاع على الثقافات البدائية ومعرفة حقائقها أمر مفيد جدا يرضي الاستغراب العلمي[5]. لقد أدركت أوروبا وأمريكا منذ القدم أهمية الدراسات الإتنوغرافية في ترجمة وفهم الثقافات البشرية، فراحت ترسل الأنثروبولوجيين إلى الأراضي التي تود الإستيلاء عليها تحت غطاء الرحلات الإستكشافية والتبادلات التجارية والتنقيبات الأثرية.

---

[1] – عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، 1989، ص. 9.

[2] – المرجع نفسه، ص. 10.

[3] – محمد أحمد بيومي، الأنثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص. 33.

[4] – المرجع نفسه، ص. 45.

[5] – المرجع نفسه، ص. 51.

2- الإتنوغرافيا والترجمة

ومن فروع الأنثروبولوجيا نذكر أيضا الإتنوغرافيا أو علم الأعراق البشرية وهو فرع علمي يعنى بدراسة وتحليل ووصف سلوكات الجماعات الإنسانية وثقافاتها وتاريخها ولغاتها ودلالاتها من كل الجوانب.

وهناك من يرى بأن الإتنوغرافيا هي عملية ترجمة لأنها تقوم بتفسير وتأويل وشرح ثقافة ما بشكل كلي. فقراءتنا لثقافة ما يعني أننا نقوم بترجمتها حسب أفكارنا ومعتقداتنا وأهوائنا. وهذا بالمعنى المجازي للترجمة، أما حرفيا، فإن الأتنوغرافي يقوم فعليا بالترجمة إلى لغته الأم نصوص الثقافة التي يدرسها من أساطير وقصص ووثائق جغرافية وتاريخية وقوانين ومعتقدات دينية. فهو يقوم بشرح هذه الثقافة وتحليلها وتحويلها إلى ثقافته في زي جديد.

ولذلك تعد الإتنوغرافيا محطة مهمة في معرفة واستيعاب الثقافات، كما تلعب دورا محوريا في تسهيل الترجمة بين الثقافات. لذا، يتعين على المترجم دراسة اللغة الأجنبية والقيام بدراسة إتنوغرافية للجماعة الناطقة بها حتى تَفِي الترجمة بالمراد[1].

وبهذا الشكل، تطورت الدراسات الأنثروبولوجية بالتوازي مع الحركات الكولونيالية التي سعت إلى تصوير الترجمة كنشاط لساني بريء لا علاقة له بالسياسة، بينما هي في واقع الأمر تُعَدُ كموقع للصراع بين اللغات والثقافات.

3- الترجمة الكولونيالية

إن عملية نقل نصوص من ثقافة/لغة الى واقع ثقافي أخر تشمل تمثيل الثقافة المنقول منها إلى الثقافة المنقول إليها، فالترجمة هي عملية وصف وتصوير

[1] – جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة لطيف زيتوني، المنتخب العربي، بيروت، 1994، ص. 271.

الآخر، وظفتها الكولونيالية كأداة تمثيل الذات وتمثيل الغير وذلك من خلال عمل الإتنوغرافيين والأتنولوجيين.

وقد تسللت الترجمة الكولونيالية إلى ذهن التابع وجعلته يقبل –في نهاية المطاف– بالتمثيلات والصور السلبية التي خلقتها الترجمة عنه كخاضع وبشكل طبيعي[1]، وساهمت في تحديد الذات الأوروبية المميزة عن التابع.

وعلى سبيل المثال، اختارت الإمبراطورية البريطانية ترجمة عيون الأدب السنسكريتي من القرن الثامن عشر فحسب وتجاهلت أمهات الآداب الهندية المعاصرة، وهذا ما يعده البعض محاولة مقصودة للتقليل من قيمة أدب وثقافة الهند الحالية والمساهمة في خلق صورة التابع الخاضع غير الفعال وبالتالي تعزيز الفعل السياسي وتبرير التوسع الامبريالي.

ووفرت الترجمات الأوروبية المشوهة للنصوص الهندية المعدة للجماهير الغربية جملة كبيرة من الصور الاستشراقية للنخبة الهندية المثقفة والتي تكتشف ماضيها من خلال هذه الترجمات[2] التي تسعى إلى تصوير ووصف الهندي كالآخر الغريب بالنسبة للبريطاني الراقي المتحضر. إن الترجمة كانت اليد اليمنى للسلطات الكولونيالية[3] فقد كانت ضرورية في عمل الإدارة وتحقيق أهداف الحكم الكولونيالي، استعملت بإفراط والى حد بعيد في أوائل القرن التاسع عشر لترجمة القوانين والوثائق الإدارية الهندية[4].

أما في العالم العربي، وبعد أن نزل الإنكليز أرض الكنانة عام 1882 وبسط الاحتلال ظله الأسود عليها كان من أثاره المباشرة تحويل التدريس في الكليات العلمية من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية وقد حصل ذلك بعد خمس

---

[1] - Emily Larocque, Translating Representations: Orientalism in the Colonial Indian Province of Bengal (1770s-1830s), p. 37.

[2] - Ibid. , p. 35.

[3] - Ibid. , p. 32.

[4] - Ibid. , p. 34.

سنوات فقط من تاريخ الاحتلال، بعد أن استمر بالعربية أكثر من ستين سنة، فكان ذلك ارتداد للغة الضاد ونكسة للغة العربية وللنهضة العلمية ذاتها لا في مصر وحدها بل في البلاد العربية برمتها[1]. كل هذا غير وجهة الترجمة وجعلها منحصرة أثناء فترة طويلة أوائل القرن العشرين في عناوين بارزة من الأدب والفكر العالميين، وبقي أهل الاختصاص في العلوم الصحيحة لا ينقلون إلى العربية إلا النزر القليل. وعند بروزهم في المحافل الدولية يميلون بالطبع إلى استعمال اللغات الأجنبية[2].

بينما كانت الترجمة أنذاك ذات طابع رسمي لسد حاجاتها، لأن السلطة الكولونيالية كانت بأشد الحاجة إلى مترجمين دائمين لنقل الأوامر عنها ولترجمة المنشورات وتسجيل محاضر الدواوين وليكونوا وسطاء في نقل الحديث المباشر بين الحكام والمحكومين[3].

ولا عجب إذا عرفنا أن نابليون بونابرت أثناء إعداده للحملة على مصر أرسل إلى بعض العلماء في روما بقصد التعاقد مع بعض المترجمين البارزين من الشرقيين المقيمين في إيطاليا. وكان من الطبيعي أن يستعين الفرنسيون بالمسيحيين في مصر وخاصة السوريين لمعرفتهم باللغات العربية والفرنسية والإيطالية ولاتفاق الطائفتين في اعتناق دين واحد، ومذهب واحد[4].

أما في الجزائر قبل ثورة التحرير، فكان الواقع الثقافي يقوم على الصراع والمواجهة بين الثقافتين العربية والفرنسية، فكانت الترجمة كأداة تواصل بين

---

[1] – شحادة الخوري، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، تونس، 1988، ص. 77.

[2] – المرجع نفسه، ص. 73.

[3] – جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000، ص. 36.

[4] – المرجع نفسه، ص ص. 55-56.

الثقافتين شبه مغيبة، وذلك لأنها اقتصرت على دائرة المعاملات الإدارية الكولونيالية التي كانت تحتاج إلى أسلاك المترجمين للتحكم في شؤون الأهالي[1].

ثانيا: الأجندة السياسية للترجمة

إن السياسة واللغة قرينتان متلازمتان حيثما رأيت الواحد بدا لك الآخر، فإن لم ينكشف لك بوجهه فاعلم أنه ثاو وراء قرينه[2]. والمرء هو الذي يصطنع البراءة باللغة ويحولها إلى أداة تصنع المكر وتمعن في الكيد[3].

بدأ الاحتيال على الواقع باللغة في علاقة الغرب والعرب منذ أواخر القرن الثامن عشر: ما فعله نابليون عام 1798أهو غزوة أم هو حملة؟ وهذا مثال على معضلة الدلالة من خلال التسمية السياسية عبر اللفظ الذي تم اطلاقه على تلك الحركة التاريخية التي خرجت فيها أوروبا غازية لبلاد الأخرين وهي تنادي وتفاخر بأنها تؤدي رسالة تمدينية وتسوق الشعوب إلى فردوس الحضارة.

تلك الحركة سُمِّيت الاستعمار" وسُمِّي فاعلها "المستعمِر" ومفعولها "المستعمَر"، وهي في أصلها فعل يطابقه لفظ وحيد هو "الغزو" الذي يقابله في اللغة الفرنسية لفظ Invasion فإذا نجح الغازي في غزوته وفرَضَ نفسه على الأرض المغزوة تحول الأمر إلى "احتلال" أي Occupation[4].

يبدو أن ترجمة كلمة (Occupation) "إحتلال" قد أصبحت استعمارا (Colonization). مع أن كلمة "الاستعمار" تعني الإعمار والبناء في اللغة العربية، ولا تنطبق على "الاحتلال" إلا أنهما أُخذا كلمتين مترادفتين لمعنى واحد[5].

---

[1] – المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص. 88.

[2] – عبد السلام مسدي، السياسة وسلطة اللغة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص. 15.

[3] – المرجع نفسه، ص. 165.

[4] – المرجع نفسه، ص. 195.

[5] – زيد بن علي الوزير، كيد الترجمة: الإستعمار، مجلة المسار، العدد11، 2003، ص. 4.

فمن الواضح أن لا صلة بين كلمة "استعمر" بمعنى الإعمار، وبين "احتل" بمعنى الإحتلال والغزو، لفظيا ومعنويا. وعندما نطلق على "الاحتلال" كلمة "الاستعمار" فإن تداعي البناء والازدهار يربض في الأعماق ويخفف من سورة الغضب. والعجيب أن المتلقي العربي استقبلها بقبول حسن، وأدخلها في قاموسه، واستخدمها في مقاومته، فجاء في المعجم الوجيز أيضا: استعمر الأرض أمدها بما يعوزها من الأيدي العاملة[1].

هذا من جهة اللغة العربية، ومن جانب لغة **فولتير** فإنه قد ظهر فيها لفظ Colonie ليدل على المجموعة البشرية المتنقلة طالبة استزراع الأرض عام 1308م، وفي عام 1355م ظهر لفظ (Colon) الدال على الانسان الفرد القائم بهذه الوظيفة. ولكن وبعد ثمانين سنة من احتلال فرنسا للجزائر طرأت على لفظ الاحتلال –في ثوبيه العربي والفرنسي– هجانة، ففي عام 1910 اعتصر صناع الخطاب من لغتهم الفرنسية اعتصارا جديدا فوضعت لهم بالولادة القيصرية لفظا جديدا هو "الاستعمار"، يخفف من وطأة عبارة الاحتلال (Occupation) فقالوا أنه (Colonialisme) وفاعله كالمُنتَسِب إليه يُسمى (Colonialiste) وذلك على معنى أنه يؤدي وظيفة استصلاح الأرض واستزراعها[2].

وحتى في اللغة الانكليزية فعل (Colonize) معناه يقيم في، أستعمر أرضا خلاء، ليس فيها بشر ولا تاريخ، أو فيها حياة بدائية. ومن هنا يتبين أن ترجمة (Occupation) ليس استعمارا، وإنما هو إحتلال عسكري فرض مصالحه الإقتصادية وسمّى نفسه بناءا وعمارا[3].

---

[1] – المرجع نفسه، ص ص. 8–9.

[2] – عبد السلام مسدي، مرجع سابق، ص. 196.

[3] – زيد بن علي الوزير، مرجع سابق، ص. 9.

إن مصطلح (Colonization) يعني لدى المحتل ما يقوم به المُعَمِر من إعمار الأرض وإصلاحها في الأقاليم التي احتلها في ما كان يعرف بأقاليم ما وراء البحار. وبذلك تم استبدال كلمة احتلال باستعمار في اللغة العربية ولفظ (Occupation) بلفظ (Colonisation) في اللغات الأجنبية. واستخدام كلمة "الاستعمار" خديعة واضحة للمعنى العربي، وبقبول الترجمة الكائدة قُدِّم الإحتلال المُرُّ لا في كلمات مستساغة فحسب، بل وفي آناقة مفرطة[1].

إذن، لم تكن تلك الترجمة سوى كيد خفي، وتزيين للفعل القبيح، وتغيير للمعنى الحقيقي، وتلبيس على الفكر الواهي[2]. وإنها لحالة فريدة أن يردد المرء كلمة "الاستعمار" وهي تدل على نظام إعمار بنائي مزدهر فيحاربها باعتبارها احتلالا تخريبيا. لقد امتص اسم "الإستعمار" بعض المقاومة نتيجة لهذا التخدير اللفظي ووُجِد له مدافعون وحماة[3]، فإرتاح إليه المتلقي واطمئن، وهكذا أدى الإصرار على استخدام "الإستعمار" إلى تغطية زيغ المضمون المر.

ولا شك أن هذا المعنى خفف من رؤية الوجه البشع. وتم للمحتل غزو اللغة بعد غزو الأرض وجنحت الأذهان إلى تحميل لفظ الاستعمار الدلالة الواقعة في لفظ الاحتلال. وأصبح للفظة الاستعمار دلالاتين، دلالة في تطابق تام مع الاحتلال ودلالة تقصد استصلاح الأرض البوار واعمار الربوع الخراب واستزراع الحضارة واستنبات التقدم[4].

وصار لاحقا مصطلح (Colonialism) بمعنى "نزعة كولونيالية" يعني النزعة الاحتلالية لدى القوى اليسارية والإنسانية المناهضة للرأسمالية الاستغلالية في

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 5.

[2] – المرجع نفسه، ص. 10.

[3] – المرجع نفسه، ص. 6.

[4] – عبد السلام مسدي، مرجع سابق، ص. 197.

الغرب، قائمة على الاحتكار والنهب. وعند الحركات الوطنية التي قاومت الاحتلال الأجنبي يشير المصطلح بالضرورة إلى استغلال واضطهاد الأهالي[1].

إن الإحتلال ليس استعمارا، وإنما تخريبا لقيم المجتمع ومثله واستبدالها بقيم المحتل ومثله. ثم في "الاحتلال" اقتحام للمكان يتبعه استبداد بالذين هم أهل المكان. وفي "الاستعمار" دلالة على أن أهل الأرض مغلوبون على أمرهم، وأنهم في أشد الحاجة إلى من يستثمر لهم أرضهم ويشيد لهم معمارهم ويستخرج ما في خزائنهم الطبيعية من ثروات[2].

ثم إن ما كان في عصر الاحتلال من إنجازات قد تعطيه معنى "الاستعمار" والبناء إنما هي رؤية سرابية، إذ لم تكن تلك الانجازات بفعل هدف إنساني عام ولكن من أجل صالح البلد الغاصب. لقد كانت هذه الترجمة هي المصيدة الكائدة التي أوقعت المجتمعات في فخاخها، ولو بقي اسم الاحتلال احتلالا فقط ولم يُشب بتزويق لما وجد ذلك التشويش، ولما ألتبس برداء التعمير، ولما تمكن من خلال التسمية المعمارية أن يعمر أفكارا تسلب مقاومته[3].

ثالثا: الترجمة في سياق ما بعد كولونيالي

سنتناول في هدا القسم الاستخدام الإيجابي للترجمة في سياق ما بعد كولونيالي كقناة للمقاومة الهيمنة الثقافية وعدم تكافؤ القوى بين لغات العالم.

1- الترجمة المضادة

[1] – نور الدين ثنيو، مرجع سابق، ص. 65/64.

[2] – المرجع نفسه، ص. 198.

[3] – زيد بن علي الوزير، مرجع سابق، ص. 7.

كانت الترجمة أثناء الحقبة الكولونيالية تستخدم لأغراض أيديولوجية كتحقيق السيطرة وتوسيع نفوذ الإمبراطوريات في العالم والهيمنة على الشعوب وتواريخها وهوياتها وثقافاتها، ودلك من خلال ترجمة النصوص المحلية لاسيما القانونية والدينية والأدبية وتمثيل الأخر سلبا قصد تسهيل الحكم الكولونيالي وتبريره.

أما في الحقبة ما بعد الكولونيالية، أصبحت الترجمة أداة مقاومة ومجابهة يمكن أن يستفيد منها التابع والهامشي، وصارت تستعملها الشعوب المضطهَدة فى عملية تصفية الإرث الكولونيالي والتخلص من شوائبه واستعادة الهوية القومية واللغة الوطنية واسترجاع الثقافة المحلية وتفسير ذواتها وصون أو تقويض تمثيلات الأمة وثقافتها وآدابها وربط الجسور بين الحضارات البشرية.

وهكذا صارت الترجمة وسيلة تساهم في نشأة هوية قومية تبحث عن الإستقلالية وتسعى للتخلص من مخلفات الكولونيالية ويجرى فيها تخطي ثنائية للمركز/الهامش، وتحدد أسسها وبواعثها وتبحث لاسيما مكانتها بين الأمم في العالم. وهذا لا يتم إلا عن طريق ترجمة أثار ثقافية متنوعة تحمل في مكنوناتها أركان الهوية القومية في كل أبعادها.

ولذلك نشطت في البلدان المستقلة حديثا حركة ترجمة الآداب المكتوبة باللغات الكولونيالية إلى اللغات الوطنية. فمثلا في الجزائر، باتت ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية ضرورة ثقافية أيديولوجية وطنية، وهذا حتى يتحقق التواصل بين الأجيال ويتم التآلف بين المثقفين المعربين والمتفرنسين[1].

وهناك ظاهرة جديرة بالإهتمام وهي لجوء **رشيد بوجدرة** إلى ترجمة رواياته الفرنسية إلى العربية، وتحول منذ سنة 1982 فجأة إلى الكتابة بالعربية، وهو لا

[1] – المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص. 94.

يكتفي بذلك، بل يُترجم تارة إلى العربية وطورا إلى الفرنسية[1]. وقد حظيت بعض روايات **آسيا جبار ومالك حداد** بعناية خاصة عند بعض المترجمين، ذلك أن أسيا جبار تمثل صوتا نسويا متفردا في الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية. أما الاهتمام بمالك حداد فإن مرده قبل كل شيء إلى موقفه من اللغة الفرنسية ومن الاستلاب الثقافي وانقطاعه عن الكتابة بالفرنسية يعزز موقف المناهضين للفرنكفونية[2] والمنادين بالرجوع إلى اللغات القومية.

ولا بأس أن نشير أن الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية تقوم في الحقيقة على تحقيق نوع من الترجمة للنص الأصلي، نص العادات والتقاليد والخرافات والأساطير والمؤشرات الثقافية[3]. وبهذا الشكل، تُعد الترجمة إلى اللغة العربية ترجمة من الدرجة الثانية لأن هناك في البداية ترجمة أولى سمحت للأديب الجزائري أن ينقل ثقافته الأصلية العربية إلى فضاء اللغة الفرنسية. وعودة النص إلى منبعه (أي ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية) هي عودة أسطورية لأنها تتم عن طريق متخيل جديد وقنوات جديدة، ويتحقق التواصل الأسطوري من خلال المسافة الممتدة بين النص الثقافي الأصلي، والنص الثقافي الجديد الذي تكشف عنه الترجمة الثانية[4]، ويتحقق التفاعل والحوار بين الطبقات اللسانية المثقفة.

إن ترجمة الأدب هي أساسا إعادة ترجمة[5]، فالترجمة الأولى هي ترجمة الأفكار والمشاعر، أما الترجمة الثانية فهي ترجمة اللغة والثقافة. والترجمة الما بعد كولونيالية هي محاولة لقول نفس الشيء بلغة الأخر، وهي تؤدي إلى امتلاك

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 91.

[2] – المرجع نفسه، ص. 90.

[3] – المرجع نفسه، ص. 87.

[4] – المرجع نفسه، ص. 93.

[5] – إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار الفارابي، بيرقت، 2003، ص. 40.

النص الأصلي من أجل إعادة كتابة الذات[1]، قصد التعبير عن مكنونات النفس الداخلية. ويؤكد مثقفي ما بعد الكولونيالية على ضرورة توظيف الترجمة من أجل خلق صورة ذاتية واقعية للتابع تخلو من القوالب التي تخيلتها آداب أوروبا.

2- الترجمة ما بعد الكولونيالية

يحاول المترجمون ما بعد الكولونياليون استخدام الترجمة كاستراتيجية للمقاومة، تخلخل وتزيح بناء صور عن الثقافات غير الغربية[2]. والمعضلة التي انتابت نظرية ما بعد الكولونيالية، هي إن كانت الترجمة الحالية تلغي الاختلاف بالتمسك بصور ومعتقدات غربية، كيف يمكن للمترجم أن يقدم نسخة أكثر دقة؟ ما هي الأدوات التي يجب إستخدامها لتقويم الترجمة؟ وكيف يمكن استعادة ما تم حذفه أو إخفائه؟ وكيف يمكننا الشروع في إعادة كتابة نصوص بدون الوقوع في شبكات الحقيقة المعرفية نفسها والسلطة التي تتحكم بالنسخ الحالية؟[3]

ومن أكثر النقاد ما بعد الكولونياليين الذين استخدموا الترجمة الما بعد كولونيالية نذكر المفكرة البنغالية سبيفاك التي تعي أن الترجمة ساهمت بشكل كبير في تحريف تاريخ وأدب الثقافات المحلية للشعوب المحتلة بفعل مؤسسات المعرفة الكولونيالية حيث قدمت صور سلبية أعيد نسخها ضمن هذه الثقافات فأثّرت على تشكيل هويتها القومية سلبا.

ولتوضيح نظريتها في الترجمة القائمة على التقويضية قامت سبيفاك بترجمة ثلاث قصص لمهاسويتا ديفي[4] الموجودة في كتاب "خرائط خيالية" من البنغالية* إلى الانكليزية. وهي تستعمل معرفتها بالثقافة الهندية لمساعدة القارئ

---

[1] - Evelyn Kee Mew, La traduction Post-coloniale: Le cas de Maurice, Université de Provence – France, 2009, p. 9.

[2] – إدوين غينتسلر، مرجع سابق، ص. 410.

[3] – المرجع نفسه، ص. 422.

[4] - Mahasweta Devi, Imaginary Maps, 1995.

الغربي على تصور "آخر" ذو ثقافة مختلفة، وترفض أن ترسم ملامح عامة لحياة الهنود الأصليين، وتضع القارىء في سياق بيئة القصة بكتابة تقديم للمترجم، ومقابلة مع المؤلف. وقد أصبح هذا الأسلوب بشكل متزايد أسلوباً هاماً يستخدمه مترجمو ما بعد الكولونيالية[1].

وتستعين سبيفاك باستراتيجيات الترجمة " التغريبية"، فنجدها تختار في أحد عناوين إحدى القصص " مانحة الصدر" (the Breast-giver) عوضاً عن العنوان الأكثر ألفة "المرضعة " (Wet-Nurse) الذي يستخدمه المترجمون عادة.

ومع أن بعض المفكرين انتقد اختيارات سبيفاك التي تحدت بها المألوف أضافت ظلالاً من المعنى في بعض الحالات تعود إليها أكثر مما تعود إلى ديفي، إلا أن معظم عملها الترجمي في الحقيقة أقل ضرراً لكل من الثقافة المصدر أو الثقافة الهدف مقارنة بترجمات أضافت بعض العبارات الأدبية الملطفة على الطريقة الغربية[2]، كما تحول ديفي بعد ترجمة سبيفاك إلى شخصية قومية عالمية.

وتحاول سبيفاك منتقدة العقل المركزي الغربي توضيح الدور الذي تلعبه الترجمة في تطور التاريخ وتشكيل الهويات القومية والثقافات المحلية، والتأثير المتبادل الذي تمارسه النصوص المترجمة على كل من الثقافة الأصل والثقافة المستقبلة، وهكذا أصبحت الترجمة مكوناً أساسياً في نظرية سبيفاك، وتحقق نوعاً من الكتابة المزدوجة في ترجمتها أو ما يعرف بإعادة الكتابة.

رابعا: الترجمة الأدبية كإعادة الكتابة

الترجمة الأدبية هي نقل معاني الآثار الأدبية من لغة إلى أخرى بالحالة نفسها التي قَصَدَ الشاعر أو الأديب أن يكون عليها الأثر الأدبي. وتتنوع هذه

---

[1] – إدوين غينتسلر، مرجع سابق، ص. 426.

[2] – المرجع نفسه، ص ص. 429–430.

الآثار من منظور ترجمي وحسب أجناس الأدب إلى شعر غنائي وقصة قصيرة ورواية ومسرحية[1].

ويعتبر بعض الباحثين الترجمة الأدبية كعملية إعادة كتابة نص أصلي مكتوب بلغة ما ونقله إلى لغة أخرى، أي الانتقال من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى أخر ومن عالم إلى أخر. وهذه الكتابة المعادة –مهما كان مقصدها– تعكس أيديولوجية وشعرية معينتين، وبالتالي تجعل الأدب يؤثر في مجتمع بطريقة معينة[2].

إن فعل الترجمة قلما كان بريئا، فلكل ترجمة هدف محدد، لا بل هو يشكل على الدوام جزءا لا يتجزأ من البيئة الثقافية والسياسية والتاريخية المحيطة به. إن الإستراتيجيات التي يستخدمها المترجمون من أجل ملائمة عملهم للثقافة المستقبلة تعكس السياق الذي تنتج فيه النصوص، كما أن عملية اختيار نص للترجمة تتحكم فيها عوامل سياسية وأيديولوجية خاصة.

إن الترجمة هي أسلوب من أساليب إعادة الكتابة يمارس وفق جملة من المعايير الأيديولوجية والسياسية الكائنة ضمن بنية الثقافة المستقبلة. فالترجمة تعكس الأيديولوجيا وتساهم في تشكيل القوى اللغوية والسياسية[3].

وهناك عوامل تخضع لها عملية استقبال وقبول أو رفض الآثار الأدبية بشكل انتظامي، كالسلطة والأيديولوجيا والمؤسسات والاستغلال[4]، حيث تتلاعب الكتابة المعادة بالأدب ليتم توظيفه بشكل ما في مجتمع ما قصد خدمة أغراض السلطة ومصالحها خاصة، حيث تعد الكتابة المعادة مضاربة تباشر لخدمة النفوذ.

---

[1] – جمال محمد جابر، منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، النص الروائي نموذجا، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2005، ص ص. 52–53.

[2] – أندريه ليفيفر، الترجمة التاريخ الثقافة، ترجمة أحمد مومن، دار الألمعية، 2011، تمهيد، ص ص. 15–16.

[3] – أندريه ليفيفر Andre Lefevere (1945 – 1996) واحد من أهم منظري الترجمة في النصف الثاني من القرن العشرين. له العديد من الكتب والدراسات المنفردة والمشتركة، أهمها " الترجمة وإعادة الكتابة واستغلال الشهرة الأدبية " 1992. درس في أقسام اللغة الانكليزية ببلجيكا والولايات المتحدة.

[4] - Jeremy Munday, op. cit., p. 127.

وقد تقمع الكتابة المعادة التجديد، وتعمل على الإحتواء والتحريف[1]، إذ تقوم الكتابة المعادة بتجميد أدب معين لإبقائه في جنس أدبي المتبع في اللغة والثقافة المهيمنة. فإذا ألقينا النظر على الطبيعة التلاعبية للترجمة في الأدب لوجدنا أن العالم الحالي يدور حسب قوانين القوي واللغات المسيطرة. إن أصحاب السلطة هم المسؤولون عن عملية إعادة كتابة النصوص الأدبية وهم المتحكمون بكيفية استهلاك الجمهور لها، ويدفعهم إلى إعادة الكتابة التماهي مع أو بالضد من الأيديولوجيا المهيمنة، أو التماهي مع الجماليات المهيمنة أو العكس[2].

ولإيضاح هذا الجانب، يقدم البعض نموذج إدوارد فتزجيرالد[3] وهو مثال مترجم (أو معيد الكتابة) من القرن التاسع عشر والذي ترجم رباعيات الشاعر عمر الخيام، إذ يقول أنه :"من التسلية بمكان أن أتخذ ما أشاء من الحريات من هؤلاء الفرس الذين هم–حسب اعتقادي– ليسوا شعراء بأتم معنى الكلمة كي يخيفوا المرء من الزيغ، ولا يحتاجون إلا إلى قليل من الفن لصياغة أعمالهم"[4].

وربما كان من حق فتزجيرالد أن يعيد كتابة أي شعر ويبدع فيه ويؤقلمه مع ثقافته الخاصة كما فعل، غير إنه يظهر جليا في الاقتباس السابق أنه كان ينظر إلى المنظومة الثقافية التي ينحدر منها على أنها أعلى وأرقى منزلة من الثقافة الأخرى. وعلى هذا المنوال، استخدمت الترجمة كأداة لتحريف واحتواء الانجازات الأدبية بلغات أخرى للحضارات الأخرى غير الغربية ولتأكيد سمو الثقافة الأوروبية.

---

[1] - أندريه ليفيفر، مرجع سابق، تمهيد، ص. 16.

[2] - Jeremy Munday, op. cit., p. 128.

[3] – إدوارد فتزجيرالد Edward Fitzgerald (1809 – 1883) شاعر ومترجم إنكليزي.

[4] – إدوارد فتزجيرالد، مقتطف من رسالة إلى أ.ب. كاول E.B. Cowell عام 1857 من كتاب أندريه ليفيفر، مرجع سابق، ص. 166.

ويقوم النظام الأدبي الذي تعمل فيه الترجمة على ثلاثة أسس ألا وهي: المهنيون العاملون ضمن النظام الأدبي، والدعم والرعاية من خارج النظام الأدبي، والجماليات المهيمنة. وتشمل قائمة المهنيين العاملين ضمن النظام الأدبي المترجمين والنقاد والمراجعين والذين يقومون بتشهير عمل ما أو يتجاهلونه من خلال إنتقاداتهم ومراجعاتهم، ضف إلى ذلك، جماعة المدرسين الذين يبرزون عمل ما باعتماده كتابا منهجيا أو نصا للدراسة. بينما تضم قائمة الدعم والرعاية من خارج النظام الأدبي الأفراد والمؤسسات الذين يساهمون في توسيع دائرة قراءة وكتابة وترجمة وإعادة كتابة الأعمال الأدبية والفنية أو عكس ذلك. ويمكن أن يكون الداعم فردا مؤثرا في حقبة تاريخية معينة مثلما هو الحال مع الملكة إليزابيث الأولى وشكسبير في إنكلترا أو هتلر في ألمانيا.

وقد يكون الداعمون جماعات كالناشرين ووسائل الإعلام أو طبقة سياسية أو حزب سياسي أو المؤسسات التي تنظم توزيع الأدب والأفكار الأدبية والأكاديميات الوطنية كالمجامع اللغوية والمجلات العلمية والمؤسسات التربوية[1].

إن الكتابة المعادة ليست نشاطا تحتكره الترجمة، فقد مارس الملوك والسلاطين والمنتصرون عملية إعادة الكتابة منذ سالف العصر والأوان، ولاسيما إعادة كتابة التاريخ . فعلى سبيل المثال، قامت الثقافة الأوروبية في القرن الثامن بتنقيح النصوص العلمية والفنية والتاريخية ومسح كل ما يعطي الفضل لكل ما هو شرقي أو عربي.

إن جوهر عملية إعادة الكتابة كامن في الترجمة والسير الذاتية وجمع المختارات والنقد والتحرير. والترجمة هي أكثر أنواع إعادة الكتابة وضوحا وإدراكا

[1] - Jeremy Munday, op. cit., p. 128.

وربما هي أكثرها تأثيرا لأنها قادرة على عكس صورة كاتب ما أو هذه الأعمال خارج حدود الثقافة الأصلية[1]. كما أنها تساعد على تطور الأدب والمجتمع معا، حيث تعكس الترجمة التجديد في الأعمال الأدبية بتقديم أدوات ومفاهيم وأساليب وأجناس أدبية. ويذهب البعض أبعد من ذلك حيث يقول أن " الترجمات يمكن أن تصبح أعمالا كلاسيكية، وأنه ينبغي على المترجم أن يكون مبدعا عبقريا إذا أراد إرضاء العمل الأصلي ولغته"[2]. ومع أن معظم نقاد الترجمة لا يولون اهتماما بهذا الأمر، فإن الترجمة تؤثر بشكل واضح وكبير على الثقافة المنقول منها، إذ يدل تنوع وتعدد الترجمات لعمل أدبي واحد على غنى وثراء وتعقيد هذا العمل. ولهذا تعددت ترجمات مسرحية عطيل **لشكسبير** ورواية الشيخ والبحر **لهمنغوي** بسبب اختلاف الذائقة الأدبية ولانهائية التأويل وتفسير النصوص في كل زمان ومكان.

وعلى كل حال، تعد الترجمة إعادة كتابة، حيث يراها كبار المترجمين أمثال كـ"إعادة خلق" "عملية تحويل" وكعملية نقل الدم تغذي المترجم، ونوع من الحوار حيث يكون المترجم قارئا فعالا وكاتبا يتمتع بحرية التصرف في أن واحد. إن الترجمة كإعادة كتابة ينبثق عنها نص جديد ثري ويحمل بدوره رسالات عالمية. فإعادة كتابة هي رواية نفس القصة ولكن من منظور مغاير وهي قلب نماذج التمثيل التي فرضها القطب المركزي الأدبي[3].

خامسا: إستراتيجيات الترجمة ما بعد الكولونيالية

لقد نما حس نقدي مرهف لدى الروائي العربي وذلك بفضل التطور الفكري الذي أحدثته مجموعة التراكمات الاجتماعية والسياسية والثقافية، جعله يتعامل مع العقل الغربي بموضوعية وريبة في أن واحد. ونتج عن ذلك بروز عدة أعمال

[1] - Jeremy Munday, op. cit., p. 128.
[2] - Antoine Berman, op. cit., p. 68.
[3] - Evelyn Kee Mew, op. cit., p. 6.

روائية تقوم بنقد الذات ونقد الأنساق الثقافية والسياسية الغربية المهيمنة على العالم العربي الاسلامي والذي لم يتحرر كليا من الكولونيالية بل يظل تابع لها ثقافيا واقتصاديا. فلم تواجه البلدان العربية ظاهرة امتدت في الزمن وصاغت كيانها بالشكل الحالي أقسى وأعنف من الاحتلال. وهكذا ظهرت عدة نماذج للأدب العربي الما بعد الكولونيالي[1].

وكون هذا النوع من الأدب يحاور الأخر ويقف له موقف الند ويسعى لإبراز مكانته في العالم وعرض وجهات نظره ونقد ذاته واستيعاب طبيعة علاقة الشمال بالجنوب على كل الأصعدة، تطرح ترجمة هذا الأدب جملة من التساؤلات أهمها: ما هي الاستراتيجية الملائمة لترجمة الرواية الما بعد الكولونيالية.

لقد سعى المنظرون والمشتغلون في الترجمة إلى ايجاد استراتيجيات كفيلة بحل هذه المعضلة. ومن بين أهم هذه الاستراتيجيات نسلط الضوء على استراتيجيتي " التوطين والتغريب "[2] حيث لاحظ بعض الباحثين[3] ميل المترجمين إلى ترجمة النصوص ترجمة " سلسة وطليقة " وجعلها نسخة شفافة من الأصل.

1- التوطين

يرى البعض الترجمة التوطينية على أنها محاولة إنتاج نص شفاف لدرجة أنه لا يبدو مترجما، حيث تشبه الترجمة الجيدة قطعة من الزجاج لا تلاحظها إلا إذا كان بها بعض العيوب كالخربشات، وفي الحالة المثالية، لا وجود لهذه العيوب،

---

[1] – تيميمون، رشيد بوجدرة (الجزائر)– الأخرون، حسونة المصباحي (المغرب) – قطعة من أوروبا، رضوي عاشور (مصر) – خماسية مدن الملح، عبد الرحمن منيف (السعودية) – الربيع والخريف، حنا مينة (سوريا) – ذخائر الطوفان، سميحة خريس (أردن) – تل اللحم، نجم والي (العراق) – موسم الهجرة إلى الشمال، طيب الصالح (السودان).

[2] - لورانس فينوتي Lawrence Venuti هو صاحب استراتيجتي التوطين(Domesticating) والتغريب (Foreingnizing) في مؤلفه" اختفاء المترجم، تاريخ للترجمة" 1995.

[3] - Lawrence Venuti, The Translator's Invisibility, A History of translation, 1995.

وليس على الترجمة أن تجذب الانتباه لنفسها مطلقا[1]. وهذا ما يقصد بالترجمة التوطينية التي تقصي كل ما هو أجنبي في النص المنقول منه لتعوضه بكل ما هو مألوف في النص المنقول إليه.

وتحاول الترجمة التوطينية أن تتخلص من عنصر الغرابة الثقافية للنص الأصل لكي تصبح الترجمة مقبولة ومفهومة في الثقافة المستقبلة. وهناك من يستخدم مصطلح الترجمة التمثلية إذ أنها تتمثل قيم الثقافة المستقبلة، وأن تتسم بالسمات الثقافية الموجودة في تلك الثقافة لخلق الانطباع بأن النص أصليا وليس نصا مترجما.

وتطغى إستراتيجية التوطين على الثقافة الغربية الأنجلوساكسفونية التي تسعى لتطبيع سمات النص الأصلي ليتم قبولها في تلك الثقافة من خلال محو مميزاته الأسلوبية واللغوية والثقافية. وهكذا تكون الترجمة فصيحة وطليقة وخالية من الركاكة والتراكيب والتعابير الغريبة عن الثقافة المستقبلة، وتقرأ الترجمة بسهولة كما لو أنّها نص كتبه المؤلف الأصلي.

غير أن هذا البناء الأسلوبي السلس في الترجمة بعيد كل البعد من أن يكون مشروعا بريئا ولصيقا بميل المترجمين ونياتهم الحسنة في إنتاج نصوص مقروءة تستقبلها الثقافة المنقول إليها بكل سهولة. فقد هيمنت المعايير الأوروبية على الانتاج الأدبي وضمنت أن أنواعا محددة من النصوص غير الغريبة عن الثقافة الغربية يتم ترجمتها. فعلاوة على المترجم، لدى دور النشر تأثير بالغ على اختيار النصوص للترجمة كونها المسئولة عن ذلك إلى حد كبير[2].

[1] - Lawrence Venuti, The Translator's Invisibility, A History of translation, Routledge, London, 1995, p. 1.
[2] - Marthe Dijk MA, op. cit., p. 24.

كما أن النص المترجم يتم تقييمه على أنه مقبول من قبل المراجعين والقراء عندما يكون طليقا وفصيحا، وعندما يغيب الخصائص اللغوية والأسلوبية للنص المصدر، فتبدو الترجمة شفافة، ما يعطي الانطباع بأنه يعكس شخصية المؤلف الأجنبي أو مقاصده أو المعنى الجوهري للنص الأجنبي، أي الصورة بأن الترجمة في حقيقتها ليست ترجمة بل هي النص الأصلي "[1].

ولابد من الإشارة أن استراتيجية التوطين في الترجمة كانت على الدوام الأوسع توظيفا عبر تاريخ سير وتطور الترجمة لدى الغرب لترجمة النصوص من الثقافات المهمشة إلى الثقافات المركزية، إذ تتفق هذه الإستراتيجية مع مرامي الكولونيالية الأوروبية الساعية إلى دعم التمركز الإثني وتعزيز اللاتوازن في علاقات القوة بين الثقافات.

2- التغريب

تهدف استراتيجية التغريب إلى إبقاء الاختلافات الثقافية الكائنة باللغة المنقول منها في النص المترجم وجعلها مرئية بالنسبة للقارئ فيدركها. وعلى نقيض استراتيجية التوطين، يمكن النظر إلى طريقة التغريب على أنّها شكل من أشكال الكفاح ضد التمركز الإثني والتمييز العنصري والنرجسية الثقافية والإمبريالية لصالح علاقات سياسية ديمقراطية.[2]

كما يلعب هذا النوع من الترجمة دورا حيويا في إعادة بناء الهوية الوطنية ومقاومة الهيمنة الثقافية وهدم الايديولوجيا الكولونيالية. ومع أنها هذه الإستراتيجية رديفة الترجمة الحرفية، إلا أنها أقل جذرية منها في تمسكها بروح الأصل وليس شكله. ولهذا السبب، يدافع العديد من منظري ما بعد الحقبة الكولونيالية عن هذه

[1] - Lawrence Venuti, op. cit., p. 1.
[2] - Ibid., p. 20.

الإستراتيجية الترجمية قصد إعادة نقل النصوص من الثقافات القوية وبالتالي إعادة بناء الهوية الثقافية لشعوب المضطهدة، وتقويض الصور التنميطية والسلبية عن هذه الأخيرة.

وعادة ما يتم في دراسات الترجمة عمل تمييز بين سحب الجمهور إلى النص أو سحب النص إلى الجمهور، أي القيام بالترجمة التغريبية في الحالة الأولى أو الترجمة التوطينية في الحالة الثانية. ولكن من خلال طريقة التغريب، يتمكن المفكرون الما بعد الكولونياليين من وضع القراء وجها لوجه مع واقعية الاختلاف ويساءلون سيادة اللغة القياسية[1]، أي يكتشف القارئ الفروقات الثقافية بين اللغتين.

"إن مسالة عبور النصوص دون أن تحمل معها سياقاتها ونطاق إنتاجها الذي كتبت فيه، وقضية القراء الذين يؤولون هذه النصوص حسب بنية حيز الاستقبال الذي هم مدمجين فيه، هي أمور تنجم عنها تأويلات خاطئة وهائلة"[2].

وخلاصة القول، لا يمكن أن تكون الترجمة توطينية أو تغريبية بشكل تام، بل يتم توظيف هاتين الاستراتيجيتين بحسب الغرض من الترجمة أولا، ثم بحسب الجمهور المستقبل الذي قد تَقِل أو تعظم لديه المعرفة النوعية للغتين المنقول منها وإليها ثانيا. فباللجوء إلى إستراتيجية التغريب، يصبح النص حاويا لكم كبير من المعلومات الجديدة ما يجعل القارئ تائها.

وفي الحالة المعاكسة، أي في الترجمة التوطينية الخالية من الرموز والمؤشرات الثقافية الأجنبية، يفقد القارئ الإثارة والاهتمام بالنص المترجم.

---

[1] - Susan Bassnett and André Lefevere, Post-colonial Translation, Introduction, Routledge, London, 1999, p. 13

[2] - Pierre Bourdieu, Forschen und Handeln, Recherche et action, J. Jurt, Freiburg, Rombach, 2004, p. 23.

إذن يتعين على المترجم أن يوازن كمية الشروحات التي يستعين إليها والمتعلقة بالرموز الثقافية الخاصة وألا يغالي في وضعها. إن استعمال أقل عدد من الشروحات يؤدي إلى أسلوب طليق وسلس لأنه لا يوجد ما يقطع عملية القراءة. ولكن من المحتمل ألا يفهم القارئ الرموز الثقافية الخاصة في حالة عدم شرحها وتفسيرها[1].

لقد كانت الترجمة في صميم اللقاء الكولونيالي، حيث لعبت دورا بالغ الأهمية في تسهيل عملية الاحتلال الأوروبي في العالم، من أجل تشويه صور الشعوب المستعبدة والهيمنة عليها وهذا بالاستعانة إلى خدمات الأنثروبولوجيين الذين عَمِلوا على اكتشاف ثقافة الآخر قصد السيطرة عليه.

كما استعملت الترجمة لتجميل مكانة الثقافات الغربية على حساب الثقافات الأخرى، وبواسطة الترجمة أيضا تلاعبت السياسة باللغة لتزيين أجندتها فراحت تسمي أفعال الإحتلال والغزو "استعمارا" بمعنى البناء والإعمار.

وفي هذه المرحلة من الزمن اهتم المفكرون بقلب الأمور، فاتجهوا نحو الترجمة لفك ثنائية "الأنا والآخر" والتخلص من الإرث الكولونيالي، فحدث تلاقح بين نظريات الترجمة ومناهج فكرية أخرى ولاسيما الدراسات الما بعد كولونيالية، وهذا بعد أن تَنَحت النظريات اللسانية جانبا وسُلِّط الضوء على الترجمة بوصفها نشاطا يقع بين الثقافات.

وقد تَرَّكَز الاهتمام على "الترجمة مابعد الكولونيالية"، وهو تيار فكري تستخدم فيه الترجمة كقناة مقاومة ضد التبعية الكولونيالية وكوسيلة لاستعادة الهويات والثقافات القومية وتوطيد أواصر الحوار بين الشعوب.

[1] - Marthe Dijk MA, op. cit., p. 38.

ومن بين الاهتمامات الأخرى في هذا المجال نجد "الترجمة كعملية إعادة كتابة"، وهو مشروع ثقافي تتم فيه دراسة العوامل السياسية والأيديولوجية المتحكمة في أنظمة الإنتاج الأدبي وهيمنة الأعراف الأوروبية على عملية اختيار نص للترجمة فارضة معاييرها الخاصة، وكذلك استراتيجيات الترجمة التي يراها ملائمة للثقافة المستقبلة.

وقد ضمنت تلك الأعراف أن الترجمات يجب أن تكون سلسلة وفصيحة حتى يتم قبولها في الثقافة الغربية باستعمال استراتيجية "التوطين"، بينما تحافظ استراتيجية "التغريب" على الفروقات الثقافية الأجنبية فينقلها إلى اللغة المنقول إليها، وتبنى هذه الاستراتيجية العديد من منظري ما بعد الكولونيالية بغية مقاومة الهيمنة الثقافية الغربية وإعادة بناء الهوية الوطنية والتعبير عن مشروعية التعدد والتمايز الثقافي والأحقية في الإختلاف.

لقد كشفت نظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية عن تورط الثقافة في أفعال السياسة والأيديولوجيا التي تَحتَل مكانة هامة في الأدب الروائي بحيث وُظِّفَ كوسيلة لخدمة مآرب الإمبريالية الأوروبية وتبرير أفعالها الكولونيالية، وهو ما يعرف عموما بـ "الأدب الكولونيالي"، فقد تمت صياغته وفق منظور سلطوي وعنصري يُؤمِن بضرورة ومشروعية الهيمنة الأوروبية على العالم.

وكانت الإستجابة قوِّية حملتها الكتابات المُسَمّاة بـ "الآداب ما بعد الكولونيالية" الرامية إلى تصحيح صورة الأمم المقموعة وإعادة كتابة تاريخها وتدمير مقولات الرجل الأبيض الاستعلائية ورفض سيطرته البطريركية. وهي وإن كانت في معظمها آداب مكتوبة بلغات أوروبا المهيمنة على اللغات القومية في الجنوب، إلا أنها تحمل رسالة تناشد التحرر وتدافع عن الثقافات المحلية والهويات الوطنية وتعبر عن همومها وأمالها.

وتعتبر الترجمة التعجيمية أفضل سبيل لنقل هده الرسالة بواسطة تصدير آداب محلية راقية إلى الخارج تظهر التمايز الثقافي، وتحقق مكاسب ثقافية هامة للأمم العربية لتقدم للعالم وجهها الحضاري الحقيقي وتتخطى عزلتها وحصارها الثقافي وتحطم صورها المشوهة، فتشكل صور جديدة مشرقة في عيون الأخر تليق بمنزلتها ومكانتها بين شعوب المعمورة وتفتح أفاق الحوار وحسن الجوار..

ولقد مر حين من الدهر والترجمة تعد مجرد فعل فني وجمالي لا يمت بصلة للأيديولوجيا والسياسة. لكن الحفر في التاريخ الكولونيالي الذي يتم الكشف عنه حاليا برهن بقاطع الدليل أن الترجمة ليست فعالية بريئة وغير منحازة بل هي مشحونة إلى حد بعيد بالموازين الثقافية والأهداف الأيديولوجية وتستغل لتحقيق مصالح السلطة.

وبالفعل، لقد ساندت الترجمة أوروبا في عملية إخضاع شعوب العالم إلى هيمنتها، وذلك بترجمة آدابها وقوانينها مُشوِّهة حضارتها وتواريخها وهذا بمساعدة الأنثروبولوجيين الذين درسوا الثقافات الآخرى وطمسوا حقائقها لخدمة أجندة أوطانهم الإمبريالية.

كما استعملت الترجمة لتصوير الثقافات الأوروبية على أنها راقية ومتقدمة مقابل تمثيلات سلبية للتابع كأسطورة الأصلاني الكسول التي رَوَّجت لها سرديات الغرب. وتلاعبت السياسة الكولونيالية باللغة عبر قناة الترجمة عندما أطلقت على حركة "الإحتلال" مصطلح "الإستعمار" قصد التمويه والمغالطة.

إن هذا الانتقال من الترجمة بصفتها نصوصا إلى الترجمة باعتبارها ثقافة وسياسة، يطلق عليه تعبير "المنعطف الثقافي" يضم عدد من التخصصات لعل أبرزها دراسات الترجمة والكولونيالية والترجمة كإعادة كتابة[1].

[1] – محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، مصر، 2003، ص. 241.

ولذلك راح مثقفو الحقبة ما بعد الكولونيالية في الاتجاه المعاكس للترجمة الكولونيالية قصد تحطيم الثنائيات العنصرية وتخطي الآثار الثقافية للمركزية الأوروبية، أو ما يسمى بالترجمة مابعد الكولونيالية، وهو إتجاه تصير فيه الترجمة وسيلة للتصدي للتبعية الكولونيالية.

وتعد "الترجمة كإعادة كتابة" إتجاه ثقافي يفحص الضغوط التي يخضع لها الإنتاج الأدبي وهيمنة المعايير الأوروبية على الترجمة الأدبية، إذ ينبغي للترجمات أن تقرأ على أنها أصلية كي يتم قبولها في الثقافة الغربية، وهذا باستخدام استراتيجية "التوطين".

بينما تستعمل استراتيجية "التغريب" للمحافظة على الخصائص الثقافية الأجنبية عند الترجمة، قصد مجابهة السيطرة الثقافية وإعادة بناء الهويات الوطنية والتعبير عن مشروعية التعدد والتمايز الثقافي.

وفي كل الأحوال، لا يمكن أن تكون الترجمة توطينية أو تغريبية بشكل تام، بل يتم توظيف هاتين الاستراتيجيتين بحسب الغرض من الترجمة والجمهور المستقبل.

الفصل الثاني

دراسة وصفية تحليلية لكتاب "الترجمة والإمبراطورية"

المبحث الأول: دراسات الترجمة والتاريخ الكولونيالي

المبحث الثاني: دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية في الوقت الراهن

الفصل الثاني: دراسة وصفية تحليلية لكتاب "الترجمة والإمبراطورية"

لطالما كانت دراسة الترجمة تتمحور حول ثنائيات: ترجمة الكلمات أو ترجمة المعنى. لكن هذا أصبح أكثر تعقيدا اليوم بظهور وجهات نظر متباينة ولاسيما منهج جديد نشأ في ثمانينات القرن العشرين من رحم الأنثروبولوجيا والتاريخ الكولونيالي، وهو دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية التي بزغت لدى مؤرخين يدرسون الثقافات ومسائل التواصل بين أنثروبولوجي العالم الأول وسكان العالم الثالث. وغالبا ما ينطلق علماء الترجمة من اللغة ومميزاتها ولم يهتموا بوجهها الاخر وهو الثقافة إلا مؤخرا، بحيث توسعت دراسات الترجمة لتشمل السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية منذ السبعينات، وتناولت العلاقات بين الثقافات قبل إنتشار الكولونيالية وأثنائها وبعد زوالها.

ولكن مؤرخي ما بعد الكولونيالية قد انطلقوا من قضية التعدد الثقافي ليكتشفوا أن وجه الثقافة الأخر هو اللغة، وأن الترجمة هي من أهم ظواهرها الواجب دراستها، بحيث صارت ترجمة الثقافات متصلة بالأنثروبولوجيا التي تترجم ثقافة شعب ما من لغة إلى أخرى، وبذلك باتت الأنثروبولوجيا في صميم دراسات الترجمة، بعد أن أدرك هؤلاء المؤرخين أن الترجمة تلعب دورا جوهريا في كل عمليات التواصل والتفاعل. وانتقلت الترجمة إلى مركز إهتمام علماء الأنثروبولوجيا، ما كشف النقاب عن جانب أيديولوجي آخر للترجمة كان غير معروف لدى الباحثين فيها إلى عهد قريب، وهو أن ترجمة الأنثروبولوجيا للثقافات ليست بالأمر الشفاف كما يزعم، بل تتحكم فيها معايير سياسية وكولونيالية أيضا. فلقد كان من بين شروط ترسيخ أنظمة السلطة الكولونيالية استخدام وسائل التواصل اللغوي مع المحلي من أجل السيطرة عليه، بحيث لم تكن أساس الحكم الكولونيالي وحسب، بل كانت ضرورية للحفاظ على الأنظمة العسكرية والأيديولوجية.

المبحث الأول: دراسات الترجمة والتاريخ الكولونيالي

سنحاول في هذا المبحث القيام بدراسة وصفية تحليلية لفصول المدونة، بحيث سنقوم بمسح أو عرض للنظريات الواردة في هذا الكتاب، وهذا من أجل إدراك طبيعة العلاقة التي تربط دراسات الترجمة بنظرية ما بعد الكولونيالية. وسنخصص هذا المبحث للمفاهيم والآراء الخاصة بالنظرية ما بعد الكولونيالية والتاريخ الكولونيالي وعلاقتهما بدراسات الترجمة، بحيث وضع المؤلف الفصل الأول من المدونة كمقدمة لدراسات ما بعد الكولونيالية في علاقتها بالترجمة بطريقة مقتضبة.

أما الفصول الخمسة الأولى فاستقصى فيها المؤلف معالم دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية وحدودها، إذ يناقش مسائل ما قبل تاريخ نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية في الفصل الثالث. بينما يعرض روبنسون في الفصل الرابع تاريخ الترجمة كقناة للإمبراطورية في الماضي من خلال ثلاثة أعمال أساسية يحلل مضامينها حول الإمبراطورية البريطانية والاسبانية في الأميركيتين والهند والفيليبين.

أولا: النظرية ما بعد الكولونيالية ودراسات الترجمة

يرى الكاتب أنه من أجل استقصاء العلاقة بين الترجمة والإمبراطورية يجب تجاوز التفكير التقليدي عن الترجمة الذي رسخته التوجهات الفكرية الكلاسيكية التي تعتبر الترجمة نشاط لساني لا يتأثر بالأيديولوجيا، ويسعى إلى إحداث تكافؤ بين النصوص، فلطالما نظر إلى الترجمة كنشاط ألي موضوعي ينقل المعاني من لغة إلى أخرى، ولا يمت بصلة قريبة أو بعيدة للكولونيالية والإمبراطورية.

ولقد كانت الامبراطورية مبعث فخر لمواليها حتى آواخر خمسينات القرن العشرين حين بدأ انتشار حركات التحرر في العالم، وفقدت بذلك الامبراطورية هيبتها ومكانتها، بعد أن ظهرت حقيقتها المتمثلة في الهيمنة السياسية والثقافية، ما عجل نشوء النظرية ما بعد الكولونيالية، وما صاحبه من ظهور الدراسات الثقافية التي تعتبر النظرية ما بعد الكولونيالية كجزء منها.

1- الهيمنة والتذويت والاستدعاء

ومن أهم المفاهيم في النظرية ما بعد الكولونيالية نجد مصطلح "الهيمنة" الذي جاء به المنظر الإيطالي أنطونيو غرامشي[1] الذي يفسر من خلاله علاقة الحاكم بالمحكوم، ويبين الاستراتيجية التي يستخدمها الحاكم للسيطرة على المحكوم حتى لا يتمكن من الفكاك من هذه الهيمنة عن طريق تمكين أيديولوجيتها.

أما "التذويت" و"الاستدعاء" فهي من المصطلحات التي جاء بها ألتوسير[2] لتحديد العلاقة بين الأنا والآخر ويتم من خلالهما إخضاع الفرد لصالح السلطة. والشخص لا يصبح ذاتا قبل أن تستدعيه أجهزة الدولة الأيديولوجية كوسائل الإعلام والصحافة والأدب والتي تعمل على الإخضاع، ففي نظريته يشتمل التذويت دوما على كل من دفع الشخص إلى إدراك واع ومكتمل والسيطرة عليه في آن معا.

أما الاستدعاء فهو يشير إلى دعوة الشخص إلى الذاتية/الإخضاع، والفكرة هنا أنك بتسميتك شخصا ما شيئا ما، خاصة من موقع السلطة تحول ذلك الشخص إلى الشيء المسمى، فأن تسمي أو تستدعي الشعوب الأصلية بأنهم همج يعني أن تذوتهم بوصفهم بريين غير متحضرين وغير عقلانيين. وبهذا يغدون خاضعين

---

[1] - Antonio Gramsci (1891- 1937) فيلسوف إيطالي ومنظر سياسي ومناضل ماركسي.

[2] - لوي بيير ألتوسير Louis Pierre Althusser (1918 - 1990) فيلسوف ماركسي فرنسي من مواليد الجزائر، كان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي، وأحد أهم المنظرين الماركسيين في القرن العشرين.

للمحتل بوصفهم ذواتا همجية[1]، فالاستدعاء يتم من خلال نداء الرجل الأوروبي للآخر بوصفه متخلفا وبدائيا، ولهذا فهو خاضع للمحتل كونه ذاتا غير متطورة.

وتستفيد النظرية ما بعد الكولونيالية في تفسير العلاقة بين الأنا والآخر القائمة على الاستدعاء والتذويت، بحيث يرى الاحتلال في فعله رسالة تحضيرية للشعوب، والاستدعاء يتمثل في اعتقاد أن تلك الأمم بدائية، فلابد من تطويرها. وهكذا يتم تذويت الأخر المحلي، باعتباره ذاتا أدنى من الذات الأوروبية، فالشعوب تبقى على الذاتية التي استدعيت بها حتى بعد حصولها على الاستقلال الرسمي.

وتعد الترجمة من أهم وسائل الاستدعاء، فمثلا زودت الترجمات الأوروبية للنصوص الهندية الهندي المتعلم بسلسة كاملة من الصور الاستشراقية. ولهذا يرى البعض ضرورة إعادة ترجمة النصوص والذوات الأصلية، أي إعادة إستدعاء هؤلاء الهنود لإزالة الصفات التي ذوتتها بهم القوى الكولونيالية.

بيد أن صياغة هوية جديدة هو أمر أساسي ومستحيل في الآن ذاته حسب ما بعد الكولونياليين، لأن الكولونيالية طمست الثقافات المحلية وما بعد الكولونيالية تسعى إلى تقديم صور أكثر إيجابية. وهذا أمر مستحيل لأن الخطاب الكولونيالي هو الذي يقف وراء هذه المساعي، وهكذا يتم تشكيل هوية جديدة بالأساليب الكولونيالية القديمة، وبالتالي لا يمكن التخلص من شرك الكولونيالية.

ويرى الكاتب أن التجربة الكولونيالية تنشأ من تقاطع اللغة والمكان والذات، وهذا لأنها "تشتمل على الانتقال من مكان إلى أخر وعلى أشكال من الانخلاع يمكن أن تكون مادية أو ثقافية، كأن تضطهد ثقافة معينة من قبل ثقافة يزعم أنها أرقى فلا تعود تشعر أنها في موطنها"[2]، ولأن الاستدعاء يتم من خلال تشابك

---

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر ديب، الطبعة 2، دار الفرقد، سوريا، 2009، ص. 47.

[2] – المرجع نفسه، ص ص. 49–50.

الذات واللغة التي تؤثر كثيرا على الذات والمكان لدى السكان الكولونياليين والأصليين.

وبعد الاستقلال تكافح الشعوب لإعادة خلق اللغة والذات كما كانتا قبل الاحتلال، غير أن المجتمعات ما بعد الكولونيالية غالبا ما تكون حالات ثقافية هجينة، فهي تشتمل على ثقافة المحتل وثقافة الأصليين، بالإضافة إلى أفراد هجينين نتيجة التزاوج بين الطرفين، ما يجعل التخوم اللغوية بينهما غير واضحة.

2- الكريولية اللغوية

وغالبا ما تشهد هذه الثقافات ما بعد الكولونيالية ظاهرة تعرف بالكريولية اللغوية" وهي اختلاط ثقافي لغوي، يلقى معارضة من قبل القوميين المحليين الذين يحاولون إعادة خلق لغة/ثقافة ما قبل كولونيالية نقية صفيت منها أثار الاحتلال.

لكن البعض الأخر يرى أن الكريولية اللغوية إثراء عبر ثقافي للغة من خلال التصالب الثقافي، فهي توفر أشكالا من الإبداع والفكر لا يمكن أن نجدها في المجتمعات التي تبدو أحادية الثقافة، فحين تختلط لغتان معجميا ونحويا لا يكون الناتج لغة ثالثة ينبغي اعتبارها ارتدادا عن أي نقاء سابق، بقدر ما يكون تنوعا مثمرا ضمن هذه اللغة أو تلك أو كلتيهما[1].

وفي الواقع، عدد متزايد من مؤرخي ما بعد الكولونيالية يشجعون هذا النوع من الاختلاط والهجانة الثقافية والتي هي السبب وراء عدم قابلية الثقافات للترجمة بالنسبة لبابا، إذ يرى أن الثقافات غير قابلة للترجمة ليس لخصوصيتها وتميزها عن الثقافات الأخرى، بل لكونها متمازجة دوما مع ثقافات أخرى، لأن الترجمة حتى تقوم بدورها التواصلي، يجب أن يكون هناك اختلافات ثابتة بين ثقافتين ولغتيهما.

وبالرغم من ذلك، هذا الاختلاط بين اللغات في الثقافات المهاجرة والحدودية يجعل من الترجمة ممكنة في الوقت نفسه، فثنائيو اللغة لا يكفون عن

[1] – المرجع نفسه، ص. 52.

الترجمة. وهكذا يرى بابا أن الثقافات الحدودية الهجينة قابلة للترجمة "الترجمة الثقافية" أو "غير قابلة للترجمة" في الآن ذاته. ويلقى مفهوم الثقافة الحدودية عناية متزايدة من قبل مفكري ما بعد الكولونيالية، إذ أنه يملأ الفراغ بين ثقافات العالم الأول والعالم الثالث، ويوفر سبل التواصل الثقافي.

3- الشتات

ومن أهم المصطلحات المستخدمة في هذا الصدد، هناك مصطلح "الشتات" الذي كان يشير آنفا إلى الوحدة العرقية والثقافية التي تجمع بين أفراد الشعب المشتت، والذي غدا في الدراسات ما بعد الكولونيالية الأحدث تمثيلا للاختلاف والغربة والاختلاط. وهذا يعني أننا تكيفنا جزئيا مع ظروفنا الثقافية الجديدة بتمثلنا معايير المحليين وقيمهم وباختلاط دمائنا بدمائهم، لكننا لا نزال نحتفظ جزئيا أيضا بآثار ما كنا عليه في السابق.

إن فئات الشتات تعيش على اختلاط الثقافات واللغات والأجناس، وإن كان هذا الشتات أو "الثقافة الحدودية" يجعل من الترجمة بمعناها التقليدي أمرا مستحيلا، فإنه يجعلها جزءا هاما من الواقع اليومي، فالترجمة في العالم ما بعد الكولونيالي لم تعد مجرد عملية نقل للمعنى يجريها على النصوص محترفون ذو مهارات لغوية وثقافية، بل غدت على أساس قدر كبير من التواصل العادي اليومي[1].

ولكن ما علاقة ذلك كله بالامبراطورية؟

إن العلاقة بين دراسة التاريخ الكولونيالي القديم وبين الترجمة هي أمر حديث نسبيا، ويمكن لدراسات ما بعد الكولونيالية التي تدرس الشعوب التي احتلتها أوروبا سابقا أن تساعد في تقصي هذه العلاقة. ولقد شرعت الدراسة في الترجمة بعلاقتها بالإمبراطورية بين أواسط ثمانينات القرن العشرين حين أدرك الباحثون أن الترجمة كانت دوما وسيلة أساسية للاحتلال والتواصل مع الرعايا والسيطرة عليهم.

[1] – المرجع نفسه، ص ص. 57-58.

ثانيا: تاريخ نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية

يعالج روبنسون في هذا الفصل تاريخ الترجمة كإمبراطورية قبل ظهور دراسات ما بعد الكولونيالية، أي المقاربات القديمة التي اكتشفت الصلات بين الترجمة والإمبراطورية، ولاسيما تلك التي تتناول تلك العلاقات بشكل مجازي، أو "تتستر" على تلك العلاقات لكي تقصي الامبراطورية من النقاش حول الترجمة.

1- بودار التنظير في الترجمة

ويُعد شيشيرون أول من نظّر للترجمة، بحيث نادى بعدم التشبث بالنص المنقول منه وترجمة المعاني ترجمة طليقة يرتاح لها القارئ. وقد حذى حذوه الكثير من المنظرين بعده كجيروم الذي أطلق على هذا المنهج تسمية "الترجمة معنى مقابل معنى"، والذي تحول إلى نظرية في الترجمة سائدة في الغرب.

بيد أن روبنسون لا يعتبر شيشيرون كأول منظر للترجمة، فهناك أفكار حول الترجمة لا ينظر إليها كنظريات ترجمة ظهرت قبله بأكثر من ألفي عام في مصر الفرعونية، وتظهر تعليقات على الترجمة كنقوش في أضرحة أمراء فراعنة الذين يصفون أنفسهم بـ "رعاة المترجمين"، تصف صفقات عقدها هؤلاء مع النوبيين.

وإن كانت هذه التعليقات لا تعتبر غالبا نظرية في الترجمة، لأنها لم تتطرق للطريقة الأفضل لتحقيق التكافؤ الدلالي، لكن من المهم أن يعرف المترجم كيف صيغت أول نظريات الترجمة وكيف تطورت زمنيا وكيف غدت معايير يجب اتباعها، وكيف تم انتقادها من أجل توسيع المنظور الضيق التقليدي حول الترجمة.

وهناك مُعَلِق آخر على الترجمة المصرية هو المؤرخ الإيوني هيرودوت[1] الذي تطرق في كتابه إلى قضية الترجمة بوصفها إمبراطورية بشكل واضح، حيث يحكي قصة الملك المصري بسميتاك الذي راح يسعى للإنتقام من خصومه الذين نفوه، فوجد حلفاء أجانب من إيونيا تدخلوا عسكريا وساعدوه لاستعادة العرش.

وكمكافأة لصنيعهم وهبهم بسميتاك قطع أراضي قرب نهر النيل، وأرسل بعض الصبية المصريين إلى إيونيا لتعلم اليونانية بطلاقة ويتعلموا ترجمتها. وبذلك خرق هذا الملك الحدود الفاصلة بين الثقافتين، وحدث تواصل بينهما بواسطة الترجمة، وهكذا بدأ نقل العلم والفلسفة والديانة من مصر إلى اليونان التي كانت بدائية تماما آنذاك.

2- الترجمة عند شيشيرون وهوراس

ويوضح الكاتب هذا الاهتمام بالطبيعة الامبراطورية للترجمة من خلال مقتطفات مختارة من شيشيرون وهوراس اللذان يُعتبران من المؤسسي الأوائل للنظرية اللغوية في الترجمة، بحيث غدت مقاربة المعنى هي السائدة في أوروبا.

غير أنه عادة ما يستشهد بكل منهما خارج السياق ويساء قراءة أقوالهما ولاسيما هوراس الذي يقول:" ولا تعنى بالنقل الحرفي كالمترجم ضعيف الفؤاد"[2]، وكان يقصد بذلك عملية إعادة كتابة القصص أو "المحاكاة الحرة".

ولقد كان هوراس يحذر المؤلف الروماني من التشبث بالنص الأصلي اليوناني، بل يدعوه إلى التحرر والإبداع. وهذا يعني تَمَلُّك روما الامبراطورية ثقافة الإغريق وأدبهم وفلسفتهم بعد أن أطاحت بهم سياسيا. وكان هذا التَمَلُّك واضحا

---

[1] – هيرودوت Herodotus (حوالي 484 ق.م – 425 ق.م) مؤرخ إغريقي عرف بفضل كتابه "تاريخ هيرودوتس" الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط.

[2]– دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص. 97.

لدى شيشرون الذي اختار ترجمة بعض الخطب الاغريقية ترجمة حرة إلى اللاتينية. وهذا الاهتمام بالثقافة الإغريقية ما هو إلا مشروع ما بعد كولونيالي روماني، يطمح إلى التخلص من سيطرتها وإزاحتها وفتحها وإبراز أصالة الرومان، وقطع أواصر المديونية إلى عظماء اليونان التي كانت إمبراطورية يوما ما.

ووفقا لروبنسون، كان زمن شيشرون وهوراس في الواقع الفترات من تاريخ العالم حدث فيها أول مشروع ما بعد كولونيالي. فقد كان الأدباء والفلاسفة الرومان في موضع بناء تقليد أدبي خاص بهم بعد تخلصهم من هيمنة الإغريق، والتراث الذي وضع أمامهم كان الأعمال الأدبية والعلمية من الثقافة اليونانية الوثنية القديمة التي ساهمت بشكل كبير في تطوير التقاليد الأدبية والجمالية الخاصة بالرومان.

ولقد كان على الكنيسة الرومانية التعامل مع معتقدات ما قبل المسيحية من الإغريق والرومان، ولهذا تم إعادة كتابة الآثار الأدبية للمؤلفين مثل هوميروس وأفلاطون وأوفيد أو فيرجيل، وترجمتها بإضفاء طابع مسيحي عليها.

هذا التقليد من التثاقف أو التملك استمر على مر العصور وأصبح واحد من أكثر الطرق الفعالة للإمبراطورية أثناء عملية إعادة تشكيل "الآخر"، نابع من نظرية (Translatio Studii et Imperii) "[1] أو "ترجمة المعرفة والامبراطورية" الذي يؤكد روبنسون على أهميتها في مرحلة الترجمة ما بعد الكولونيالية.

[1] – وتعني كلمة Translatio في اللاتينية كلا من الحركة والنقل والترجمة، أما Imperii فتشير إلى كل من السلطة والسياسية، و Studii تشير إلى المعرفة والثقافة. وبذلك تعني" Translatio Imperii الى نقل السلطة، وهو مفهوم ظهر في العصور الوسطى واصفا التاريخ كتسلسل خطي من إمبراطورية إلى أخرى.
أما Translatio Studi فتعني حرفيا "نقل المعرفة" من مكان إلى آخر. ويفسر هذا المفهوم الكيفية التي يتم بها نقل الأدب عبر الزمان والمكان كما يوفر لمحة عامة عن التراث الفكري. ويرتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بـ Translatio Imperii، الذي يصف بالمثل حركة الهيمنة الإمبريالية، بحيث النقل للحكم يساعد على نقل للثقافة، والعكس صحيح، يستخدم استعارة أشعة الشمس لوصف حركة ضوء المعرفة من الشرق إلى الغرب.

3- ترجمة المعرفة والامبراطورية

تشير هذه العبارة اللاتينية إلى الحركة الجغرافية والزمنية للمعرفة والسيطرة الإمبريالية بين حضارة وأخرى من الشرق إلى الغرب. فكما تنقل السلطة السياسية من ثقافة إلى أخرى، تنقل معها المعرفة والأفكار وتترجم، وهذا يعني أن ترجمة الثقافة وترجمة الامبراطورية يسيران جنبا إلى جنب. وكان يعتقد في القرون الوسطى أن هذه السلطة قد "ترجمت" ونقلت من مصر إلى اليونان إلى روما إلى فرنسا إلى بريطانيا دون أن يتغير جوهرها.

4- "أخذ الأصل أسيرا" أو الترجمة الحرة

وهناك استعارة تشير إلى الاقتران بين الترجمة والامبراطورية تظهر في رسالة القديس جيروم إلى باماخيوس أين يدافع عن الترجمة الحرة ويصفها بلغة "الأسر" حيث يرى أن على المترجم أن "يسوق النص الأصلي كما يفعل بعض الفاتحين أسيرا الى لغة بلاده".

والفكرة وراء هذه الاستعارة هو "أن المترجم، بدلا من ترك نفسه يكون" مقيدا " بالسلاسل من قبل المؤلف الأصلي من خلال الترجمة الحرفية "الاستعبادية"، ينبغي عليه أن يستولي على النص ومعناه، وبالتالي على المؤلف الأصلي والثقافة المنقول منها، ويستعبدهما[1]، وأن يوقع معنى النص أسيرا بين يديه.

وعادة ما تقرأ هذه المقولة "أخذ الأصل أسيرا" على أنها استعارة وأن جيروم يعني بها الترجمة "معنى مقابل معنى" ليس إلا، ومع هذا لا يستشهد بها كثيرا من بين أقوال جيروم، لأن المقاطع التي تشير إلى الامبراطورية لا يستشهد بها كثيرا عمدا، ويتم التركيز فقط على المقاطع التي تعنى بالترجمة اللغوية المحضة.

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص. 105.

غير أن هذه الصورة المجازية تميل إلى اعتبار الثقافة المنقول منها بأنها قاصرة والثقافة المنقول إليها متفوقة عليها، وهذا يدعو إلى التفكير في الترجمة بلغة القوة والصراع، فهي ليست مجرد عملية تقنية للتوصل إلى التكافؤ بل مسألة نزاع.

وهناك ارتباط قوي بين الاستعارات التقليدية التي تصل للترجمة بالامبراطورية ومسألة الجنوسة[1]، بحيث تتعقب لوري تشمبرلين في دراستها[2] أصول المجازات الذكورية في الترجمة ابتداء من القرن السادس عشر، لتسائل المجازات الجنسية التي تضفى على الترجمة من شاكلة الصور التي تربط الترجمة بجمال المرأة وخيانتها، فالمرأة تكون غير صادقة وغير أمينة عندما تكون جميلة وكذلك هي الترجمة، بحيث تكون المقاربة بين الترجمة (امرأة) والأصل (الزوج، الأب المؤلف) بمعنى أن يكون أحدهما أصيلا وذكوريا والآخر ثانويا وأنثويا.

ثم يعود روبنسون إلى جيروم وأتباعه الذين يرون"أخذ الأصل أسيرا" إنجازا يثير الإعجاب، على عكس الألمان الذين غدت هذه الاستعارة التي تصور المترجم فاتحا صورة سلبية، فهاجموا الترجمات الفرنسية التمثلية للنصوص الأجنبية.

ولم تلبث هذه الصورة حتى تغيرت لدى الرومانتكيون الألمان في القرن الثامن عشر، بحيث تحول هدف الترجمة من الحفاظ على أجنبية الاخر إلى الفتح.

وقد سبقهم الرومانتكيون الألمان في ذلك التصريح عن الترجمة وعلاقتها بالإمبراطورية العديد من الأوروبيين منذ آواخر القرن الخامس عشر حين تفشت "حمى الامبراطورية" في أوروبا، وأصبحت بذلك هذه الاستعارات تمثل صورة "المترجم كالفاتح" عبر التاريخ.

---

[1] – تعتبر الباحثات النسويات مفهوم الجنوسة إشكالية ثقافية تعود إلى التصنيف الاجتماعي للذكر والأنثى، وأن هناك فرق بين الجنس والجنوسة، فالجنس هو الطبيعة الجسدية للإنسان، أما الجنوسة فهي مجموعة العلاقات التي تمنحها المنظومة الاجتماعية للمرأة والرجل من أجل تسيير حياتهما، بحيث ترى سيمون دو بوفوار في مقولتها المشهورة أن" المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة بفعل تأثرها اليومي بالجنوسة".

[2] - Lori Chamberline, Gender and the Metaphorics of Translation, 1998.

ثالثا: دور الترجمة في سياق كولونيالي في الماضي

في هذا الفصل يلقي روبنسون نظرة عن كثب إلى ثلاثة أعمال حول الترجمة والإمبراطورية الأوروبية، ويركز على تحليلها للأساليب التي عملت بها الترجمة كوسيلة لاحتلال الشعوب "البدائية" في كل من الأميركيتين والهند والفليبين.

1- كتاب "شعرية الإمبريالية" لإريك تشيفيتز

يتطرق تشيفيتز في هذا الكتاب إلى احتلال الإنجليز للعالم الجديد في القرن السادس عشر، وتبدأ الكولونيالية بالنسبة له بأسطورة عن الترجمة الامبراطورية، تحكي أن الأوروبيون لما اكتشفوا أمريكا وجدوا عرقا بشريا يفتقر إلى كل مميزات الحضارة، بحيث يقوم الخطيب أو "المحتل" بإقناع هؤلاء "البدائيين" بجلب الحضارة إلى عالمهم عن طريق ترجمة كلامهم "المتخلف" إلى لغته "الراقية".

إن الغاية من الترجمة هو تحضير "العاري" و"الأبكم" وتعليمه الفصاحة وارتداء اللباس. ويوضح تشيفيتز أن مشكلات الترجمة بين اللغات تكون حاضرة دوما ضمن كل لغة، وأن التصور الكولونيالي الشائع الذي يرى أن مشكلات التواصل هي مشكلات خارجية تتعلق دوما بلغة الأخر بوصفها لغة "بدائية"، هو ضرب من الاسقاط الدفاعي لصراعات داخلية تتعلق بلغته وقدرته على الفصاحة.

وترى الكولونيالية أن كل من البدائي والمتحضر يقفان على طرفي التاريخ التطوري، الأول في مرحلة مبكرة، والثاني في مرحلة متقدمة. لذلك يجب تسريع تلك السيرورة التطورية بترجمة البري إلى متحضر، وغالبا ما ينتظر من الترجمة أن تسد الفجوات بين هذه اللغات الواقعة على أقصى طرفي سيرورة التطور، فهي ضرورية لحل مشكلة التواصل بين المتحضر والبدائي.

غير أن النواقص التي تجعل من هذا البدائي" في حاجة إلى الحضارة، هي ذاتها العوائق التي تقف أمام الترجمة وعملية التحضير وتجعلها مستحيلة، فهو أدنى وبحاجة إلى الترقي وعاجز عنه في الآن ذاته لأنه أدنى.

ولذلك فإن فشل الترجمة في إنجاز تلك المهمة الكولونيالية "التحضيرية" يؤدي الى عنف الامبراطورية. بمعنى أن وقوع إخفاق في الحوار بين الاثنين، والذي تصوره الكولونيالية على أنه يعود الى نقص لدى المحلي، وليس للاختلاف الثقافي، هو الحجة التي تبرر بها الامبراطورية هيمنتها وقوتها ولجوئها إلى العنف.

ويرى تشيفيتز أن الفكر الكولونيالي يصنف الكلمات والبشر والأشياء حسب أيديولوجيته، ويتم فيه التلاعب اللغوي بالمعاني الحرفية والمجازية. ويلاحظ أن كلمة الحرفي (Literal) لم تكن الكلمة الضد لمفردة استعاري (metaphorial) بل كلمة الصحيح (Proper). كما يلاحظ أن "الاستعاري" كان دوما سيئة السمعة، بوصفه غير صحيح وغير مألوف وغريب، شأنه شأن الأجنبي وغير الوطني.

وينتقل تشيفيتز من كلمة صحيح (Proper) إلى كلمة ملكية (Property)، مع أننا لا نستعمل هذه الأخيرة في الانجليزية للإشارة إلى الشيء الصحيح بل (Propriety). ولقد تغير معنى (Proper) و(Propriety) في الانجليزية بعض الشيء ولم تعد تصلهما صلة واضحة بالملكية.

كما أن معنى (Property) يشكل مشكلة ترجمة معقدة بالنسبة للكولونيالية، فهو يتحدث عن "استحالة ترجمة التصور الانجليزي عن بيع الأرض إلى تلك اللغات، التي لا تحتوي على مفهوم الأرض بوصفها (Property) ملكية أو سلعة قابلة لتحويل ملكيتها أو نقلها".

ومن الواضح أن مشكلة الترجمة هذه هي مشكلة قانونية وفلسفية، فالأوروبيون لا يكفيهم الاستيلاء على أرض الهنود ببساطة، بل يسعون إلى إيجاد

مبرر يجعلهم يمتلكونها شرعيا. فالمشروع الكولونيالي يستند بقوة على افتراض أن الأوروبيين هم المتحضرون وليس الهمج الذين يسرقون أرض الأخرين[1].

وكان أحد الحلول في الإصرار على أن الهنود لا يملكون هذه الأرض لأنهم يفتقرون إلى أي مفهوم بالملكية. ولكن الحل الأمثل كان تحويل الأرض المشاع إلى ملكية عبر عملية ترجمة مزدوجة، تتم فيها أولا ترجمة الأرض المشاع على أنها ملك للهنود ثم ترجمتها للانجليز ثانيا، بحيث يقول القانون الانجليزي الذي يستخدم مصطلح (Translate) للإشارة إلى النقل الفعلي للملكية، أن مكتشف الأرض له حق حصري بامتلاكها.

إنّ عملية "ترجمة" الملكية هذه ليست مجرد إيديولوجية للفتح فقط، بل إنها أيضاً صدام ثقافات، ينمّ على الصعوبة التي تتّسم بها الترجمة حتى بالنسبة للفاتحين الذين لا يريدون احتلال أراضي الآخرين وحسب بل أيضاً تبرير ذلك الاحتلال لإرضاء أنفسهم[2] من خلال الترجمة بوصفها حركةً تاريخية من المعرفة والإمبراطورية من الشرق إلى الغرب، ذلك أنّها توفرّ للإمبراطورية التسويغ الرئيس.

إنّ هذه الحركة الإمبراطورية عادةً ما تكون مبنيّة على ثنائية المركز والهامش: فالمركز هو موقع القوة، والهامش كلّ ما هو خارج عن ذلك. وفي الواقع لم يكن هنالك مركز واحد بل إنَّ مصطلح "ترجمة الإمبراطورية" ذاته يعني أنَّ المركز ينتقل عبر القرون من أثينا إلى روما إلى باريس إلى لندن إلى نيويورك[3].

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 137.

[2] – المرجع نفسه، ص. 141.

[3] – المرجع نفسه، ص. 142.

2- كتاب "موقع الترجمة" لتيجاسويني نيرانجانا

يتناول روبنسون هنا كتاب "موقع الترجمة" لإحدى أهم منظّري الترجمة ما بعد الكولونيالية وهي تيجاسويني نيرانجانا، تتطرق فيه إلى العملية التي تقوم بريطانيا من خلالها بوسم الهنود "بطابع جديد" عبر ترجمة قوانينهم وآدابهم إلى الإنجليزية وبترجمة الأدب الأوروبيّ إلى لغات الهند.

وتعتبر نيرانجانا أن هذه العملية "استدعاءا" للهنود بوصفهم إنجليز ولكن من مرتبة ثانية، وهذا ما يضمن بقاء روح الامبراطورية مغروسة فيهم حتى بعد الاستقلال. إن الغاية الكولونيالية المزعومة هي تحضير الهنود، فهمّ بحاجة لهذا الترقيّ. أما في الواقع فالهدف هو ازدهار التجارة البريطانية وتوسّع الرأسمالية".

وكان فعل الترجمة فعل تصحيح وإصلاح وتنقية للنصوص من عظمة الهند السابقة والرغبة في الكلام بالنيابة عن الهنود، لأنه لا يمكن الاعتماد عليهم في تفسير ثقافتهم وذواتهم، لذلك فهم بحاجة إلى الأوروبي للقيام بالترجمة القوانين لهم، فتلك لا تُدْرَك على أنّها مبادئ قانونية، إلاّ في ترجمتها الإنجليزية، فتتحول على إلى شبيهٍ بالقوانين البريطانيّة.

وتتحول الترجمة النصوص القانونية والأدبية الهندية على صورة الهيمنة الكولونيالية، وتُجْعَل "إنجليزية"، وذلك في الوقت الذي تُقْدَّم على أنّها لا تزال هندية في جوهرها، بحيث تتمثَّل الطريقة المثلى المتاحة أمام الهنود كيما يكونوا "هنوداً" حقّاً بالمحافظة على التراث القوميّ وتأويله بدقّة[1].

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص. 149.

3- كتاب "الإصابة بالكولونيالية" لفاينست رفاييل

وفيما بعد يتعرض روبنسون إلى كتاب "الإصابة بالكولونيالية" لفاينست رفاييل الذي يستكشف التحولات التاريخية في مجتمع التاغالوغ في الفيليبين في ظلّ الحكم الإسبانيّ المبكر من عمليات الفتح والهداية المسيحية المتشابكة.

ويرى رفاييل أن المصطلحات الإسبانية (Conversion) (هداية)، و(Conquista) (فتح)، و(Traduccion) (ترجمة) هي كلمات مترابطة دلالياً، فالأولى تعني حرفيّاً عملية تحويل شيء ما إلى آخر؛ وهي غالبا ما تشير إلى استمالة أحد ما إلى ديانةٍ ما، أما الثانية فتشير إلى الاحتلال وإلى إخضاع أحدٍ ما طوعاً. وبذلك يمكن للهداية، شأن الفتح، أن تكون عملية عبور المرء وانتقاله إلى ميدانٍ إلى سواه ـ مناطقياً، أو دينياً، أو ثقافيا. وهكذا تسير الهداية والفتح جنباً إلى جنب، في هداية التاغالوغ إلى المسيحية، وتحويلهم إلى صورة الإسبان.

ولقد غدت الترجمة ذلك الحدّ الأوسط الأساسيّ بين الفتح والهداية، وذلك لأنّ الطرفان يتحدثان لغات مختلفة ولأن المسيحية تتطلّب هدايتهم من خلال ترجمة النصوص المسيحية إلى اللغات المحلية، و"ترجمة التاغالوغ" وتحويلهم إلى إسبان مسيحيين.

ويتناول رفاييل الطريقة التي تُرْجِمَت بها العقيدة المسيحية إلى اللغات المحلية فالمصطلحات التي لم يجد لها الإسبان مقابلات في التاغالوغية، نقِلَت حرفياً، فهذه اللغة من وجهة المبشّرين غير قادرة على التعبير عن المسيحية.

ويبدي رفاييل اهتماماً كبيراً بتراتبية اللغات: ففي القمة، هناك اللاتينية، لغة الكاثوليكيّة؛ وفي الوسط، هناك القشتالية، لغة الإمبراطورية الإسبانية؛ وفي الاسفل، هناك التاغالوغية، لأنها ما تزال غارقةً في الوثنية.

وقد عنت هذه التراتبية للمبشِّرين الإسبان أنّ كلّ لغة مستهدفة هي أضعف حتماً، وأقل ملاءمة للحقيقة المسيحية، من اللغة التي تشكّل مصدراً بالنسبة لها، فالتاغالوغية أقل ملاءمة من القشتالية والقشتالية أقلّ ملاءمةً من اللاتينية. ومن هنا كان ينبغي تقريب التاغالوغية من الله؛ بتحويلها إلى لغات أشبه باللاتينية والقشتالية.

ويتفحّص رفاييل عدداً من المجالات التي وقعت فيها هذه "الهداية" الإسبانية للتاغالوغية، خاصةً التحوِّل المتعلق بنظام الاعتراف الكنسي، بحيث ينبغي على المهتدين أن يعيدوا صياغة ماضيهم في سَرْدٍ عن الخطيئة والتوبة. وبذلك "يُتَرْجَم" الناطق بالتاغالوغية أو "يُهْدى" ويُحَوَّل إلى نادمٍ مسيحيٍّ، ويصبح يحمل بداخله هجانة ثقافية ولغوية ودينية، وكما يلاحظ رفاييل، فإنَّ ذلك "الطابع الجديد" هو منشطر نوعياً، يعكس ذلك الصدام الداخلي بين المحتل والأصلي.

إن المسافة بين دراسات ما بعد الكولونيالية ودراسات الترجمة قد اختصرت على مر السنين، وهذا بسبب إدراك مفكرو ما بعد الكولونيالية أن الثقافة تتوسطها اللغة، وأن الترجمة هي ظاهرة متعددة الثقافات ذات أهمية بالغة في مجال دراستهم، بعد أن تغيرت نظرية الترجمة في أواخر القرن العشرين من تحليل ترجمة النصوص إلى ترجمة الثقافات، حيث تظهر دراسات ما بعد الكولونيالية والدراسات الثقافية الأخرى، وبالتالي، أصبحت ما بعد الكولونيالية جزء من دراسات الترجمة.

ومن بين الثنائيات القديمة في دراسات الترجمة: الترجمة "كلمة بكلمة" مقابل الترجمة "معنى مقابل معنى". وكان أول واحد كتب عن هذه المسألة هو شيشرون، لكن المؤلف لا يعتبر الأقوال التي أدلى بها شيشرون أول نظرية الترجمة، لأنه سبقه في ذلك اليونانيون والمصريون.

ثم يقدم روبنسون نماذج عن ممارسة الترجمة قديما كاستعارات الترجمة لدى جيروم الذي كان أول منظر يسك مصطلح "ترجمة المعنى"، إذ يرى أن المترجم لا ينبغي أن يخلص للكاتب الأصلي، بل عليه أن يسيطر على النص والثقافة الأصل ويوقعهما أسراء بين يديه. وتدل هذه الاستعارات على أن الترجمة لديها علاقات وثيقة مع الإمبراطورية والاحتلال، بحيث يمكن للمرء أن يرى كيف هاته الحقائق المتأصلة في فعل الترجمة تعني ضمنيا حقيقة العنف والسلب للغة وثقافة أخرى.

وعلى الرغم من أن معظم مناهج ما بعد الكولونيالية تركز على قضية "الشرق" ضد "الغرب"، إلا أن أصول السيطرة على "الآخر" وإعادة صياغة صورته تعود إلى أزمنة شيشرون وهوراس وجيروم، فهي عملية أجريت داخل الحضارة الغربية، بحيث كان يدعو هؤلاء المنظرين الرومان إلى التخلص من هيمنة الثقافة الإغريقية وفتحها وإزاحتها وإبراز عظمة الرومان، وهذا من خلال ترجمة أعمالهم.

وصار هذا التقليد من التملك من أكثر الأساليب الفعالة للإمبراطورية أثناء عملية إعادة تشكيل "الآخر"، نابع من نظرية "ترجمة المعرفة والامبراطورية" التي يقصد بها الحركة الجغرافية والزمنية للمعرفة والإمبريالية من حضارة إلى أخرى.

ولتوضيح كيف وُظفت الترجمة كقناة للإمبراطورية، يقوم المؤلف بتحليل دراسات قام بها كل من تشيفيتز ونيرانجانا ورفاييل ومحرز، بحيث يبين تشيفتيز كيف سعى الانجليز إلى تحضير الهنود وتعليمه الفصاحة وارتداء اللباس ومفهوم الملكية الغربي كعملية أولية للاستيلاء على أراضيهم. بينما تناقش نيرانجانا كيف أن الامبراطورية البريطانية استخدمت ترجمة القوانين والأداب الهندية إلى الإنجليزية لإصلاح الهنود وتحويلهم رعاة مطيعين حتى يغدوا مثل البريطانيين. أما رافاييل فهو يفصل كيف فتح الاسبان الفيليبين انفعاليا ولغويا ودينيا من خلال الترجمة التي غدت ذلك الوسيط الرئيس بين الفتح والهداية، كون الطرفان يتحدثان لغات مختلفة، ولأن المسيحية تتطلّب هدايتهم من خلال ترجمة النصوص المسيحية.

المبحث الثاني: دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية في الوقت الراهن

الفصل الثاني هو عبارة عن مراجعة عامة للوضع الراهن للترجمة ما بعد الكولونيالية حسب رأي منظري الترجمة ما بعد الكولونيالية في الفترة الأخيرة. ولا يعد هذا الوضع، في السرد الأسطوري ما بعد الكولونيالي الذي أشار إليه روبنسون في البداية، سوى مرحلة إنتقالية بين ماض قاتم ومستقبل أفضل، وهي فترة تتميز بالهجانة، باعتبارها مزيج من شرور قديمة كبقاء تباينات القوة الكولونيالية حتى بعد الإستقلال، وتوقع ضروب من التحسن في المستقبل كحرية فكر وتعبير متزايدة.

بينما يعالج الفصل الخامس دور الترجمة في سياق ما بعد كولونيالي حسب وجهة نظر هذه الكتب، بوصفها كأداة لتصفية الإرث الكولونيالي في المستقبل بواسطة فتح أفاق جديدة ومثمرة.

ويعالج الكاتب في الفصول الخمسة جل ما قيل حول الترجمة منذ القديم إلى وقتنا الحالي دون إعطاء رأيه بكل موضوعية من مقالا ت ودراسات تهتم من قريب أو بعيد بالترجمة وطبيعتها الإمبراطورية.

بينما يخصص الكاتب الفصل السادس والأخير لمراجعة مقتضبة للانتقادات التي وجهت لنظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية. ويفصح الكاتب فيه أرائه الشخصية حيال هذه النظرية والمقاربات التي تناولتها.

أولا: معالم هذه الدراسات في الحاضر

يرى روبنسون أن الترجمة في النظرية ما بعد كولونيالية تلعب ثلاثة أدوار متتابعة ومتداخلة: دورها كأداة سلبية للإحتلال في الماضي، ودورها كشاهد على عدم التكافؤ الثقافي في الحاضر، ودورها كوسيلة لتصفية الاحتلال في المستقبل،

ويعتقد أنه يمكن اتخاذ المرحلة الثانية كنظرية عامة في الترجمة ما بعد الكولونيالية، لذلك إختار أن يبدأ بها مناقشة تباينات القوة تحت عنصرين أساسين هما: الترجمة والتنظير عبر تباينات القوة.

1- مشكلات الترجمة عبر تباينات القوة

ويَتّبِع روبنسون النقاش فيما يتعلق بمشكلات الترجمة عبر تباينات القوة الأطروحات التي قدمها جاكومون[1] لضروب اختلال توازن القوى الثقافية، وهي أربع أطروحات يقدم أولاها تحت عنوان "ترجمات غير متناسبة"، ويقصد بذلك واقعة أن ثقافات الجنوب المسيطر عليها من ثقافات الشمال المهيمنة تُتَرجم أكثر بكثير مما تترجم هذه الأخيرة من الأولى. كما أن أحجام الترجمة إلى الإنجليزية ومنها غير متناسبة، نظرا للدور المهيمن الذي تلعبه هذه اللغة كونها منتشرة عالميا.

ويعرض روبنسون الأطروحة الثانية تحت عنوان "نصوص مبهمة"، ويشير بذلك إلى واقعة أن الثقافات الشمالية عندما تترجم أعمالا أدبية من الثقافة الجنوبية، يتم وصف هذه الأعمال على أنها صعبة، وغامضة، وباطنية، ولا يمكن أن يفهمها سوى فئة قليلة من المختصين، وتترجم بوصفها كذلك، فتكون مثقلة بالشروحات والهوامش، ممّا ينفر القارئ العادي منها، ما يعزز الصور الاستشراقية عن العالم غير الغربي باعتباره مكان اللغز والأسرار والتعقيد والغرابة.

أما الأطروحة الثالثة "صور نمطية" فترى أن الثقافة المهيمنة لا تترجم من أعمال الكُتاب في الثقافة المسيطر عليها سوى تلك التي تلائم الصور النمطية عن هذه الأخيرة السائدة في الثقافة الأولى، وعادة ما تقوم الثقافة المسيطر عليها بتبني

[1]- ريتشارد جاكومون Richard Jacquemond (1958) باحث ومحاضر فرنسي في الدراسات الاستشراقية، درس اللغة العربية في مصر وفرنسا. ترجم العديد من الأعمال الأدبية الفرنسية إلى اللغة العربية وفي الاتجاه الأخر.

هذه التصورات الاستشراقية. فمثلا يرى جاكومون أن سبب نجاح نجيب محفوظ هو وجود تلك التنميطات المقولبة في كتاباته ما يجعلها مرشحة للترجمة بطلاقة، لأنها تلبي توقعات القارئ الغربي. أما أعماله التي تخلو منها هذه الصور، فإنه لا يتم اختيارها للترجمة[1].

بينما ترى الأطروحة الرابعة "كتابة من أجل الترجمة" أن مؤلفو الثقافة المسيطر عليها ممن يرغبون بأن يقرأهم جمهور واسع، يميلون إلى كتابة أعمال تترجم إلى اللغات الأوروبية المهيمنة ولاسيما الإنجليزية. وهذا يتطلب قدرا من المعرفة بالثقافة الأدبية الأوروبية من أجل الإنصياع للصور النمطية الاستشراقية السائدة فيها حول ثقافة هؤلاء الأدباء وتلبية توقعات القراء الأوروبيين.

2- التنظير عبر تباينات القوة

وفيما يخص مسألة التنظير عبر تباينات القوة، يقوم جاكومون بتمييز بين ما يدعوه "اللحظة الكولونيالية" و"اللحظة ما بعد الكولونيالية"، بحيث يكون المترجم في الأولى عبارة عن وسيط ذليل ينقل الأشياء الأجنبية دون مسائلة إلى الثقافة الخاضعة، أما المترجم العامل في الاتجاه الآخر، فهو شخص موثوق به، يُبقي الثقافة الأخرى بعيدة لتفادي التلوث بها في الوقت الذي يجعلها مفهومة ومقبولة.

بينما تشهد اللحظة الثانية نقدا للترجمة التي "تغرب" ثقافات الأقليات، بعد أن تطور إنتاجها الفكري. ويرى جاكومون أن الثقافات المنقول منها تمارس السيطرة السياسية على الترجمة، عكس ما جاءت به مقاربة "تعدد النظم" والتي تعرضت لنقد الكثير من مفكري ما بعد الكولونيالية.

3- الترجمة في الإثنوغرافيا

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص ص. 67-68.

وبالحديث عن مفكري ما بعد الكولونيالية، يتناول روبنسون مسألة أصول هؤلاء المفكرين، ويرى أنه بالرغم من أن هذه النظرية قد صاغها أبناء العالم الثالث، إلا أن الإرث الكولونيالي يبقى ماثلا، إذ أن قدرا كبيرا من نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية قد كتب في العالم الأول.

ومع هذا يميل معظم منظري ما بعد الكولونيالية باتجاه أعمال باحثي العالم الثالث بوصف أصولهم كضمانة عن صدق التجربة وأصالتها. ومن هؤلاء المفكرين هناك تيجاسويني نيرانجانا التي تقدم في كتابها "موضع الترجمة" نقد للمترجمين، والإتنوغرافيين، والمؤرخين في معالجتهم للثقافات الكولونيالية،

وتسائل نيرانجانا التبني غير النقدي والساذج غالباً للمفاهيم التقليدية في الترجمة، وتعتمد في استقصائها للمقاربات الإثنوغرافية على ديريدا الذي يرى أن الأنثروبولوجيا نشأت إثر اكتشاف الرجل الأوروبي شعوب نائية تختلف عنه في اللغة/الثقافة وأسلوب العيش، ما أدى إلى انتقاد شديد للمركزية العرقية ولفكرة أن معايير أوروبا هي كليات إنسانية أكثر طبيعية من الأنظمة المعيارية الأخرى.

وتلاحظ نيرانجانا أن السبب الرئيس وراء الترجمة في الإثنوغرافيا هو الرغبة في اكتشاف الأخر، فالإثنوغرافي يعتبر نفسه مكتشف البدائي ذلك الذي لا يعرف نفسه بتاتا، فهو يترجم كلامه غير المفهوم إلى اللغات الأوروبية ويتحدث بلسانه.

إن الغرب يعتبر كل ما هو غير غربي ماضي البشرية، فهذا البدائي يعيش مرحلة أبكر في السيرورة التطورية التي تؤدي في النهاية إلى الذات الأوروبية. وهكذا، ترى نيرانجانا أن الترجمة لا تكون شفافة بل تضمر العلاقات غير المتكافئة بين الثقافات واللغات المختلفة.

وكان طلال أسد أول من لفت الانتباه إلى هذه النقطة في الدراسة التي قام بها عام 1987 الموسومة بـ " مفهوم الترجمة الثقافية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية"[1]، حيث يقول أن على عكس المترجم اللغوي العادي، يميل الإثنوغرافي إلى الإعتقاد أنه هو الوحيد القادر على تفسير ممارسات المحلي الاجتماعية، وأنه يفهم المحلي أفضل مما يفهم المحلي نفسه، هذا الاخر الذي يعجز عن الإفصاح عن ثقافته كي يتم ترجمتها تقليديا إلى اللغة الأوروبية.

ولذلك فإن الإثنوغرافي لا يقوم بترجمة ثقافية شفافة وبريئة للنصوص المتعلقة بثقافة المحلي، بل يقوم بترسيخ جملة كبيرة من الخطابات الثقافية وتحويلها إلى نص هدف لا أصل له بمعنى ما أو على الأقل ليس له نص مصدر وحيد.وبصورة عامة، تقدم الأنثروبولوجيا الإجتماعية الأوروبية المحلي، وإن كان متعلما ومثقفا، ومطلعا عل تقاليد مجتمعه وأعرافه، على أنه جاهل، ومتخلف، وغير واع، وعاجز، وصامت يحتاج إلى صوت الإتنوغرافي أو صوت مترجم أوروبي كي يتكلم ويعبر عن نفسه.

ويتناول العديد من منظري وروائيي ما بعد الكولونيالية هذه الصورة السلبية عن المحلي "المتعلم" أو "المتمثل"، الذي بالرغم من تحصله على شهادات علمية عالية في جامعات أوروبية وأمريكية، ونشره لكتب ودراسات متعددة، يبقى دوما ذلك المحلي الصامت الذي هو في حاجة إلى المحلل الغربي كي يتحدث وكي يفهم ذاته، ولا يستطيع إلا أن يوافق على ما يكتبه "المترجم" الغربي. وكما يعلق أسد فإنه إذا ما كانت للمترجم الأنثروبولوجي تلك السلطة النهائية في تحديد معاني الموضوع، فإن هذا المترجم هو الذي يغدو الكاتب الفعلي للأخر.

---

[1]– طلال أسد، Talal Asad (1933) أنثروبولجي أمريكي من أب نمساوي وأم سعودية، ولد بالباكستان واشتهر منذ بداية سبعينات القرن العشرين بنقده للأنثروبولوجيا الغربية بوصفها أسلوب هيمنة على الشعوب.

ثانيا: دور الترجمة في سياقات ما بعد كولونيالية في المستقبل

في هذا الفصل يتتبع روبنسون أمال منظري الترجمة ما بعد الكولونيالية المتعلقة بدور الترجمة في تصفية الكولونيالية مستقبلا، بعد أن استكشف أصحاب هذه الكتب تلك الطرائق المختلفة التي مررت عبرها الترجمة السلطة والقوة، يستكشفون هنا الأساليب التي أمكن بها استخدام الترجمة كقناة لمقاومة الإمبراطورية، ولإعادة البناء ما بعد الكولونيالية أو إعادة توجيهها في المستقبل.

1-نيرانجانا ومشروع "إعادة الترجمة"

ويبدأ روبنسون مع نيرانجانا التي تدافع عن مشروعها "إعادة الترجمة" وهي الترجمة الجذرية لنصوص الشعوب المقهورة بأساليب تسعى إلى دفع عملية تصفية الاحتلال الجارية، ليس باجتثاث الآثار الثقافية التي خلفها بل بتحويلها وإعادة تأطيرها. وهي تحذو حذو بنيامين[1]، فتتصور أن إعادة الترجمة تزداد إنتاجيتها كلما زادت حرفيتها، أي كلما بقيت أقرب ما يمكن إلى النص المنقول منه.

ولا يتفق مشروع إعادة الترجمة لنيرانجانا مع تيار "القومية" الذي يؤمن بأن الثقافات ما بعد الكولونيالية ينبغي أن تعيد اكتشاف جوهرها الأصلي والنقي، يوحد الأمة ويطورها ويتخلص من الإرث الكولونيالية. وهذا ما يوافق عليه العديد من منظري ما بعد الكولونيالية، فهم يعتقدون أن الوضع ما قبل الكولونيالي كان مثالي، ومن الممكن ومن الواجب استرداده وأن الكولونيالية كانت مصدر كل المشاكل. وتلح نيرانجانا أن يستكشف معيد الترجمة تواطئ الأساطير الكولونيالية القديمة مع

[1] – فالتر بنيامين (1892– 1940) (Walter Benjamin) فيلسوف وعالم اجتماع وناقد أدبي ومترجم وكاتب مقالة ماركسي ألماني ويهودي. كان يعتبر لفترة أحد أعضاء مدرسة فرانكفورت في النظرية النقدية.

الأساطير المناهضة للكولونيالية التي تعارضها، فغالبا ما عمل المحتل على استدعاء القومية المحليين واستعمالها ضدهم، بوصفهم غامضون وبدائيون.

وما حدث بعد الاستقلال هو أن القوميون قاموا بتغيير صورة هذه الأساطير القديمة من سلبية إلى إيجابية، وصارت تخدم الأغراض ذاتها في القومية ما بعد الكولونيالية، وغدا الآن في أعلى السلطة ما كان من قبل في الأسفل، وما كان يعتبر بدائيا صار يعتبر الآن الجوهر الحقيقي المجيد لثقافة قديمة جليلة. وتتمثل نتيجة هذا التمثل القومي للأساطير الكولونيالية في قمع الاختلاف والهجنة[1].

وتتطلب الترجمة في سياق عصر ما بعد الكولونيالية بالنسبة لنيرانجانا نوعاً من " استحضار" للماضي، ذلك الماضي الذي لا يمكن أن يستعاد كليا، غير أنه لا يجب تجاهله، فالمترجم يجب أن يجد بين أشلاء الماضي نقاط تجمع لإعادة بنائه.

فهي تقترح أن مهمة المترجم وخاصة المؤرخ أن يسمع الماضي ويصل علاقته بالحاضر، فبالنسبة لمشروعها للترجمة لحقبة ما بعد الاستعمار تنطوي فيه إعادة الترجمة على إعادة كتابة التاريخ.

وهنا تدعو نيرانجانا إلى الترجمة الحرفية باعتبارها الطريقة الأفضل للترجمة وهي تسير على خطى بنجامين الذي يرى أن وحدة الترجمة ليست الجملة بل الكلمة، وأن الترجمة ينبغي أن "تمسك عن التواصل" وتتمسك بالنص المنقول منه.

بيد أن ما يبقى غير واضح لدى نيرانجانا وغيرها من المنظرين المعتمدين على بنيامين مثل فينوتي، هو كيف يصير هذا "الامساك عن التواصل" قناة فعالة لتصفية إرث الكولونيالية، ولاسيما أن هذا الامساك كان دوما مرتبط بالتعمية والغموض والإخفاء، فمن الصعب تخيل أن يكون له نتائج مثمرة على ثقافة ما.

---

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص ص. 167–168.

2- فايسنت رفاييل والترجمة "الخاطئة"

ثم ينتقل روبنسون إلى كتاب رفاييل الذي تتمثّل المهمة التي يضطلع بها في تبيان أنَّ هذا الترجمة الكولونيالية والتحويل لا يعمل قطّ على نحوٍ تام، ذلك أنَّ المضطهدين لا يكفّون عن مقاومة "التحويل" أو "الاستدعاء"، وإعادة بنائه بطرائق لا يمكن التنبؤ بها أو السيطرة عليها.

ويتحدث رفاييل عن الترجمة من حيث الاختيارات التي تعمل على تثبيت النظام الاجتماعي أو مراوغته، ويعيد تركيب شبكات السلطة في الثقافة الفيليبينية من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، كاشفا عن قوى الهيمنة والسيطرة في العملية الاسبانية الهادفة إلى التشكيل الكولونيالي.

ويسعى رفاييل إلى فهم التاغالوغ وهم يحاولون فهم الغزو الاسباني والهداية المسيحية المصاحبة له، ويبين كيف استخدموا سلسلة من ضروب سوء الترجمة اللعوبة للمفردات والعبارات والممارسات الثقافية الاسبانية كممارسة الهداية. فهو على غرار نيرانجانا، يؤمن بإمكانية استعمال الترجمة كوسيلة لمقاومة السلطة الكولونيالية.

ويعارض رفاييل التصورات القومية عن الحالة ما قبل الكولونيالية المثالية التي دمرها الاحتلال، بل هو يحتفي بالهجنة والتمايز الثقافي والكريولية اللغوية. مما يعني أنه يرى الترجمة من منظور إيجابي، فكلما زاد احتفاء المنظر بالهجنة زاد احتمال أن يرى الترجمة كوسيلة فعالة للمقاومة. وكلما زاد اعتقاده بالفردوس ما قبل الكولونيالي وشرور الامبراطورية زاد احتمال شيطنته للترجمة أيضا[1].

وفي محاولته لإيجاد إمكانيات اعادة الترجمة من قبل التاغالوغ، اكتشف رفاييل أدلة على ذلك تعود إلى بدايات الغزو الاسباني، وهي النقاط الأساسية لمشروعه المستقبلي من إعادة الترجمة.

---

[1] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص. 175.

ولكنه على عكس نيرانجانا، لا يتمسك بتوجه "بينجامين" في الترجمة الحرفية على أنها التقنية المناسبة لإعادة الترجمة، وبدلا من ذلك فإنه يستكشف نماذج من الترجمة تقوم بإعادة تأطير التواصل بين الاسبان والتاغالوغ والتعبير الثقافي والتفسير والمقاومة يسميها بـ " الترجمة الخاطئة أو "المغلوطة". ويقوم التاغالوغ من خلال هذه الترجمات بإساءة تأويل خطابات الإسبان، والتي قد تؤخذ كعلامة على عدم فهم التاغالوغ للاسبانية بشكل أحسن، أو غباء الاسبان لأنهم لا يتكلمون التاغالوغية بصورة أفضل، أو سوء نية المبشرين الذين يحاولون فرض ديانة غريبة على شعب خاضع.

ويرى رفاييل أن الاسبان يفتحون الفيليبين ويرغبون في أن يترجموا/يهدوا التاغالوغ إلى رعايا مسيحيين أخيار للإمبراطورية الاسبانية. ولتحقيق هذا الهدف يتعلمون التاغالوغية، ويحاولن تحويلها على صورة اللاتينية والاسبانية، فيفرضون عليها تهجئة رومانية وقواعد لاتينية، ويحاولون تحويلها إلى لغة مسيحية أن يستوردوا لها كلمات لا تقبل الترجمة. هذا التدفق للكلمات الغريبة إلى فضاء التاغالوغ اللغوي والثقافي يحير الفيليبين ويصدمهم، ما ينبههم إلى أهمية التعامل مع الاسبانية وفهمها والتحايل عليها والمكر بها. وهكذا قد يظهر التاغالوغ للإسبان على أنهم أغبياء ومنحرفون، إلا أنها توفر للتاغالوغ مبررا وسياقا للتواصل مع المحتل[1]. وهكذا غدت الترجمة بالنسبة لهم قناة فاعلة للتكيف والمقاومة.

3- سامية محرز والنصوص الهجينة

ويختم روبنسون هذا الفصل مع سامية محرز التي يُعد عملها من المحاولات ما بعد الكولونيالية الحديثة التي تجرى بقصد استخدام الهجنة الثقافية واللغوية استخداما مناسبا. وهي ترى أن اللغة في شمال إفريقيا هي متعددة الطبقات والمراتب، ومتمايزة اجتماعيا وثقافيا سواء على مستوى الأفراد أم الجماعات، وذلك

[1] – المرجع نفسه، ص ص. 184/182.

نتيجة لتاريخ الامبراطورية في تلك المنطقة[1]. غير أن تراتب هذه اللغات يختلف باختلاف فئات المجتمع، فبالنسبة للبعض تكون الفرنسية هي اللغة الأم والبعض الأخر العربية وآخرون تكون اللغة المحلية هي اللغة الأم. وتستكشف محرز الأساليب التي اعتمد فيها كتاب محدثون في شمال إفريقيا إلى طبعات مهجنة من الفرنسية والعربية، بغية تحطيم تراتبيات القوة الكولونيالية بين الفرنسية والعربية ولغات محلية أخرى.

وتركز محرز على الأثر المشوش والمنعش على المدى البعيد الذي ستتركه الهجنة اللغوية على نظرية الترجمة التقليدية التي لطالما اقتضت أو افترضت وجود لغة منقول منها ولغة منقول إليها محددتين على نحو واضح، ولاسيما في الوضع ما بعد الكولونيالي حيث تتلاشى اللغات عبر الحدود، ويصعب وجود لغة منقول منها مفردة ولغة منقول إليها مفردة. هذه النصوص الهجينة نظرا للطبقات الثقافية واللغوية التي تنطوي عليها، أفلحت في فرض لغة جديدة تتحدى فكرة وجود النص الأجنبي الذي يمكن ترجمته أصلا إلى لغة أخرى.

فمع هذا الأدب لم يعد بمقدورنا أن نكتفي بالعناية بتلك الأفكار التقليدية عن التكافؤ اللغوي، أو أفكار الربح أو الخسارة التي لطالما حظيت باهتمام نظرية الترجمة. ذلك أن هذه النصوص قد كتبتها ذوات ما بعد كولونيالية ثنائية اللغة تخلق لغة "بينية" بين الثقافات وبذلك تشغل فضاءا "بينيا".

وفيما بعد تتفحص محرز الظاهرة الكتابة باللغة الكولونيالية او اللغة المحلية لدى كتاب ما بعد الكولونيالية. تلك الارضية الوسطى الاستراتيجية بين الكتابة بلغة عالمية والكتابة بلغة محلية أي ظاهرة خلق لغة بينية. ومن الأساسي والحاسم بالنسبة للنص ما بعد الكولونيالي الأدبي أن يتحدى كل من نماذجه المحلية التقليدية والبنى والمؤسسات السائدة التي يقيمها المحتل وذلك من خلال لغة

[1] – المرجع نفسه، ص. 185.

قدت حديثا، غايتها النهائية هي هدم وتحطيم تراتبيات اللغة بجمعه معا كل من المسيطر والمسيطر عليه. هذه التراتبية التي أسستها الامبراطورية بحيث جعلت لغة القوة الكولونيالية في القمة ولغة المحليين في الأسفل. ومع أفول الامبراطورية اهتزت هذه التراتبيات، بحيث قاتلت جماعات محلية من أجل الصعود، ورأت كل منها أن لغتها هي التي الأنسب للسلطة.

لكن الفكرة التي مفادها أن بعض اللغات أفضل جوهريا من غيرها، وأنسب للحكم والعلم والثقافة بطبيعتها، هي فكرة نادرا ما يطاح بها بسهولة. ويكمن الحل حسب محرز في خلق لغة هجينة كريولية للتخلص من هذه التراتبيات البالية، والمرء الذي يختار هذا الخليط، فإنه يخرق القواعد كما حددتها المعايير الكولونيالية، الأمر الذي يشكل سببا وجيها آخر للقيام بهذه المحاولة.

وعلى العموم، توضح محرز كيف أن العربية والفرنسية والأمازيغية والاسبانية أحيانا تتفاعل جميعها في عملية إعادة الكتابة. وتبين في تحليلها لنصوص روائيين مغاربة أن كثيرا معانيها لا تكون شفرته قابلة للحل إلا على يد القارئ مزدوج اللغة، وهذه التعددية تتحدى التراتبيات القائمة سلفا بين اللغات[1].

ثالثا: تقويم نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية

يختتم روبنسون كتابه بفصل يقوم فيه بمراجعة مقتضبة للانتقادات التي وجهت لنظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية، ويفصح فيه عن أرائه الشخصية حيال هذه النظرية والمقاربات التي تناولتها. ويتمركز نقد روبنسون للنظرية حول مسألة

[1] – إدوين غينتسلر، في نظرية الترجمة: إتجاهات الترجمة المعاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007. ص ص. 454–455.

الطريقة التي ينظر بها إلى الترجمة، ولاسيما أدوارها في مرحلة الاحتلال، وتقنيات الترجمة التي تعتبر جذرية بما يكفي لعدها قوة فعالة لتصفية إرث الكولونيالية.

1- الترجمة تخدم أم تهدم الإمبراطورية؟

ويتناول الجزء الأول من هذه المسألة كيفية تصور الترجمة باعتبارها قناة سلبية تخدم الإمبراطورية، وهذا يتوقف على مدى إضفاء المنظر ما بعد الكولونيالي طابعا مثاليا على حالة المحليين ما قبل الكولونيالية. فكلما نقص هذا الإضفاء الطابع زاد احتمال رؤية المنظر للترجمة كوسيلة فعالة لمقاومة الكولونيالية.

وهذا ما يصحّ على رفاييل، فهو يحتفي بخلائط الثقافة التاغالوغية والإسبانية في المجتمع الفليبينيّ الحديث، رافضا إضفاء طابع مثاليّ على الفيليبين ما قبل الاحتلال. ولهذا فهو يحتفي أيضاً بالترجمة، ساعيا وراء تصوّرِ دورٍ إيجابيّ تلعبه الترجمة، وينظر إليها على أنّها قناةٌ مرنة وإبداعية تخدم التواصل والتبادل.

أما المنظّرون الذين يتوقون إلى الوضع ما قبل الكولونيالية، إنّما يميلون إلى انتقاد الإمبراطورية واعتبار الترجمة فعلاً سلبياً، بوصفها أداةً للإحتلال، وهذا ما يصحّ على تشيفيتز، فهو يرى أن الهنود الأمريكيين كانوا في حالة أفضل قبل قدوم الاحتلال الإنجليزي الذي دمر ثقافتهم الأصلية، كما أنه يُصَوَّر هذا التحويل إلى أنّه سقوط من حالةِ نقاءٍ مفقودة إلى هجنة سلبية وملوثة.

وعلى غرار رفاييل، يدعي تشيفيتز فهم الثقافة المحلية باعتمادهما على مصادر إثنوغرافية مشكوك فيها، إذ جمعها كولونياليون أوروبيون، وهذا ما يجعل اعتقادهم بفهم الثقافات المحلية قبل الكولونيالية محل شك. ولكن الفرق بينهما هو أن رفاييل يرى أن كل من الإسبان والفليبيين كانوا طرفين فاعلين في المواجهة الكولونيالية، أما تشيفيتز فهو يرى أن الهنود الأصليين كانوا مفعولا بهم وضحايا

عاجزين عن المقاومة، بينما كان الإنجليز هم الفاعلون الذين حوّلوا الهنود بكل الطرق واستولوا على أرضهم.

2- أي أنماط الترجمة أكثر فعالية لإنهاء الكولونيالية؟

ويتناول الجزء الثاني من هذه المسألة، إذا ما كان هناك نمط جذري واحد من الترجمة يكون فعالا في عملية التخلص من الكولونيالية، كالتغريب عند فينوتي وإعادة الترجمة عند نيرانجانا والترجمة الخاطئة عند رفاييل. وهذا النوع من الترجمة تقابله الترجمة التوطينية أو التمثُلية أو ما يعرف بالترجمة "معنى مقابل معنى".

ويعتبر هؤلاء المنظرين هذه الترجمة كأداة في يد الثقافات المهيمنة، تقوم باجتثاث كل الاختلافات الثقافية الموجودة بالنصوص الأجنبية، بحيث تحولها إلى نسخ يستسيغها القارئ الغربي، وهو بذلك لا يختبر ثقافات أخرى.

أما كتاب العالم الثالث فهم مضطرون "للكتابة من أجل الترجمة"، ويكيفون أعمالهم الأدبية حتى تلبي توقعات الغرب، ما يؤدي مع الوقت إلى اندثار التمايز الثقافي في العالم. وحل هذه المعضلة بالنسبة للمنظرين سابقي الذكر هو "الترجمة التغريبية" أو "الحرفية" التي يدعون إليها من أجل حماية التنوع الثقافي.

3- التوطين أم التغريب؟

وهنا يقدم روبنسون نقدا لهذه المقاربة الحرفية، ولاسيما مناهج نيرانجانا وفينوتي، وهو يتسائل ما إذا كان تأثير استراتيجيتي التوطين أو التغريب على الثقافة المنقول إليها هو مختلف كما يزعم هؤلاء المنظرون. فليس بالضرورة أن تقوم هذه الترجمات الحرفية التغريبية بالمحافظة على التعدد الثقافي.

ولإثبات ذلك، يأخذ روبنسون قصيدة تنتمي لجنوب الهند تعود للقرن الثاني عشر، قامت نيرانجانا بإعادة ترجمتها باستخدام ترجمة حرفية جذرية، وهو يقترح أن استراتيجياتها في الترجمة مربكة للمترجم الممارس ولا تدمر بالشكل الكافي. ولذلك يعيد ترجمة مقطع من هذه القصيدة، ويقدم ترجمات تستفيد من استراتيجيات التغريبية بشكل يفوق ما قامت به نيرانجانا نفسها[1].

ما إذا كان تأثير أي استراتيجيتي التوطين أو التغريب على قراء اللغة المنقول إليها يمكن توقعه، وأن يكون أحادي البعد، أي سلبيا تماما أو إيجابيا تماما، كما يزعم دعاة التغريبية الذين يرون أن الترجمة التوطينية تفرض الهيمنة الكولونيالية على تفكير القارئ، في حين أن الترجمة التغريبية تساعد على تصفيتها وتفضي إلى فعل سياسي وثقافي يخدم التحرر المطرد من ماضي الكولونيالية.

وهو يقول أنه لا يمكن الزعم أن لكل الترجمات التوطينية نمطا واحدا من الأثر السلبي على جميع القراء وأن لكل الترجمات التغريبية نمطا واحدا من الأثر الإيجابي على جميع القراء. إن اللغات التي تبدو سلسة وتمثلية يمكن تغريبها بمجرد قراءتها بنبرة صوت مختلفة، ويمكن لممثل أو متكلم جيد أن "يطبع" أغرب العبارات وأشدها أجنبية، فلا يلاحظ أحد أي شيء خارج المألوف[2].

ما إذا كانت الترجمة التغريبية تتعلق بالنخبة المثقفة فقط، فمنظري ما بعد الكولونيالية من دعاة التغريب يشككون بما هو شعبوي، إذ يرون أن أي تعبير ثقافي يسعى وراء الجمهور الواسع هو بالضرورة تمثلي وذا أثر كولونيالي لا يسهم في تصفية الاحتلال، وهذا ما يجعلهم نخبويون في نظر روبنسون، لأنهم لا

---

[1] – المرجع نفسه، ص. 420.

[2] – دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية، ص. 204.

يتصلون بالجماهير الواسعة. ومع أن المنظرين أمثال فينوتي ونيرانجانا يكافحون لنقض هذه النخبوية ولوضع الترجمة التغريبية في خدمة سياسية مناهضة للهيمنة، فإن هذا غير ممكن إلى حد ما، فمثلا نيرانجانا تتبع بينجامين في "إمساكه عن التواصل"، فهي تتصور الجمهور الواسع الذي غالبا ما يريد المترجم التواصل معه على أنه محافظ على نحو خطير ويميل إلى كبت الاختلاف والتمايز. والسعي لاستدعاء الهند من جديد بإيصال هند مختلفة إلى الجمهور الهندي، هذا ما يعني إعادة احتلالها وليس تصفية الكولونيالية. فبالنسبة لبنيامين التواصل مع الجمهور هو المتهم، ما يراه روبنسون منطق خاطئ[1].

ما إذا كان الانفصال بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها عند استخدام تقنيتي التوطين والتغريب هو انفصال قار ودائم. فالتمييز بين التقنتين يفترض فصلا ثابتا بين اللغة المنقول منها التي يبدي أصحاب التغريب الولاء المتين لها، واللغة المنقول اليها التي يبدي أصحاب التوطين الولاء المتين لها.

بيد أن النصوص ما بعد الكولونيالية هي نصوص هجينة تجمع بين عدة لغات، فهي تتميز بالكريولية اللغوية والثقافية، ما يطرح إشكالية اختيار الاستراتيجية الملائمة لترجمتها. فعادة ما توجه الترجمة التوطينية إلى الجمهور العام العادي، فيما تخص الترجمة التغريبية القارئ النخبوي، لأنها صعبة وتتطلب معرفة خاصة.

وتكمن أهمية هذه الانتقادات في أن روبنسون يتفحص ويعيد دراسة نتائج استعمال هذه المقاربات النظرية في دراسات الترجمة، ويقترح أن نشاط الترجمة يجب أن يؤخذ بعين الإعتبار عنصر السياق، فالفصل النظري بين الاستراتيجيتين في الترجمة لا أساس له في الواقع التواصلي المعقد للتفاعلات الانسانية.

[1] – المرجع نفسه، ص ص. 204–205.

وفي الأخير يقول روبنسون أن بالرغم من هذا النقد لنظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية، أي نقدها بأن العناصر المحلية والنخبوية لا تزال ماثلة فيها، ونقدها بأنها تصور الترجمة أحيانا ذلك التصوير الضيق والأحادي، إما على أنها مضرة أو نافعة أصلا، لا يعنيان في النهاية سوى أن النزعات الكولونيالية لا تزال باقية هنا، شأنها في كل مجال آخر من حقول التجربة ما بعد الكولونيالية.

تلعب الترجمة في دراسات ما بعد الكولونيالية، حسب روبنسون، ثلاثة أدوار متعاقبة ومتشابكة، يمكن تلخيصها على النحو الأتي: الترجمة كقناة الاحتلال في الماضي، وهذا ما رأيناه في المبحث الأول، والترجمة كأداة تواصل بين المحتل والمحلي بعد زوال الاحتلال في الحاضر، والترجمة كوسيلة لإنهاء الاحتلال وتصفية إرث الكولونيالي مستقبلا.

ويشير الوضع الراهن أن الترجمة والتنظير يتمان عبر تباينات في القوة والسلطة الثقافية، بحيث تترجم الثقافة المهيمن عليها من الثقافة المهيمنة أكثر مما تترجمه هذه الثانية من الأولى.

كما تميل الثقافة المهيمنة لترجمة أعمال مؤلفين من الثقافة المهيمن عليها تكون حاوية للصور النمطية الموجودة في الثقافة المهيمنة عن الثقافة الأخرى، وعادة ما تقدم الأعمال على أنها صعبة وغامضة. وغالبا ما يكتب المؤلفون في هده الثقافة من أجل أن تترجم أعمالهم إلى اللغة المهيمنة.

ويتبقى الدور الثالث للترجمة بوصفها وسيلة لمقاومة الكولونيالية، بحيث تعتقد نيرانجانا أن أقوى سلاح لمقارعة قوى الاحتلال هو "إعادة الترجمة" باستعمال الترجمة الحرفية.

وبدلا من ذلك، تمكن رافاييل من استكشاف سلسلة من "الترجمات الخاطئة" لإعادة صياغة التواصل بين الفيليبين والإسبان. أما سامية محرز فقد قدمت مفهوم

"الهجنة اللغوية" التي يقصد بها أن الأعمال الأدبية ما بعد الكولونيالية هي ثنائية اللغة، لغة المحلي ولغة المحتل، وأنها قد خلقت لغة وسيطة، ما يسقط تراتبية اللغات التي أسستها الكولونيالية.

إن إيجابية أو سلبية الدور الذي لعبته الترجمة أثناء الحقبة الكولونيالية يعتمد على مدى إضفاء المنظر ما بعد الكولونيالي طابعا مثاليا على حالة المحليين ما قبل الكولونيالية. وليس هناك نمط جذري من الترجمة يمكن أن يكون فعالا في التخلص من أثار الكولونيالية، فلا يمكن الزعم أن الترجمة التوطينية أثرا سلبيا على جميع القراء، وأن الترجمة التغريبية أثرا إيجابيا على جميع القراء.

إن تاريخ الكولونيالية هو مرحلة هامة في التاريخ البشري الحديث، ومع أن دراسات الترجمة لا يتم إدخالها في هذا النقاش عادة، فهي غالبا ما ترتبط بالمعنى والتكافؤ والأمانة، إلا أنه لا يمكن التقليل من شأن آثار الترجمة في هذا السياق.

ولا تزال دراسة الترجمة والإمبراطورية تثير الجدل منذ نشأتها في ثمانينات القرن العشرين، بعد أن تحولت نظرية الترجمة من ترجمة اللغة إلى ترجمة الثقافة، ولذلك خصص المؤلف الفصل الأول لتقديم ما بعد الكولونيالية وعلاقتها بالترجمة.

وفي وجهة نظره، لا يعتبر شيشرون أول من نظّر في الترجمة، كون اليونانيون والمصريون قبله قدموا مساهمات جديرة بالذكر لمناهج الترجمة. أما جيروم الروماني فقد حذا حذو شيشيرون وهوراس في ضرورة تملك ثقافة الإغريق، إذ كان يرى أنه لا ينبغي للمترجم أن يخلص للكاتب، بل عليه أن يسيطر على النص وثقافته، فكان أول من سك مصطلح "ترجمة المعنى".

وصار هذا النمط من الترجمة أسلوبا فعالا تستخدمه الإمبراطوريات للإستيلاء على "الآخر"، متأثر بنظرية "ترجمة المعرفة والامبراطورية"، بحيث

يوضح تشيفتيز كيف حاول الانجليز "تحضير" الهنود في أمريكا بغية الاستحواذ على أراضيهم.

بينما تناقش نيرانجانا كيف ترجمت الامبراطورية البريطانية قانون الهند وآدابها إلى الإنجليزية من أجل تحويل الهنود إلى بريطانيين. أما رافاييل فهو يفصل كيف غزا الاسبان الفيليبين عن طريق الترجمة على كل المستويات.

وحسب روبنسون، تلعب الترجمة في دراسات ما بعد الكولونيالية ثلاثة أدوار متتالية ومتداخلة: الترجمة كقناة الاحتلال في الماضي، كما رأينا آنفا، والترجمة كأداة تواصل بين المحتل والمحلي بعد زوال الاحتلال في الحاضر، والترجمة كوسيلة لإنهاء الاحتلال وتصفية إرث الكولونيالي مستقبلا.

وحاليا، تترجم الثقافة المهيمن عليها من الثقافة المهيمنة أكثر مما تترجمه هذه الأخيرة من الأولى، كما أن الأعمال التي تترجم من الثقافات المهيمن عليها. كما تميل الثقافة المهيمنة إلى ترجمة أعمال مؤلفين من الثقافة المهيمن عليها تكون حاوية للتنميطات الموجودة في الثقافة المهيمنة عن الثقافة الأخرى.

وتؤمن نيرانجانا بأن الحل يكمن في استعمال الترجمة كأداة للمقاومة أو "إعادة الترجمة" بشكل جذري وحرفي، أما رافاييل فهو يدعو إلى استخدام "الترجمات الخاطئة". أما سامية محرز فهي ترى أن "الهجنة اللغوية" التي تتسم بها الآداب ما بعد الكولونيالية تقاوم الهيمنة الثقافية الكولونيالية، كونها قد خلقت لغة وسيطة.

وفي الختام، يستنتج روبنسون أنه ليس هناك نمط جذري واحد من الترجمة يمكن أن يكون فعالا في التخلص من أثار الكولونيالية، فلا يمكن الزعم أن الترجمة التوطينية أثرا سلبيا على جميع القراء، وأن الترجمة التغريبية أثرا إيجابيا على القارئ.

الفصل الثالث

دراسة تحليلية ونقدية لترجمة كتاب "الترجمة والإمبراطورية"

المبحث الأول: التعريف بالمدونة والمؤلف والمترجم

المبحث الثاني: تقويم الترجمة

الفصل الثالث: دراسة تحليلية ونقدية لترجمة"الترجمة والامبراطورية"

سنقوم في هذا الفصل بدراسة نقدية للمدونة "الترجمة والامبراطورية" المكتوبة باللغة الانجليزية والتي ترجمها ثائر ديب إلى اللغة العربية وهي اللغة الأم للمترجم. وسنتناول هذه الترجمة من جانب لغوي وثقافي وسياسي في سياق ما بعد كولونيالي، وفي إطار نظرية "إختفاء المترجم" لفينوتي. وسنرى اختيارات ديب الترجمية والتطبيقية في علاقتها بالوضع الراهن للغة العربية وثقافتها في مقابل اللغة الإنجليزية وثقافتها.

ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تقديم أمثلة من المدونة التي رأينا أن ترجمتها تضمنت بعض المشاكل والأخطاء اللغوية والترجمية وما يقابلها من النسخة الأصلية، قصد الوقوف على بعض القرارات التي اتخذها والأخطاء التي وقع فيها المترجم، وعرض الهفوات التي وردت في الترجمة وتحديد الترجمات القابلة للنقاش من المدونة بحيث نقوم بتحليلها والتعليق عليها ونقدها ونقترح البديل الذي ارتأيناه مناسبا لتصويبها.

لقد لاحظنا من خلال الإطلاع على الأصل والترجمة قبل مباشرة العمل التقويمي، وجود مواطن ضعف عديدة في النص المترجم، وأن تقنية الترجمة الحاضرة بصفة كبيرة هي الترجمة المباشرة ولاسيما الترجمة الحرفية، إن لم نقل الترجمة كلمة بكلمة في الكثير من المواضع.

فهناك من يرى فرقا بين هاذين الأسلوبين في الترجمة، فالترجمة كلمة بكلمة تتبع البنية التركيبية للغة المنقول منها وتحافظ على ترتيب كلمات هذه

الأخيرة وتنقل كل معانيها الأولية. بينما تتبع الترجمة الحرفية نظام القواعد النحوية السائدة في اللغة المنقول إليها مع حفاظها على التكافؤ الدلالي للترجمة[1].

بينما يساوي فيني وداربلني بين هاتين الاستراتيجيتين في الترجمة بحيث يقولان أن الترجمة الحرفية أو الترجمة كلمة بكلمة هي النقل المباشر لرسالة نص اللغة المنقول منها إلى نص اللغة المنقول إليها يكون ملائما نحويا واصطلاحا، بحيث لا تتعدى مهمة المترجم الاخلاص للقواعد اللسانية للغة المنقول إليها. كما يقولان في هذا الصدد أن تطبيق الترجمة الحرفية يجب أن يتم بتحفظ لأن ذلك قد يؤدي إلى رسالة قد تعطي معنى آخر، أو لا معنى لها، أو أن تعبيرها ركيك، أو تتنافي مع ما هو سائد في اللغة المنقول إليها، أو أنها تؤدي المعنى ولكنها لا تحافظ على مستوى اللغة نفسه[2].

المبحث الأول: التعريف بالمدونة والمؤلف والمترجم

في البداية سنقوم بتقديم نبذة عن مؤلِف الكتاب دوغلاس روبنسون، وعن مترجم هذا المؤلَف ثائر ديب لإلقاء الضوء قليلا على خلفياتهم الثقافية والسياسية.

أولا: تقديم المدونة

إن كتاب "الترجمة والإمبراطورية" لدوغلاس روبنسون هو من أهم الأعمال التي صدرت في حقل دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية، والتي تعالج قضية ارتباط نظريات الترجمة بالدراسات ما بعد الكولونيالية من عدة جوانب ثقافية وسياسية وتاريخية وإيديولوجية. ظهر كجزء في سلسة مؤلفات تحت عنوان "نظريات الترجمة مشروحة" للمحرر أنطوني بيم[3].

[1] – إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، ص 79

[2] - J.-P. Vinay, J. Darbelnet, op.cit., p. 48/49.

[3] -Anthony Pym, Translation Theories Explained.

ويعتبر هذا الكتاب كمقدمة لنظريات ما بعد الكولونيالية في دراسات الترجمة، فهو يقدم بشكل منهجي وجهة نظر دراسات ما بعد الكولونيالية فيما يتعلق بمجال الترجمة وتطوره والتيارات الرئيسة فيه والمنظرين الأكثر تأثيرا فيه وأعمالهم.

ويعد هذا المؤلف كمقدمة للنصوص والأفكار الأساسية لمنظري الترجمة ما بعد الكولونيالية، فهو يقدم تحليلات لبعض أهم الكتابات المتعلقة بالترجمة في سياق ما بعد الكولونيالية، وخاصة "موقع الترجمة: التاريخ، ما بعد البنيوية، والسياق الاستعماري " لتيجاسويني لنيرانجانا[1]، و"شاعرية الإمبريالية" لإريك تشيفيتز[2] و"الاصابة بالكولونيالية: والهداية المسيحية في مجتمع التاغالوغ في ظلّ الحكم الإسبانيّ المبكر لفايسنت رفاييل[3].

وتكتنف الترجمة نقل الرسائل من لغة إلى أخرى العديد من المصاعب التى قد نجدها نظرًا للاختلاف بين اللغات. ولذلك يتناول هذا الكتاب نظريات تباينات القوة والسلطة والعوامل التي تتحكم في ما يتم ترجمته وكيف يتم ترجمته.

ويتفحص هذا العمل كيفية بقاء المواقف والأفعال الكولونيالية في سوق الترجمة، ويقدم الدراسات ما بعد الكولونيالية التى تناولت العلاقة بين الثقافات وأشكال الترجمة الثقافية والسياسية، كما يتتبع التطور التاريخي للفكر ما بعد الكولونيالي عن الترجمة، فهو يتتبع جذور نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية في الماضي السحيق.

ويرصد هذا الكتاب التحولات التى ظهرت على الترجمة فى مرحلة ما بعد الكولونيالية، فلقد انبثقت نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية عن دراسات

[1] - Tejaswini Niranjana, Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context, University of California Press, 1992.
[2] - Eric Cheyfitz's, The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan, University of Pennsylvania Press, 1997.
[3] - Vicente L. Rafael, Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society Under Early Spanish Rule, Duke University Press Books, 1992.

الأنثروبولوجيا الثقافية في ثمانينات القرن العشرين، وهي في العموم تستند على ملاحظة أن الترجمة كانت غالبا بمثابة قناة هامة تخدم الإمبراطورية.

لهذا يركز عمل روبنسون على كيفية استغلال الاحتلال الأوروبي لعملية الترجمة، وكيف سعت بعض الترجمات إلى ترسيخ الأفكار الإمبريالية، كما يستكشف أيضا التأثيرات السلبية الترجمة في سياق ما بعد الكولونيالية، وكذلك الدور الحاسم الذي لعبته فى تصفية الاحتلال والمعايير الأيديولوجية التي ارتكنت إليها.

ويستكشف الكاتب أيضاً تلك الطرائق التي يمكن استخدامها في المستقبل لإعادة البناء ما بعد الكولونيالية أيضاً. ويتقصى استخدام الترجمة المثالي الذي يزعم التخلص من الارث والفكر الثقافي الكولونيالي. كما يقوم بمراجعة الانتقادات المختلفة لنظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية.

وهذا الكتاب بوجه عام مكتوب بأسلوب سهل وسلس وواضح، يحتوي على مسرد للمصطلحات الأساسية. والنتيجة هي دليل مختصر ومفيد لبعض القضايا الأكثر تعقيدا ومثيرة للجدل في دراسات الترجمة المعاصرة.

ثانيا: المؤلف دوغلاس روبنسون (Douglas Robinson)

دوغلاس روبنسون هو باحث أكاديمي ومترجم وروائي أمريكي، اشتهر بأعماله التي نشرت على نطاق واسع في العالم في دراسات الترجمة ومختلف جوانب التواصل البشري والعلوم الإنسانية (الأدب الأمريكي، نظرية الأدب، نظريات اللغة، ونظرية الجنوسة، والك، ونظرية البلاغية، والخطابة، وفلسفة العقل فلسفة اللغة ودراسات ما بعد الكولونيالية).

من مواليد 30 سبتمبر 1954، ولد دوغلاس جاك روبنسون في لافاييت بولاية إنديانا الأمريكية، لكنه عاش في مدينة لوس أنجلوس حتى سن الثالث عشر، وفي عام 1983 تحصل على دكتوراه تحت عنوان "نهايات العالم الأمريكية".

وفي عام 1971 انتقل إلى فنلندا حيث عاش أربعة عشر عاما، وتحصل على عدة شهادات عليا درجتين الدراسات العليا واشتغل كمحاضر في اللغة الإنجليزية في جامعة يوفاسكولا (1975–1981)، ثم ست سنوات أخرى كأستاذ مساعد / مشارك في اللغة الإنجليزية (1983–1987) وفي الترجمة الانجليزية–الفنلندية (1987–1989) في جامعة تامبيري.

وفي عام 1989 استلم وظيفة أستاذ مساعد في اللغة الإنجليزية في جامعة ميسيسيبي، أكسفورد، حيث عمل هناك لمدة واحد وعشرين سنة، وكان آخر ثلاثة سنوات فيها مدير للجامعة. وفي عام 2010 تم تعيينه كأستاذ كرسي اللغة الإنجليزية ورئيس قسم اللغة الانجليزية في جامعة ينغنان، وكأستاذ كرسي للغة الإنجليزية وعميد كلية الفنون في جامعة هونغ كونغ المعمدانية بعد سنتين. بينما النفوذ روبنسون في مجال دراسات الترجمة هو عالمي على وجه الخصوص، تلقى عمله بحماس في الصين خاصة.

فضلا على ذلك، يهتم روبنسون بمسألة الديانات وتأثيرها في الغرب على التاريخ الاجتماعي والثقافي والتفاعل البشري، ويظهر ذلك من خلال كتبه في تاريخ المسيحية، والأديان القديمة الباطنية، واستكشاف الإيكولوجيا العميقة من الخطابة في الكونفوشيوسية الصينية.

ويعد روبنسون من منظري الترجمة القلائل الذين يمارسون الترجمة فعليا، فقد ترجم العديد من الروايات الفنلندية والمسرحيات والدراسات إلى اللغة الإنجليزية. وقد كتب رواية واحدة باللغة الإنجليزية ولكنها نشرت لأول مرة مترجمة بالفنلندية،

بالإضافة إلى العديد من الكتب المدرسية لطلاب الإنجليزية من الفنلنديين وكتب أخرى في الترجمة، والبراغماتية اللغوية والكتابة.

وبينما يواجه منظرو الترجمة صعوبة أحيانا في تصنيف عمل روبنسون، نجد أسئلته المستفزة تستحث المنظرين، ومراجعته المتواصلة للنظرية مقابلا إياها بالممارسة، قد كفلت له الرواج بين المترجمين الممارسين في العالم. كما أنه يتيح للمترجم التدخل والتشويه وإفساح المجال بغية إبراز الجانب الإبداعي في الترجمة الأدبية[1].

ويبقى عمله الترجمة والإمبراطورية واحد من أخصب البحوث في دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية، لأنه يفتح كثيرا من السبل المثيرة ليس للبحث ما بعد الكولونيالي وحسب بل للممارسة ما بعد الكولونيالية أيضا. وهذه بعض أعماله:

- The Translator's Turn. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991.
- Ring Lardner and the Other. New York: Oxford University Press, 1992.
- No Less a Man: Masculist Art in a Feminist Age. Bowling Green, OH: Bowling Green State University Popular Press, 1994.
- Translation and Taboo. DeKalb: Northern Illinois University Press, 1996.
- What Is Translation? Centrifugal Theories, Critical Interventions. Kent, OH: Kent State University Press, 1997.
- Who Translates? Translator Subjectivities Beyond Reason. Albany: SUNY Press, 2001.
- Performative Linguistics: Speaking and Translating as Doing Things With Words. London: Routledge, 2003.
- Translation and the Problem of Sway. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 2011.
- First-Year Writing and the Somatic Exchange. New York: Hampton, 2012.
- Displacement and the Somatics of Postcolonial Culture. Columbus: Ohio State University Press, 2013 (forthcoming).
- Feeling Extended: Sociality as Extended Body-Becoming-Mind. Cambridge, MA: MIT Press, 2013 (forthcoming).

[1] – إدوين غينتسلر، المرجع نفسه، ص ص. 438–439.

ثالثا: المترجم ثائر ديب

من مواليد 1962 ثائر أحمد علي ديب هو كاتب ومترجم وطبيب سوري، تخرّج من جامعة تشرين–اللاذقية، كاتب مواظب في الصحافة الثقافية والفكرية العربية، مهتم بالترجمة والعمل الثقافي وله كثير من الدراسات والأبحاث المنشورة في الدوريات العربية. حرر عدداً من المواد في "الموسوعة العربية" التي تصدرها الهيئة العامة للموسوعة العربية دمشق.

وهو يدير منذ سنة 2012 فصلية "تبيّن" المحكّمة المعنية بالدراسات الفكرية والثقافية والتي تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. وهو عضو في هيئة تحرير مجلة "الآداب العالمية" الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

وقد كان ديب في أوائل تسعينيات القرن الماضي مدير التأليف والترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة. **وفي عام 1991** أصدر أول الكتب التي ترجمها عن سلسلة «المسرح العالمي» الكويتية.

وفي عام **2010**، صار ديب رئيساً لتحرير مجلة "جسور"، وهي فصلية تُعنى بالترجمة ودراساتها تصدرها الهيئة العامة السورية للكتاب، وقد رسّخت رغم حداثة سنّها حضوراً لافتاً في عصر الانترنت.

توجهاته الفكرية والثقافية متأثرة بأدباء ومنظرين عظماء أمثال الفلاسفة الإغريق والألمان، والبنيويين الفرنسيين، وألتوسير، وغرامشي، وريموند وليامز، وفريدريك جيمسون، وجون راولز، والجاحظ، وابن رشد، والتوحيدي، والعروي، وأنور عبد الملك.

كما أن عمله لا ينحصر في الترجمة، فالمقالات والدراسات التي يقوم بها تشكل جزءٌ متمّمٌ من صورة شخصيته الثقافية والسياسية. وقد اعتقل ديب في سوريا عدة مرّات بسبب انتمائه السياسي اليساري، أطولها من 1987–1991.

وبالرغم من ذلك، لم يتخلّ ديب عن مواقفه الحرة، وقرر هجر الطبّ إلى الأبد ليتفرغ كلية للكتابة والترجمة والنضال السياسي. ولقد قدّم ثائر ديب إلى المكتبة العربية ترجماتٍ لا غنى عنها، تشيع العلم والفكر النقدي ومتعة المعرفة والإبداع، قرابة خمسين مؤلفاً من بينها:

– العلاج النفسي بين الشرق والغرب، آلن واطس، وزارة الثقافة، دمشق، 2005.

– الاستشراق وما بعده، إعجاز أحمد وإدوارد سعيد، دار ورد، دمشق، 2004.

– موقع الثقافة، هومي ك. بابا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.

– فرويد وغير الأوروبيين، إدوارد سعيد، بالمشاركة، دار الآداب، بيروت، 2003.

– فكرة الثقافة، تيري إيغلتون، دار الحوار، اللاذقية، 2001.

– نشوء الرواية، إيان واط، دار شرقيات، القاهرة، 1997.

– نظرية الأدب، تيري إيغلتون، وزارة الثقافة، دمشق، 1995.

– الحريم الفرويدي، بول روزن، دار كنعان، دمشق، 1995.

– النظرية النقدية :مدرسة فرانكفورت، آلان هاو، المركز القومي للترجمة ودار العين، القاهرة، 2010.

– حذار من الدول الصغيرة، ديفيد هيرست، دار الرمال–قبرص، 2013.

المبحث الثاني: تقويم الترجمة

يتضمن هذا المبحث تطبيقا على المدونة التي اخترناها، ومن ثمة سننتقل إلى تحديد الترجمات القابلة للجدل من المدونة، إذ لاحظنا من خلال الإطلاع على الأصل والترجمة قبل مباشرة العمل النقدي والتقويمي، وجود مواطن ضعف عديدة في النص المترجم. وعليه، سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة عناوين بارزة وهي الترجمة الحرفية، وأخطاء النحو والربط والترقيم، والاقتراض، واستخدام المترجم لمقاربة فينوتي في الترجمة.

أولا: الترجمة الحرفية

بوجه عام، يبرز أثر التصاق ديب بالنص الأصلي لروبنسون من خلال أسلوب الترجمة الحرفية الذي اتبعه المترجم في نقل النص، فقد قام بنسخ للنص الأجنبي نسخا يكاد أن يكون تاما، بالرغم من أنه كان متاحا للمترجم عدة خيارات للتعبير عن المعنى ذاته بدقة وأمانة دون التشبث المبالغ فيه بالنص الانجليزي.

ونتيجة لذلك، جاء عدد كبير من مقاطع الترجمة مبهم وغير واضح، ولم يسع المترجم أثناء النقل إلى توضيح المعنى للقارئ، وبذلك فقد اكتست ترجمته الغموض، فلا نكاد نفهم ما يقصد ديب قوله، وذلك راجع لشدة التصاقه بالنص المنقول منه.

ويبدو أن ديب يرى الترجمة الجيدة هي تلك التي تكون شفافة، بمعنى أنها تلتزم بتراكيب اللغوية الموجودة في النص الأصلي، وتفرض على اللغة المنقول إليها أن "تتوسع" لتضم هذه التراكيب والأبنية اللغوية والصيغ التعبيرية الغريبة عنها.

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ديب من مناصري آراء فالتر بنيامين[1] الذي يدعو المترجم إلى أن يتأثر بشدة باللغة المنقول منها، ويقوم بفتح وتوسيع اللغة المنقول إليها، أي أن يسمح لهذه الأخيرة من أن تتأثر باللغة الأجنبية، كما يرى أن مهمة المترجم تتمثل في تحرير من خلال لغته تلك اللغة النقية الخاضعة لنفوذ الاخر، ويحرر اللغة المسجونة في العمل أثناء إعادة خلقه للعمل، وعليه تجاوز عدة عوائق بالية في لغته لأجل اللغة النقية[2].

وقد أدى هذا التقيد بالأصل إلى وقوع المترجم في مطبات، نتج عنها في أغلب الأحيان تراكيب لا تتماشى مع أسلوب وتركيب اللغة العربية، سنتعرض لها فيما يأتي ونستهلها بالترجمة الحرفية. لقد نقل المترجم الكثير من العبارات نقلا حرفيا إلى العربية دون أن يعير اهتماما بالفوارق الموجودة بين اللغتين الانجليزية والعربية، وقدّم بذلك في النسخة العربية أساليب تعبير سيئة وركيكة إلى حد ما. ولتوضيح ذلك سنعرض هنا بعض النماذج التي استعملها المترجم لتطبيق أسلوب الترجمة الحرفية.

مثال 1

Whether there is only one radical mode of translation that can be
1-effective in the decolonizing process, namely a neoliteralism…(p. 108)

لقد ترجم المترجم هده العبارة كالأتي: "ما إذا كان هناك نمط واحد راديكالي من الترجمة يمكن أن يكون فعالا في عملية تصفية الاستعمار، كأن تكون كذلك تلك الحرفية الجديدة" (ص 198).

ونلاحظ هنا أن المترجم ترجم كلمة (namely) بـ (كأن تكون كذلك)، ما جعل أسلوب العبارة هشا وركيكا، ويمكن أن تكون الترجمة بالشكل الموالي: ما إذا كان

---

[1] – فالتر بنيامين Walter Benjamin (1892– 1940) فيلسوف وعالم اجتماع وناقد أدبي ومترجم وكاتب مقالة ماركسي ألماني ويهودي. كان يعتبر لفترة أحد أعضاء مدرسة فرانكفورت في النظرية النقدية.

[2] – إدوين غينتسلر، المرجع نفسه، ص 417.

هناك نمط راديكالي واحد من الترجمة يمكن أن يكون فعالا في عملية تصفية الكولونيالية، كتقنية الترجمة الحرفية الجديدة تلك.

مثال 2:

European historical discourse is the lens that makes it possible for the postcolonial scholar even to imagine seeing India through Indian eyes - and thus that also makes it impossible for that project ever to come to fruition. (p. 20)

لقد كانت ترجمة هده العبارة الإنجليزية كالتالي:"الخطاب التاريخي الأوروبي هو العدسة التي تمكن الباحث ما بعد الكولونيالي حتى من تخيل أنه يرى الهند بعيون هندية، وبذلك يجعل من المستحيل على هذا المشروع أن يثمر أو يسفر عن شيء". (ص 43).

ونلاحظ أن المترجم قد ترجم هذه الجملة (thus that also makes it impossible) بالجملة التالية (بدلك يجعل من المستحيل)، ومن الواضح أن هدا أسلوب ضعيف لا يليق بالنص المترجم، ولدلك نقترح الترجمة الأتية: "الخطاب التاريخي الأوروبي هو العدسة التي تمكن الباحث ما بعد الكولونيالي حتى من تخيل رؤية الهند بعيون هندية، ما يحيل هذا المشروع إلى الفشل".

مثال 3:

"المترجم بدلا من أن 'يقيد' نفسه أو 'يكبلها' إلى الكاتب الأصلي من خلال الترجمة الحرفية أو 'المستعبدة' أو 'الصاغرة'، يسيطر على النص ومعانيه، وبذلك على الكاتب الأصلي والثقافة المصدر، ويستعبدهم" (ص 105)، لقد كانت هده العبارة ترجمة للعبارة الإنجليزية التالية:

The translator rather than letting himself be ‘bound’ or ‘chained’ by the original author through literal or ‘slavish’, ‘servile’ translation, seizes control of the text and its meaning, and thus of the original author of the source culture, and enslaves them. P. 57/58.

نلاحظ في هذه الترجمة أن المترجم استعمل جملة اسمية كما ورد في النسخة الانجليزية، وأضفى على أسلوب العبارة نوعا من الركاكة، فالأفضل في اللغة العربية البدء بجملة فعلية على النحو التالي: يسيطر المترجم على النص ومعانيه، وعلى الكاتب الأصلي والثقافة المنقول منها، ويستعبدهم، بدلا من أن 'يقيد' نفسه أو 'يكبلها' إلى الكاتب الأصلي من خلال الترجمة الحرفية أو 'المستعبدة' أو 'الصاغرة.

مثال 4:

Rafael, for his part, works to inhabit the subjectivity of his ancestors. p. 69.

لقد كانت ترجمة هده الجملة الإنجليزية كالتالي: "يعمل رفاييل، بدوره، على الإقامة في ذات أسلافه" (ص 164).

وهذه ترجمة غامضة ومبهمة إذ لا يفهم القارئ ما يقصده المترجم بقوله (الإقامة في ذات أسلافه)، إن لم يكن لديه النسخة الأصلية، ومن الممكن أن تكون الترجمة على النحو التالي: ويسعى رفاييل بدوره على تفهم ذوات أسلافه من التاغالوغ.

مثال 5:

The language that 'primitive thought…really lives in' has to be translated, transformed, clarified 'in our own'. (p. 41).

وقد قام المترجم بترجمة هده العبارة الإنجليزية كالتالي: "إن اللغة التي هي "الفكر البدائي... يعيش فيها فعليا" يجب أن تترجم، وتحول وتوضح في لغتنا". (ص 79/78).

ونلاحظ هنا أن المترجم تشبث بالأصل فترجم حرفيا العبارة الإنجليزية واحترم ترتيب الكلمات فيها، ما أدى إلى غموض في المعنى ولاسيما في الجملة الأولى"إن اللغة التي هي "الفكر البدائي... يعيش فيها فعليا" التي قد تثير الغرابة في ذهن القارئ، ولذلك يمكن أن تكون ترجمتها بالشكل التالي: "إن اللغة التي يعيش فيها الفكر البدائي فعليا يجب أن تترجم، وتحول وتوضح في لغتنا".

مثال 6:

They will finally get the new sauna and shower room I've been promising them (p. 7).

هده الجملة ترجمها ديب بالشكل الأتي:"سوف يدخلن أخيرا غرفة الساونا والدوش الجديدة التي وعدتهن بإدخالهن إليها" (ص 19).

ونلاحظ هنا إنزياح في المعنى، بحيث يقصد الكاتب أن عائلته سوف يحصلن على غرفة حمام بخاري والمرش الجديدة بمنزلهم، وقارئ الترجمة يفهم أنهم سيدخلون هناك فحسب، ومن المحتمل جدا أن تكون خارج منزلهم. وفضلا عن ذلك، ترجم المترجم كلمتي (sauna and shower) بـ الساونا والدوش، مع أنه يوجد مقابلات عربية لها. ولذلك من الأحسن أن تكون الترجمة كالتالي: "سوف يحصلن أخيرا على غرفة الحمام البخاري والمرش الجديدة التي وعدتهن بها".

مثال 7:

Thinking of translation makes it difficult even to see, and even more difficult to know what to do with, remarks like those found in the tombs of the princes of Elephantine… (p. 47).

وقد تم ترجمة هده الجملة الإنجليزية على هدا النحو: "النظر إلى الترجمة يجعل من الصعب أن نرى، ومن الأصعب أن نعلم كيف نتعامل مع، تلك التعليقات التي نجدها في أضرحة أمراء أليفانتين" (ص 90).

ونلاحظ هنا أن المترجم حافظ على ترتيب الكلمات الموجود في النسخة الأصلية، حيث يفصل بين الفعل ومفعوله جملة كاملة أخرى (نرى، ومن الأصعب أن نعلم كيف نتعامل مع، تلك التعليقات)، ما يجعل عملية القراءة والفهم عسيرة نوعا ما. ولذلك نقترح الترجمة الآتية: إن النظر في مسألة الترجمة يجعل من الصعب ملاحظة تلك التعليقات التي نجدها في أضرحة أمراء أليفانتين، ومن الأصعب أيضا أن نعرف كيفية التعامل معها.

يتجلى من خلال هذه الأمثلة كيف أن النقل الحرفي للنص الأجنبي قد يؤدي إلى غموض المعنى، فقد كان حريا بالمترجم الاستعانة بأحد أساليب الإيضاح في الترجمة، كالإضافة والشرح والتقديم والتأخير، ليقدم معنى كاملا لهاته الجمل ويتفادى التعابير الركيكة المضرة بأسلوب النص العام.

ثانيا: أخطاء النحو والربط والترقيم

إن الوفاء في ترجمة شكل النص قد يعيق عملية إيصال المعنى، كما أن الإخلاص للتراكيب النحوية واللفظية للنص الإنجليزي يؤدي بالضرورة الى التضحية بجزء كبير من أفكار روبنسون، ويقدم نصه في زي عربي تفوح منه رائحة اللغة الإنجليزية.

إن المترجم ديب يحشو قسرا التراكيب اللغوية الأجنبية في النص العربي رغم عدم وجودها في لغته، وهي بنيات دارجة في اللغة الانجليزية على عكس اللغة العربية. ولذلك سنتطرق في هذا القسم إلى أخطاء النحو والربط والترقيم التي وقع فيها المترجم، ونحاول تحليلها واقتراح ترجمات تصوب هذه الأخطاء في الأخير. وسنبدأ بتناول الترجمة التي وردت فيها أخطاء نحوية.

أ – أخطاء النحو

إن الأمثلة في هذا الصدد عديدة، فعلى سبيل المثال، بدأ ديب في ترجمته الكثير من الجمل بأسماء نكرة كما هي موجودة في النص الإنجليزي، أو بشبه جمل بحيث يأتي الفعل الرئيس متأخرا بعد عدة جمل، مع أن اللغة العربية لا تستسيغ هذه الصياغة. وهكذا، أقحم المترجم في اللغة العربية سمة لا تحويها من خلال هذه الترجمات.

ولقد كان في مقدور المترجم استعمال تقنية الإبدال، وذلك عن طريق استخدام جمل فعلية بدلا من الجمل الإسمية، فطبيعة الجملة في اللغة العربية هي فعلية. ولو حتى أراد الحفاظ على الجملة الاسمية كان في إمكانه إضافة حرف "إن". وسنوضح ذلك في النماذج الآتية.

مثال 1:

The problem of describing to other how members of a remote tribe think begins to appear largely as one of translation (p. 41).

وكانت الترجمة بهد الشكل: "مشكلة أن تصف للآخرين كيف يفكر أبناء قبيلة نائية تبدأ بالظهور عموما على أنها مشكلة ترجمة" (ص 78).

وكما سبق وقلنا، وعلى غرار الكثير من الجمل، بدأ المترجم هذه الجملة باسم نكرة كما هو موجود في النص الإنجليزي، مع أن اللغة العربية لا تسمح بذلك.

ولقد كان بالأحرى عليه استخدام جملة فعلية بدلا من الجملة الإسمية، فتكون الترجمة بالشكل التالي: "تبدأ مشكلة وصف تفكير أبناء قبيلة نائية للآخرين بالظهور على أنها مشكلة ترجمة عموما". ولو حتى أراد الحفاظ على الجملة الاسمية كان في إمكانه إضافة حرف "إن" على النحو الموالي: "إن مشكلة وصف تفكير أبناء قبيلة نائية للآخرين، تبدأ بالظهور على أنها مشكلة ترجمة عموما".

مثال 2

In their deep mistrust of the popular and populist… foreignist theories of translation are inherently elitist (p. 112).

وكانت الترجمة كالتالي: (في تشككهم العميق بما هو شعبي وشعبوي... فإن منظري الترجمة من دعاة الأجنبية فهم نخبويون أصلا. ص204).

وما ينبغي الإشارة إليه هو أن شبه الجملة هذه المتقدمة يفصلها ثلاث أسطر تقريبا عن الجملة الإسمية المتأخرة التي تحمل الفعل الرئيس في النسخة الإنجليزية، وهي

بنية دارجة في هذه اللغة، وقد نقلها المترجم كما هي، مما يعسر عملية القراءة واستيعاب المعنى بالنسبة للقارئ العربي.

ولذلك نقترح أن يتم تقديم الجملة الإسمية التي تحمل الفعل الرئيس على النحو التالي: "إن منظري الترجمة من دعاة التغريب هم نخبويون أصلا، في تشككهم العميق بما هو شعبي وشعبوي...".

مثال 3:

Like its theoretical predecessor 'sense for sense' vs. 'word for word' translation, the assimilative/foreignizing distinction presumes a stable separation of source and target languages. (p. 112).

وقد اختار المترجم لهذه الجملة هدا المقابل العربي: (مثل سلفه الذي يميز بين الترجمة 'معنى مقابل معنى' والترجمة 'كلمة مقابل كلمة'، فإن التمييز بين الترجمة 'التمثلية' والترجمة 'التي تبقي على الطابع الأجنبي' يفترض انفصالا قارا بين اللغة المصدر واللغة الهدف. ص 205)

ونفس الأمر ينطبق على هذه الحالة، بحيث اختار المترجم الحفاظ على الترتيب الإنجليزي للكلمات، وأن يؤخر الفعل ويقدم الفاعل هو أمر دارج في اللغة الإنجليزية، وقد نقلها المترجم كما هي.

ولقد كان بالأحرى عليه استخدام جملة فعلية بدلا من الجملة الإسمية. أو أن يقوم بتقديم الجملة التي تحوي الفعل الأساسي، ليكون المعنى أوضح وأسهل للقارئ. وبذلك تكون الترجمة بالشكل التالي:

"إن التمييز بين الترجمة 'التوطينية' والترجمة 'التغريبية' يفترض انفصالا قارا بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها، شأنه شأن سلفه الذي يميز بين الترجمة 'معنى مقابل معنى' والترجمة 'كلمة مقابل كلمة'".

مثال 4:

In the legal documents that translated them inescapably into English, the Indians were compelled by these documents to speak this English.

وكان المقابل العربي على النحو التالي: هذه الجملة (في الوثائق القانونية التي ترجمتهم إلى الإنجليزية بصورة لا مفر منها، أجبر الهنود على أن ينطقوا بهذه الانجليزية. ص 139) .

وهنا نلاحظ أن المترجم وقع في فخ المترادفات، وحدث خلط بين معنيي كلمة (English) التي يقصد بها الانجليز أو اللغة الإنجليزية، وهنا يقصد الكاتب أن هذه الوثائق قد حوّلت الهنود كأشخاص إلى إنجليز وليس إلى اللغة الانجليزية.

وعلاوة على ذلك، حافظ المترجم مرة أخرى على الترتيب الإنجليزي وبدأ عبارته بشبه جملة. وعليه تكون الترجمة الصائبة: "أجبرت الوثائق القانونية الهنود على التحدث بالانجليزية بعد أن حولتهم إلى إنجليز بصورة لا مفر منها".

كما وقع المترجم في بعض الأخطاء النحوية والصرفية، كالخلط في استخدام حروف الجر، في هده الحالة مثلا: 'Farthest from God' والتي ترجمها المترجم بالجملة التالية: "أبعد إلى الله" (ص 163)، فتكون الترجمة السليمة على النحو التالي: "أبعد من الله".

وفي المثال الأتي (In Francophone North African. p. 89) والتي نقلها المترجم إلى العربية بهذا الشكل: "في شمال افريقيا الفرانكفونية" (ص 165)،

لقد ألحق المترجم تاء التأنيث بكلمة "فرانكفوني"، الأمر الذي يفهم من ورائه أن كل بلدان القارة الإفريقية تتحدث اللغة الفرنسية، وهذا شيء بعيد عن الواقع. وعليه تكون الترجمة السليمة بهذا الشكل: "في شمال إفريقيا الفرانكفوني أو المتحدث باللغة الفرنسية"[1].

1- إن صفة 'شمال إفريقيا الفرانكفوني' مبالغ فيها إلى حد ما من قبل الكاتب، فمجتمعات شمال إفريقيا تستخدم خليط من اللغات واللهجات التي تتباين وتتمايز من منطقة إلى أخرى لأسباب تاريخية وجغرافية وسياسية

تعكس هذه النماذج قرارت ثائر ديب في ترجمة نص روبنسون ترجمة حرفية وحرصه على نقل النص كما جاء في الأصل، منتجا نصا عربيا يحومه الغموض والإبهام، ودون أن تظهر لمسة المترجم المبدع من خلال هده الترجمة.

ب – أدوات الترقيم والربط

نلاحظ على طول الكتاب أن المترجم قد حافظ على الوجه الخارجي للنصوص، بحيث قام بنسخ شكلها، وتقطيعها إلى فقرات واحترم ترتيبها، فالمترجم تشبث بشكل كبير جدا بهيئة النص الأصلي حتى في علامات الترقيم، ما أدى في غالب الأحيان إلى ظهور أساليب وبنيات لغوية غير موجودة في اللغة العربية. ولذلك سنحاول في هذا القسم من البحث تقديم بعض النماذج التي توضح ذلك.

مثال 1:

Cheyfitz concludes: « in the legal documents that translated them, inescapably into English, the Indians were compelled by these documents to speak this English… (p. 76).

لقد اختار المترجم كمقابل عربي لهذه الجملة ما يأتي (ويستنتج تشيفيتز: " في الوثائق القانونية التي ترجمتهم..." ص 139).

ولقد أتت الجملة في اللغة الانجليزية بما يعرف بـ Direct Speech" أو "الخطاب المباشر" والذي تستعمل فيه نقطتين وحاضنتين لنقل كلام شخص ما، أما ترجمته إلى لعربية تستلزم إضافة حرف "أن"، ولا يمكن نقله كما جاء في النص الأجنبي، حتى لا يشعر القارئ بوجود خلل في الجملة العربية. وهكذا تكون الترجمة كالتالي: ويستنتج تشيفيتز أنه "في الوثائق القانونية التي ترجمتهم...

معروفة، كاللغة العربية والأمازيغية والعامية والاسبانية والإيطالية والفرنسية، وهذا ما يسقط صفة الفرانكفونية عنها بوصفها اللغة الأكثر انتشارا واستعمالا في المنطقة.

مثال 2

We are concerned with early thinking that recognizes the interconnections between translation and empire, particularly those ideas that

A) deal with those interconnections directly for praise or blame in the service of historical accuracy;
B) Allude obliquely to them by drawing metaphors from imperial themes; or
C) Idealize or ‘mystify’ them while still leaving traces in their argumentation or imperial history. p. 46

لقد اعتمد المترجم الطريقة الانجليزية التي تضع كلمة "أو" في آخر السطر لكي ننتقل إلى السطر التالي عند تعداد شيء ما، وقد أبقى المترجم على الصيغة الإنجليزية بحيث ترجم هذه الفقرة بالشكل التالي:

"نعنى بالفكر القديم الذي أدرك الصلات الداخلية بين الترجمة والامبراطورية، خاصة تلك الأفكار التي:

(ا) تتناول تلك الصلات تناولا مباشرا أو قدحا أو في خدمة الدقة التاريخية؛ أو

(ب) تلمع إلى تلك الصلات بشكل غامض باستمدادها استعارات من الموضوعات أو الثيمات الامبراطورية؛ أو

(ج) تضفي طابعا مثاليا أو تعمي على تلك الصلات في الوقت الذي تترك في سجالها أثارا تدل على التاريخ الامبراطوري" (ص 89)

كان من الأفضل وضع حرف أو في بداية الجمل كما هو متعارف عليه في اللغة العربية على النحو الموالي:

نعنى بالفكر القديم الذي أدرك الصلات الداخلية بين الترجمة والامبراطورية، خاصة تلك الأفكار التي:

- تتناول تلك الصلات تناولا مباشرا أو قدحا أو في خدمة الدقة التاريخية.

- أو تلمع إلى تلك الصلات بشكل غامض باستمدادها استعارات من الموضوعات الامبراطورية.
- أو تضفي طابعا مثاليا أو تعمي على تلك الصلات، بينما تترك في سجالها أثارا تدل على التاريخ الامبراطوري.

وكما سبق وذكرنا، اتبع المترجم ترتيب الجمل والكلمات الذي اعتمده الكاتب روبنسون، ونقل العديد من المقاطع كما وردت، دون أي تغيير في الشكل أو في أدوات الربط. فعلى سبيل المثال، استعمل المترجم في أكثر من موضع الفواصل بدل من حرف العطف "الواو" الذي تستعمله اللغة العربية للربط بين المفردات والجمل.

يبدو أن المترجم يسعى للمحافظة على الصياغة الانجليزية بشتى الطرق، بحيث اكتفى بوضع الفواصل فقط كما هي في النص الإنجليزي، رغم اختلاف استعمالات أدوات الربط والترقيم في اللغتين. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

مثال 1

Those works will be perceived and presented as difficult, mysterious, inscrutable, esoteric… (p. 31).

لقد اختار المترجم لهذه الجملة المقابل العربي التالي: (يتم تصور هده الأعمال وتقديمها على أنها صعبة، غامضة، مستغلقة، وباطنية. ص 62).

وكان من الأحسن إضافة أداة العطف "واو" من أجل احترام طبيعة اللغة العربية، بحيث تكون الترجمة كالتالي: يتم تصور هده الأعمال وتقديمها على أنها صعبة، وغامضة، ومستغلقة وباطنية.

مثال 2

Indians must recover from some pure native precolonial essence of Indianess. (p. 89).

لقد اختار المترجم هذه الجملة (الهنود ينبغي أن يعيدوا اكتشاف جوهر لهنديتهم محلي نقي ما قبل كولونيالي. ص 165).

نفس الشيء يقال عن هذه الترجمة، إذ يستحسن إضافة أداة العطف (الواو)، بحيث تكون الترجمة كالتالي:... ينبغي أن يعيد الهنود اكتشاف جوهر لهنديتهم يكون ما قبل كولونيالي ومحلي ونقي.

ثالثا: الاقتراض

عادة ما تستعمل تقنية الاقتراض كحل لمشكلة عدم وجود مقابل للمفردات والكلمات التي نود نقلها من لغة إلى لغة أخرى. لكننا لاحظنا أن المترجم لجأ إلى هذه التقنية لترجمة مفردات لها ما يعادلها في اللغة العربية. وعليه، سنحاول في هذا القسم عرض بعض الألفاظ والمصطلحات التي نقلها المترجم إلى اللغة العربية مستعينا بأسلوب الاقتراض.

أ- ترجمة الألفاظ

إن التمسك بترجمة الألفاظ والكلمات المفردة واحترام ترتيبها لا يمكنه أن يعيد إنتاج معنى النص المنقول منه، فذلك يُضيّع المعنى ويشوّشه، كما أنه تهديد مباشر لفهم النص، وفي أفضل الحالات، يثير استهجان القارئ الذي يشتم رائحة الترجمة. وهذه بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

مثال 1

…translators have been studied largely in negative ways, in terms of the distortive or disruptive impact of their 'opinions', 'biases' or 'misunderstandings'…(p. 8).

لقد كانت الترجمة على النحو التالي: المترجمون، فيُدرَسون دراسة سلبية، من حيث الأثر المشوه أو المخل الذي تحدثه "آراؤهم" أو "تحيزاتهم" أو "أسواء فهمهم". ص 23).

نلاحظ أن المترجم حافظ على صيغة الجمع التي أتت بها المفردتين الأخيرتين في الجملة الإنجليزية (biases, misunderstandings) عند ترجمتها إلى العربية، مما أعطى كلمات غير متداولة في اللغة العربية. وفضلا عن أنه أسقط ترجمة كلمة (largely).

ويمكن أن تكون الترجمة على النحو التالي: غالبا ما يدرس المترجمون بشكل سلبي، بسبب الأثر المشوه أو المخل لـ آراؤهم أو تحيزهم أو سوء فهمهم.

مثال 2

Rafael is able to explore a whole series of different 'mistranslations' (p. 94).

لقد ترجم المترجم هذه الجملة بهذا الشكل: (يتمكن رفاييل من استكشاف سلسة كاملة من "إساءات الترجمة" ص 173).

نلاحظ هنا أيضا أن المترجم يحافظ على صيغة الجمع التي أتت بها المفردة (Mistranslations)عند ترجمتها إلى العربية. ولذلك نقترح الترجمة التالية: يتمكن رفاييل من استكشاف سلسة كاملة من "الترجمات المغلوطة" أو الخاطئة.

مثال 3

Here as elsewhere, postcolonial theorists of translation are much more interested in the problems of… (p. 39).

لقد اختار المترجم كمقابل عربي لهذه الجملة التالي: (وهنا، كما في غير مكان، ما يهم منظري الترجمة ما بعد الكولونياليين... ص 75).

ونلاحظ هنا أن المترجم ترجم العبارة كلمة بكلمة بحيث حافظ على ترتيب المفردات، ما أضفى نوعا من الغموض على المعنى، ولاسيما عند ترجمته لشبة الجملة الانجليزية (here as elsewhere) بـ (وهنا، كما في غير مكان)، وهي ترجمة لا تدلي بأي معنى واضح. ولذلك نقترح أن تكون الترجمة بالشكل الموالي: "وما يهم منظري الترجمة ما بعد الكولونياليين هنا وفي مقام آخر هو...".

مثال 4

Some partisan positioning will appear here and there, especially, perhaps, in a generally favorable take on postcolonial approaches to the study of translation. p. 7.

لقد ترجم ديب هذه الجملة بهذا الشكل: (فلا بد أن تظهر بعض المواقف المتحزبة هنا أو هناك، خاصة، ربما، في الأخذ بالمقاربات ما بعد الكولونيالية في دراسة الترجمة. ص 18).

وقد ترجم ديب كلمتي (especially, perhaps) حرفيا وكما وردتا في النص الأجنبي دون أن تغيير في الترتيب أو الترقيم، ما جعل أسلوب الجملة ركيكا نوعا ما. وفضلا عن ذلك، أسقط المترجم ترجمة كلمة كلمتي (generally favorable). ويمكن أن تكون الترجمة على النحو التالي: فلا بد أن تظهر هنا أو هناك بعض المواقف الموالية لكي يتم تناول، وبشكل مناسب عموما، مقاربات ما بعد الكولونيالية في دراسة الترجمة على وجه الخصوص".

مثال5

like the passive voice employed in this sentence, or the editorial ‘we’. 7.

كان المقابل العربي لهذه الجملة كالأتي: (مثل ضمير الغائب أو إسم الاشارة "نحن" المستخدمَين في هده الجمل. ص 18).

نلاحظ أن المترجم قد أخفق في ترجمة هده الجملة، بحيث ترجم (passive voice) بـ (ضمير الغائب)، كما أنه لم يترجم أخر جزء من الجملة (or the editorial we). ويمكن أن تكون الترجمة السليمة على هذا النحو: مثل صيغة المبني للمجهول المستعملة في هده الجملة، أو ضمير المخاطب "نحن".

مثال 6

Also as in other series volumes, however, the last chapter will offer a forum for more overt arguments pro and contra. p. 7.

كانت ترجمة هذه الجملة بالشكل الموالي: (أما الفصل الأخير فسوف يكون نوعا من المنتدى الذي يجتمع فيه مزيد من السجالات الصريحة الموالية والمعارضة).

ولم ينقل المترجم المقطع الأول في الجملة الإنجليزية إلى العربية دون سبب واضح. ويمكن أن تكون الترجمة كالأتي: أما الفصل الأخير، كما هو الحال في الكتب الأخرى ضمن السلسة، فسوف يكون بمثابة المنبر الذي تجتمع فيه مزيد من المناقشات الصريحة المؤيدة والمعارضة.

مثال 7

لقد ترجم المترجم كلمة (hopefully) بـ (على نحو مؤمل. ص 170)، مع أنه قد لا يفهم القارئ معنى كلمة مؤمل، ولذلك كان على المترجم الإتيان ببديل أوضح، كالترجمة التالية: بشكل مفعم بالأمل .

مثال8

It becomes possible only when we agree to ignore the real-world contexts in which translation is practiced, including not only the colonial encounters on which post colonial theorists focus but the social and institutional contexts of translation…p. 78.

لقد كانت ترجمة هذه العبارة على هذا النحو: (فهي لا تغدو ممكنة إلا حين نتفق على تجاهل سياقات الكلام الفعلية التي تمارس فيها الترجمة، بما في ذلك ليس المواجهات الكولونيالية وحسب، بل أيضا سياقات الترجمة الاجتماعية والمؤسساتية. ص 144).

وتكمن مشكلة الترجمة في شبه الجملة هذه (including not only) التي ترجمها ديب بـ (بما في دلك ليس)، مما جعل أسلوب الفقرة ركيكا وضعيف. وعليه، يمكن أن تكون الترجمة على النحو الموالي:

فهي لا تغدو ممكنة إلا حين نتفق على تجاهل سياقات الكلام الفعلية التي تمارس فيها الترجمة والتي لا تشتمل على المواجهات الكولونيالية وحسب، بل أيضا سياقات الترجمة الاجتماعية والمؤسساتية.

ب – ترجمة المصطلحات

من خلال دراستنا للنص الإنجليزي ومقارنته بالترجمة، لاحظنا أن المترجم اعتمد في أكثر من موضع على تقنية الاقتراض التي تقع بنقل مفردة أجنبية بميزانها الصرفي والصوتي من لغة إلى أخرى، وهذا ما يعرفه البعض بالدرجة الصفر للترجمة، ويتم الاستعانة بهذا النمط من الترجمة عندما لا تكون هناك مقابلات في اللغة المنقول إليها للكلمة المراد ترجمتها من اللغة المنقول منها.

غير أن المترجم ديب يصر على اللجوء إلى هذه التقنية لترجمة مصطلحات إنجليزية إلى العربية، بالرغم من أن ما يعادلها في اللغة العربية موجود أصلا، فهو يفضل استعمال المصطلحات ذات الصبغة الأجنبية.

والأمثلة عن ذلك عديدة، فعلى سبيل المثال، اختار المترجم هذه المصطلحات (نص مصدر/نص هدف، لغة مصدر/لغة هدف، ثقافة مصدر/ ثقافة هدف) كمقابلات عربية بالترتيب لهذه المصطلحات:

وهذه المصطلحات تتكرر على طول المدونة، كونها متعلقة بعملية الترجمة بشكل مباشر، وقد ترجمها المترجم بشكل حرفي، ومن الأفضل نقلها إلى العربية بهذه الصياغة: نص منقول منه /نص منقول إليه، لغة منقول منها /لغة منقول إليها، ثقافة منقول منها / ثقافة منقول إليها.

ولقد تبنى ديب خاصية أخرى من خواص اللغة الانجليزية وهي متعلقة بالمفردات ألا وهي استعمال المختصرات، فهو على سبيل المثال، يترجم كلمة (Medieval) إلى (قروسطي) والذي يصعب تبيان معناها، إذا لم يتوفر لدينا النسخة الأصلية، مع أنه كان بإمكان المترجم ترجمتها بكل بساطة "متعلق بالقرون الوسطى" أو "قرون وسطي".

وكثيرا ما لجأ ديب لترجمة مصطلحات مكونة من كلمة واحدة في اللغة الانجليزية إلى مصطلحات متكونة من كلمتين أو أكثر في اللغة العربية، فهو يترجم مصطلح (Foreignists) بـ (دعاة الإبقاء على الطابع الأجنبي)، والذي يُقصد به الكاتب أولئك الذين يناصرون الترجمة "التغريبية". في حين كان بإمكانه ترجمة هدا المصطلح بـ "التغريبيون" بكل بساطة، فهو يحمل معاني ما هو غريب وأجنبي ومناصري الترجمة التغريبية.

وفضلا على ذلك، يقوم المترجم بنقل المصطلحات المركبة في الإنجليزية كما هي، بحيث يقوم باقتراضها، فهو على سبيل المثال يترجم مصطلح (Geopolitical) إلى (جيوبولتيكي)، مع أنه كان بإمكانه ترجمتها "جغرافي وسياسي" بكل بساطة.

كما قام ديب بترجمة مصطلح (Dyalectic) بـ (ديالكتيك) (ص 164)، ومن المعروف أن استخدام اللفظ المقترض يشكل عقبة عند الفهم، إدا كان هدا اللفظ غير متداولا بشكل كبير.

ففي هذه الحالة، قد يتبادر إلى دهن القارئ أن مفردة (ديالكتيك) تعني ما يتعلق باللهجة العامية أو الدارجة، في حين أنه يقصد بها ما هو (جدلي).

ولعل أوضح النماذج التي توضح ونثبت تعلق المترجم ديب بالنسخة الإنجليزي هو ترجمته لهذا المصطلح (Allegorical level) بـ (المستوى الأليغوري) (101 ص)، بالرغم من أن هذه المفردة يوجد ما يعادلها في اللغة العربية، ليس مقابل واحد فحسب، بل اثنان وهما: "إستعاري" أو "مجازي".

بالإضافة إلى ذلك، اختار المترجم ترجمة مصطلح (Radical retranslation) بـ ترجمة راديكالية (ص 181)، في حين كان بإمكانه ترجمتها بـ "ترجمة جذرية". كما أنه أسقط ترجمة السابقة (Re) والتي تفيد الإعادة، وبذلك تكون الترجمة على النحو الأتي: إعادة الترجمة الجذرية.

كما أن المترجم ترجم مصطلح (Utopian moment) بـ لحظة طوباوية (ص 132)، عوض ترجمتها بـ (لحظة مثالية)، أو على الأقل لحظة "يوطوبية"، إدا كان يفضل استعمال أسلوب الإقتراض، فهو بترجمة الكلمة بهذا الشكل "طوباوية"، فإنه لم يحترم قواعد تقنية الإقتراض التي تفرض رسم اللفظ الأجنبي بحروف عربية.

وبالإضافة إلى هذا، نلاحظ أن ديب متذبذب في قرارته الترجمية، فهو لا يتبع تقنية واحدة في الترجمة، بحيث نجده مثلا يترجم مصطلح (Psychosocial transformation) بـ (التحولات النفسية الاجتماعية)، ثم يعود ويترجم مصطلح (Social psychology) إلى (السيكولوجيا الاجتماعية).

فهنا، يقترض المترجم المفردة من الإنجليزية، ويستغني عن مقابلها العربي الموجود أصلا وهو "علم النفس"، مع أنه سبق وترجم مصطلح (Psycho) إلى (نفسي). وبدلك تكون الترجمة كالآتي: علم النفس الاجتماعي.

كما قام المترجم بترجمة كلمة (Dynamics) إلى (ديناميات) والتي قد لا يفهمها القارئ العربي، ولاسيما إدا كان لا يعرف كلمة "دينامي"، فكان عليه بالأحرى ترجمتها بـ "قوى".

وفي موضع أخر، يعود المترجم ويناقض اختياراته وقرارته الترجمية حين يترجم كلمة (Dynamically) بـ (على نحو ديناميكي)، وهنا نلاحظ تغير في الكلمة المقترضة، حيث أضاف إليها حرف الكاف والدي هو ليس بأصلي في الكلمة الأجنبية، لأنه يضاف في اللغة الأجنبية للتعبير عن الصفة فقط، ولدلك لا داعي لإضافته. وهكدا تكون الترجمة: "على نحو دينامي، أو بشكل قوي".

ويبقى مصطلح (الاستعمار) أكثر المصطلحات إثارة للجدل عند الترجمة، فهو يدخل في تسمية النظرية ما بعد الكولونيالية، فيسميها البعض "النظرية ما بعد الاستعمارية"، كما هو حال المترجم ديب، وهو مصطلح يتكرر ذكره على طول الكتاب بكل اشتقاقاته.

وكما أسلفنا الذكر في الباب النظري، تُخفي ترجمة مصطلح (Colonialism) إلى (استعمار) المعنى الحقيقي لفعل الاحتلال والغزو، مما يضلل القارئ ويحرمه من قراءة إيحاءات المصطلح ودلالاته السلبية،

ولاسيما أن موضوع الذي يتناوله هذا الكتاب يخص الترجمة ما بعد الكولونيالية التي تحاول التخلص من الارث الكولونيالي، وتعمل على بناء مستقبل مشرق للشعوب التي كانت تحت نير الاحتلال، ولردم الهوة بين الثقافات المختلفة في العالم، والسعي وراء تحقيق التكافؤ بين اللغات عن طريق الترجمة. فبهذه الترجمة نقع في فخ الهيمنة الكولونيالية الثقافية مرة أخرى.

رابعا: استخدام مقاربة فينوتي

يجدر التذكير بأن ثائر ديب هو باحث عربي منتمي إلى ثقافة محتلة ومسيطر عليها من الغرب، وهو المناضل والناشط السياسي الذي اعتقل في سوريا مرّات عدة بسبب انتمائه السياسي اليساري، المدافع عن القومية العربية وقضايا الأمة. لكن المفارقة هنا هو أن ثائر ديب يبدو وكأنه يقف إلى جانب اللغة الإنجليزية بتمثّل قيمها ومعاييرها من خلال هذه الترجمة والتي لا تبدو واعية باختلال التوازن بين اللغات والثقافات وعلاقات القوة والصراع بينها، فهو يرجح الكفة لصالح الثقافة الغربية عموما والأمريكية على وجه الخصوص التي هي أصلا من القوة بمكان.

فإذا قارنا بين اللغة العربية واللغة الانجليزية، فالأولى هي لغة جنوبية مهيمن عليها، أما الثانية فهي لغة عالمية تتمتع بكل القوة والهيمنة والإنتشار. فعوض أن يقوم المترجم بمقاومة هذه الهيمنة والحفاظ على طبيعة اللغة العربية وأصالتها، راح يدخل عليها من اللغة الانجليزية أساليب تعبيرية وصيغ لا تمت لها بصلة، وسمات لا تشبهها مطلقا، ويضيف بذلك قوة للغة الانجليزية.

ويكون هذا النوع من الترجمات التغريبية سلاح أخر في يد الهيمنة الاوروبية على ثقافات ولغات الجنوب ولاسيما الثقافة العربية، فعملية تغريب اللغة العربية لمتكلميها التي يقوم بها ديب في هذا الكتاب –ولو دون قصد– تساهم بشكل كبير في عملية تهميش اللغة العربية بين أبنائها في العالم العربي وفي العالم بأسره.

يبدو أن المترجم ثائر ديب تناسى دور الترجمة المتنامي في تشكيل الأنساق الثقافية والاجتماعية وصناعة القيم الأخلاقية وصياغة وجهات النظر والرؤى المتباينة وتنميط الرموز التاريخية وصياغة الوعي السياسي والقومي لدى الأفراد.

وعلى عكس الترجمة التوطينية، تقاوم الترجمة التغريبية، حسب فينوتي، القيم التي تسود في الثقافة الأنجلو أمريكية المعاصرة، بإضفاء بعض مؤشرات الثقافة الأجنبية في النص المنقول إليه، كي يتعرف القارئ الغربي على ثقافات العالم الأخرى.

ويبدو أن ديب يريد تطبيق استراتيجية فينوتي التغريبية، التي تقاوم الامتثال للقيم الثقافية السائدة في اللغة/الثقافة المنقول إليها من أجل إبراز الاختلافات الثقافية واللغوية للنص الأجنبي.

إن فينوتي يطبقها في الترجمة من اللغات الجنوبية إلى اللغات الشمالية لمقاومة هيمنة هذه الأخيرة اللغات وليس العكس. ففي حالة كتاب "الترجمة والإمبراطورية"، وهو نص أجنبي مكتوب باللغة الانجليزية التي لا تحتاج لتعريف أو تقديم، كونها أصلا لغة عالمية منتشرة في كل أقطار المعمورة. وبالتالي، إذا اتخدنا مقاومة فينوتي مقياسا، فترجمة ديب ليست مقاومة على الإطلاق، بل وقعت أسيرة النص الأصلي، وصارت مكبلة بقيوده اللغوية وتراكيبه وقواعده النحوية.

إن المترجم باتباعه المنهج التغريبي يعارض أفكار المؤلف دوغلاس روبنسون في هذا الكتاب الدي ينتقد بشدة مناصري الترجمة التغريبيةعلى حساب الترجمة التوطينية، فهو يرى أن اللجوء إلى الترجمة التغريبية (التي تجلب في النص المنقول إليه عناصر ثقافية أجنبية) بشكل مكثف قد يؤدي إلى إنتاج نص مبهم وغامض، مما يعيق عملية الفهم وإيصال الرسالة المرجو من الترجمة بصفة عامة، وأيضا تحقيق التفاعل والتبادل الثقافي وإبراز التمايز الثقافي المرجو من الترجمة ما بعد الكولونيالية بصفة خاصة.

وعلى ضوء ذلك، يصبح أسلوب ترجمة ديب وسيلة للتهميش للغة للعربية، فمنهجه الشفاف قد أدى اللغة العربية أن تكون غير مفهومة لمتحدثيها، أسلوب نرى من خلاله مميزات وخصائص اللغة الانجليزية بجلاء. لقد كانت هذه الترجمة

الحرفية بمثابة احتلال اللغة الانجليزية للغة العربية في عقر دارها: "احتلال جديد في حلّة جديدة"، في ظل هيمنة القطب الغربي الواحد وسياسة العولمة، واستبدال التعددية الثقافية بالأحادية الثقافية، بواسطة محاولة تقليص عدد كبير من اللغات والثقافات في العالم ومحاولة صهرها داخل الثقافة الأنجلوساكسوفونية على حساب ثقافات الجنوب ولاسيما الثقافة العربية.

وبطبيعة الحال، تؤدي هذه الوضعية إلى تقليص دور الترجمة بوصفها تمثيلا لكل أشكال التعددية الثقافية والإتجاه أكثر نحو ثقافة الهيمنة والاختراق لا ثقافة التعايش والتفاهم، ويصير هد النوع من الترجمات يساهم في تعميم ثقافة القطب الواحد ولغته، بدلا من التعريف بالثقافات الأخرى المتنوعة والمتعددة.

وبعد تحليلنا ونقدنا للترجمة انطلاقا من النسخة الأصلية، خلصنا إلى نتيجة مفادها أن المقاربة التي وظفت لترجمة هذا النص، هي الترجمة المباشرة الحرفية (إن لم نقل الترجمة كلمة بكلمة في الكثير من المواضع في النص)، وإن كان ذلك يُعّد اختيارا صائبا أحيانا، إلا أنه أدى إلى تشويه المعنى في كثير من الأحيان، فقد وقع المترجم بسببه في مزالق دلالية، أضفت الغموض على معاني النص، مما يثير استهجانا لدى القارئ بسبب هذا الالتباس الذي تكتسيه.

إن قرارات ديب في الترجمة الحرفية واضحة في هذا النص، لدرجة أن أي قارئ يكون لديه إطلاع محدود على قواعد اللغة العربية وتراكيبها النحوية ودلالاتها، يمكنه أن يستشف أن هذا النص ليس بأصلي، بل هو عبارة عن ترجمة من لغة أجنبية. وإذا كان هذا القارئ متقنا للغة الإنجليزية، فإنه حتما سيلاحظ أن اللغة المنقول منها هي هذه الأخيرة.

وربما يرغب ديب في توسيع بنية اللغة العربية كي تصبح أكثر غنى ومرونة وأكثر ملائمة للعصر، وهذا من حقه كمترجم، فهذا أمر إيجابي ومستحب ويستحق

التشجيع، فنحن لسنا ضد الاجتهاد في باب الترجمة، فلا مانع في محاولة أن يجيء المترجم بترجمات جديدة ومبتكرة، ولكن شريطة ألا يكون هذا على حساب دقة المعنى، لأن هذه التراكيب التي أتى بها من الانجليزية تفقد خاصيتها ووظيفتها عندما تقتحم نظام اللغة العربية.

كما أن هذه الاختيارات الترجمية تؤدي إلى استعصاء فهم المقصود من أفكار النص الأصلي على القارئ، وتصير المعاني غير واضحة. وبالتالي لا يحصل توسيع للغة ولا إثراؤها، حتى المبتغى الأساسي من الترجمة وهو توصيل الرسالة لا يمكن تلبيته من خلال هده الترجمة التغريبية التي قد تضفي نوعا من الغموض على المعنى، وتعتبر خرقا للثقافة المترجم إليها، ولاسيما للغة العربية.

ومن المفارقة أن يحدث هذا لكتاب تسعى أفكاره إلى أن تضطلع الترجمة بدورها في المحافظة على الموروث الثقافي للشعوب وخلق مثاقفة متوازنة تبنى على الاغتناء المتبادل لا على الإلغاء والتفاضل في سعيها إلى مد الجسور الواصلة بين الثقافات أمام تحديات العولمة التي تروج لأسطورة الثقافة الواحدة. وإن هذا النوع من الترجمة (ترجمة ديب) يساهم في استمرار عملية ثقافة الهيمنة والاختراق وإقصاء كل أشكال التعدد اللغوي والتنوع الثقافي، بحيث تغدو الترجمة استيلابا لا إضافة، وتقوم فقط بتعميم لغة القطب الأوحد وثقافته.

في ختام هذا الفصل الذي قمنا فيه بتقويم ترجمة كتاب "الترجمة والامبراطورية" الذي بين أيدينا، يمكننا القول أن ترجمة ديب وإن أدت المعنى بوجه عام، إلا أن لجوءه إلى النقل الحرفي للكثير من الألفاظ والجمل والعبارات والفقرات قد شوّه المعنى وحرّفه مرات عديدة في مواضع مختلفة في النص، مما جعل من فعل القراءة شيئا عسيرا على القارئ الذي تصادفه في النص تعابير وأساليب دخيلة على اللغة العربية.

إن المقاربات المطبقة في هذه الترجمة هي مزيج من الترجمة بالاقتراض، والترجمة الحرفية، والترجمة التغريبية عند فينوتي. وما يميز اللفظ المقترض هو أنه يعرف بالخصوصيات الثقافية للثقافة الأجنبية، ويلجئ إليه في عدم وجود مقابل له في اللغة المنقول إليها، لكن الألفاظ التي اقترضها المترجم يوجد ما يعادلها في اللغة العربية، فكان هذا الاقتراض غير مبررا في كثير من الأحيان. أما الترجمة الحرفية فهي تمثل "الأخر" وتنقل الأفكار والألفاظ، فتحافظ بذلك على الشكل والمحتوى. غير أنه تعذر على المترجم في حالات عديدة نقل المعنى بسبب استعانته بالترجمة الحرفية ولاسيما الترجمة كلمة بكلمة.

بينما استراتيجية التغريب فإنها تُطبق بغية مقاومة القيم الثقافية السائدة في اللغة المنقول إليها من أجل ابراز الاختلافات الثقافية للنص المنقول منه، وهذا عند الترجمة من لغات الجنوب إلى لغات الشمال لمجابهة سيطرة هذه الأخيرة. بيد أن المترجم ثائر ديب يميل إلى تطبيق هذه الاستراتيجية في الإتجاه المعاكس، أي من اللغات المهيمنة إلى اللغات الأخرى، وفي حالة كتاب "الترجمة والإمبراطورية"، من اللغة الانجليزية "المسيطرة عالميا" إلى اللغة العربية "المحدودة الانتشار والقوة".

فبدلا من أن يقوم المترجم بمقاومة هذه الهيمنة اللغوية والثقافية وبالمحافظة على نظام اللغة العربية، أقحم عليها تعابير وبنيات لغوية غريبة عنها جيء بها من اللغة الانجليزية، ما يزيد هذه الأخيرة قوة وسيطرة، وما يجعل اللغة العربية غير مفهمومة وغريبة ومهمشة لدى أبنائها والناطقين بها في شتى بقاع المعمورة، وهدا ما يقود تدريجيا إلى تقليص نفوذ وحضور اللغة العربية وثقافتها في المشهد العالمي في عصر العولمة التي تصادر حق التعدد والاختلاف والتنوع الثقافي.

على ضوء ما سبق، يتبين أن محاولة الالتصاق بالأصل بقوة من خلال الترجمة التغريبية، أثرت على النص العربي أيما تأثير، فالتقيد الشديد بالترجمة الحرفية يؤدي إلى وجود تراكيب لغوية تختلف عما هو دارج في اللغة العربية

المنقول إليها وإلى تحصيل نص يشوبه التداخل اللغوي، ووقع بذلك المترجم في العديد من المشاكل. واختلفت أخطاء الترجمة حسب درجة خطورتها على المعنى، فالحذف يؤدي إلى إسقاطه تماما، والأخطاء النحوية فتؤدي إلى صعوبة التوصل إليه، وتثير استهجان لدى القارئ الذي يشتم رائحة الترجمة.

علاوة على ذلك، نلاحظ عند قراءة الترجمة لأول مرة أن النص لا يحتوي أي هوامش أو تذييل أو شرح، بالرغم من أن المدونة تعج بالمصطلحات والمفاهيم التي تحتاج إلى ذلك. كما أن المترجم لم يضع مقدمة خاصة به حيث يقوم بتحيين المعلومات الواردة في النص الإنجليزي، بحيث تفوق المدة الزمنية الفاصلة بين نشر الطبعة الإنجليزية والطبعة العربية الثانية العشر سنوات، فلابد من وقوع تطورات في حقل الترجمة ما بعد الكولونيالية أثناء هذه الفترة.

وهكذا، صنع المترجم نسخة عربية رديئة عن الكتاب الأصلي، فقد كان "أسير" النص الإنجليزي، وتقيد بكل ما هو موجود فيه، وكان في ذلك مخاطرة، إذ يمكن ألا تتجلى كل أفكار الكتاب في ذهن القارئ العربي بوضوح. وبالرغم مما قيل أنفا، لا توجد هناك ترجمة غير منحازة أو شفافة يظهر من خلالها النص المترجم مطابقا بشكل مثالي للنص الأجنبي كوجهي المرآة[1]، كما أنه يثنى على المترجم هو أنه تمكن من إيصال المعنى العام للنص بالإعتماد على هده الترجمة الحرفية.

[1] - Michaël Oustinoff, op.cit., p.19

خاتمة

لقد بات من العسير اليوم الإحاطة بموضوع الترجمة، نظرا لرحابة النوافذ الفكرية التي تطل عليها، فهي تلازم مختلف العلوم والفنون، وتؤثر تأثيراً واسعاً في جل النشاطات الاجتماعية. وقد كانت الترجمة قديما توصف بأنها مجرد نقل لغوي بحت أو نشاط فكري جانبي، يراد منه التوصل إلى أفضل تكافؤ معنوي بين نصين في لغتين مختلفتين، فلا تُقترن إطلاقا بمسائل السياسة والأيديولوجيا والسيطرة.

لكن ابتداء من منتصف القرن العشرين، لعبت التغيرات الكبيرة في العالم المعاصر دورا كبيرا في تحولات الأدب المقارن الذي انحل في حقول جديدة متنامية كدراسات الترجمة التي تناقش مسألة دور الترجمة في توفير حلقات اتصال حيوية بين الثقافات، فضلا عن الدراسات الثقافية ولاسيما مناهج الما بعد الكولونيالية.

هدا التحول من ترجمة النص إلى ترجمة الثقافة والسياسة، والدي يطلق عليه مصطلح "المنعطف الثقافي"، وقع بعد الانفجار الحقيقي للدراسات ما بعد الكولونيالية في الأدب مؤخرا، وهو يشكل نقطة تقاطع بين الدراسات الثقافية ودراسات الترجمة، ويهتم بمجلات عديدة من بينها الترجمة ما بعد الكولونيالية.

وقد ساهمت دراسات ما بعد الكولونيالية إلى حد كبير في نظرية الترجمة، ليس فقط من خلال استقصاء العلاقة الوطيدة بين الترجمة والاحتلال والتحقيق الذي تجريه في التفاعلات ما بعد الكولونيالية، ولكن أيضا كوسيلة للتحليل القضايا المصيرية كالهوية والتمايز الثقافي والجنوسة والهيمنة والتبعية والعولمة.

هذا التركيز على الدور المنوط بالترجمة في صياغة الهويات والثقافات سيكون ذا أهمية متزايدة في ما يخص مستقبل دراسات نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية التي ربما ستناقش الأدوات المختلفة التي يمكن للترجمة أن تساهم بها في عملية إنهاء الارث الكولونيالية ومقارعة والهيمنة الثقافية الغربية بشتى أنماطها.

وقد بدأت هذه المناقشة بالفعل، بحيث اقترح العديد من النقاد استراتيجيات إنهاء الكولونيالية بواسطة الترجمة. بيد أنه من الشائك التنظير فيما يخص الاستخدام المثالي للترجمة كأداة لعكس أثار الكولونيالية السلبية. ووفقا لروبنسون، لا يمكن قلب ومحيُ هذه الآثار تماما، ولكن يمكن تغييرها فقط وبشكل محدود أيضا، وأكثر القنوات التي تُأثر الترجمة من خلالها فعليا على ثقافة ما بعد كولونيالية، ما هي إلا تلك التي عملت كقنوات مقاومة إبان الأزمنة الكولونيالية.

وليس هناك نمط جذري واحد من الترجمة يمكن أن يساهم بفعالية في تصفية الإرث الكولونيالي، بل أن يجب أن تكون الترجمة ما بعد الكولونيالية مزيج من الترجمة التغريبية والتوطينية، فالترجمة هي فعل "تمثلي" في الأصل، و"التغريب" تضيف المؤشرات الثقافية التي تُعرف بثقافة الأخر وتقاوم الهيمنة.

وعليه، لا تنحصر ممارسة الترجمة في الأمانة وإيجاد المكافئات اللسانية، بل هي مرتبطة أيضا بالثقافة والأيديولوجيا، ويمكن تؤثر على مسار التاريخ وتطور الحضارات البشرية، فهي تلعب دورا طلائعيا في آلية المثاقفة وتدشين سلسلة من الحوارات الحضارية لإغناء الثقافة العالمية بوصفها رديفة التمايز الثقافي. ولا يتحقق هدا التفاعل الثقافي بين الحضارات إلا بتعزيز التكافؤ اللغوي والثقافي، لأن ذلك كفيل بالنهوض بالترجمة لأن تقوم بدورها في الاقرار بالتنوع الثقافي.

ومع أن الترجمة قناة مقاومة للغزو الثقافي، إلا أنها في الآن ذاته أداة له، إذ يرمي هدا الغزو إلى إقصاء كل أنماط التعدد اللغوي والثقافي حيث تحاول العولمة اختزال هذه التعددية إلى ثقافة عالمية موحدة من خلال تقليص الهوة الثقافية بين الأمم والشعوب المختلفة، والسعي نحو صهرها داخل ثقافة القطب الشمالي الواحد على حساب ثقافات الجنوب، ولاسيما الثقافة العربية ولغتها.

وهدا ما أغفل عنه ديب عند ترجمته للمدونة، عندما أهمل الأبعاد الثقافية والسياسية للترجمة كعدم التكافؤ بين اللغات، وتمثل معايير اللغة الانجليزية من

خلال هذه الترجمة التغريبية الحرفية التي "غربت" اللغة العربية لدى متكلميها واخترقت نظامها ولم تحترم عبقريتها، عندما أقمحت فيها أساليب تعبيرية وصيغ وتراكيب نحوية من اللغة الانجليزية، فصارت "مكبلة بقيود" اللغة المنقول منها.

وكما يتجلى من النماذج التي عرضناها، أضفت هده الترجمة الحرفية نوعا من الغموض على المعنى. وكادت أفكار الكتاب تصبح غير واضحة تماما في ذهن القارئ العربي. لذلك يجب على المترجم أن يكون ماهرا في استخدام تقنيات الترجمة المباشرة حتى لا تنقلب عليه.

وبالرغم مما قيل سابقا، تبقى هذه الترجمة مقبولة إلى حد ما، لأنها لم تؤد إلى تشويه تحريف للمعنى بشكل عام، وسمحت بفهم الأفكار الرئيسة للكتاب لا أكثر ولا أقل. ويبقى استخدام المقاربة أو الاستراتيجية الأنسب قرارا بيد المترجم، تتدخل فيه إيديولوجيته وتوجهاته السياسية وخلفيته الثقافية. كما أن اعتماد المترجم أسلوب النقل الحرفي، قد يكون اختيار نابع من إيمانه بضرورة عدم اللجوء إلى تأويل مقصدية الكاتب، والحفاظ على بنية الجملة الإنجليزية وإيقاع النص.

ولم نسع من خلال هذا العمل التقويمي إلى وضع كفاءة المترجم موضع شك، وإنما حاولنا فقط مناقشة وتحليل انزياحاته وسعينا إلى تفسيرها وتجويدها. كما أننا لا يمكننا أن نتدخل في قرارات المترجم أو نحكم على قراراته عبثا، فلكل أسلوبه في الترجمة وتكوينه وخلفيته الثقافية والأيديولوجية، ولكل الحرية في اختيار ما يراه مناسبا للسياق والمعنى.

وفي كل الأحوال، لا يمكن بلوغ الجودة المطلقة في الترجمة، وتبقى بذلك الترجمة المثالية والأمينة والوفية حلم يراود المترجم طيلة حياته المهنية.

مسرد المصطلحات

English	عربية
Allegorical	استعاري، مجازي
Anthropology	أنثروبولوجيا
Border culture	ثقافة حدودية
Colonial discourse	خطاب كولونيالي
Coloniality	هيمنة اقتصادية وثقافية
Colonization	احتلال عسكري
Constructing culture	بناء الثقافة
Cultural hybridity	هجانة ثقافية
Cultural Translation	ترجمة ثقافية
Cultural Turn	منعطف ثقافي
Deconstruction	تقويضية، تفكيكية
Disproportionate translation	ترجمة غير متناسبة
Ethnocentrism	مركزية عرقية
Ethnology	إثنولوجيا
Exoticization	تغريب
Feminism	نسوية
Foreignization	تغريب
Forground	أمامية
Fragmentation	تشظية
Gender	جنوسة، جندر
Hierarchy	تراتبية
Hybrid	هجين

Hybridity	هجانة
Imitation	تقليد
Integration	إندماج
Interculturel	تثاقف – ثقافة بينية
Interlinguistic mediation	وساطة لسانية بينية
Invisibility	خفاء
Liminal space	فضاء بيني
Metaphorical	استعاري، مجازي
Mimicry	تقليد
Multiculturalism	تعددية ثقافية
Narcisim	نرجسية
Negotiation	تفاوض
Negritude	زنوجة
New historicism	تاريخانية جديدة
Post Colonial literature	أدب ما بعد كولونيالي
Post Colonial theory	نظرية ما بعد كولونيالية
Projection	إسقاط
Resistance	مقاومة
Rewriting	إعادة كتابة
Specific cultural item	شيء ثقافي خاص
Stereotypes	صورة نمطية
Subjectivation	تذويت
Superstructure	بنية فوقية
Translational action	فعل ترجمي

الملاحق

الملحق الأول: مصطلحات المدونة مرتبة حسب الأبجدية الإنكليزية من الصفحة 211 إلى غاية الصفحة 226.

التمثّل (Assimilation): العملية التي يبلغ من خلالها تغير مجموعة أوفرد ذلك الحد الذي يتكيف عنده مع مجموعة أخرى, ويتلائم معها على نحو أفضل.

التمثّلية (Assimilationism): الإعتقاد بأن الجماعات الأقلوية أن تتمثل معايير الأكثرية في مسلكها, وملبسها, ولغتها, وقناعاتها.

الترجمة التمثلية (Assimilative Translation): مصطلح يستخدمه منظرو الترجمة من دعاة الإبقاءعلى الطابع الأجنبي لوصف مايعتبرونه أسوء أنواع الترجمة , أي تلك الرجمة التي تتمثل قيم الثقافة الهدف واللغة الهدف في ترجمتها النص الأجنبي . وهي الترجمة التي كانت تدعى تقليديا باسم الترجمة "معنى مقابل معنى"كما تدعى "الترجمة التوطينية" .

الثقافة الحدودية (Border culture): الثقافة الهجينة التي تتواجد في منطقة الحدود على كل جانبي الحدود الجغرافية السياسية بين البلدان أو سواها من المناطق المتباينة (عرقيا,أو إثنيا ,أو لغويا) .

المركز(Centre): مصطلح مستمد من استعارة جغرافية للدلالة على قوة سياسية وثقافية , بحيث يكون "المركز" هو البلد أو المنطقة أوالمدينة التي تتركز فيها أشد القوة والسيطرة على مناطق واسعة, ويون "الهامش" هو تلك المناطق القصية البعيدة عنه , أو تل المناطق الأقل قوة وسيطرة.

الإقتباس (Citationality): أحد مصطلحات جاك ديريدا , حيث يشير به إلى الطاقة التي ينطوي عليها أي منطوق ل "إيراده" أو "إقتباسة" في سياق جديد , مما

يكون له أثر في تبديل فحواه , وهو مايمكن أن يدعى أيضا "**recontexualizability**" "قابلية الوضع في سياق آخر" .

الكولونيالية (Colonialism): الظاهرة التاريخية المتمثلة بفتح الثقافات الأضعف وضمها أو إلحاقها كمستعمرات , سواء من أجل الإستطان (التوسع الجغرافي أبعد من منطقة أوروبا المزدحمة) , أو الاستغلال الاقتصادي , او كليهما (في العادة) , ويستخدم هذا المطلح أيضا للإشارة إلى الأثار الإيديولوجية النترتبة على هذه الممارسة والباقية في بنى الاعتقاد مابعد الكولونيالية كالإعتقاد مثلا بأن أوروبا أو "الغرب" أو"العلم الأول" هو مصدر الحداثة والمعرفة والثقافة جميعا , وأن كل مايأتي من المستعمرات السابقة لابد أن يكون بالضرورة شاحبا للتعبير الأوروبي أو رافضا متمردا له (وأقل قيمة إذا ما في الحالتين).

الإعتراف (Confession): في الكاثوليكية الرومانية , هو ذلك الخطاب الخصوصي بين الكاهن والشخص النادم , والذي يغدو السبيل الوحيد إلى الغفران , وعند فاينت رفاييل , هو مثال للكيفية التي تتوسط بها الترجمة بين الفتح والهداية , لأنها تقتضي "أن يعيد المتهدي صياغة ماضيه في سرد يدور حول الخطيئة والندم , ففي الإعتراف , يترجم تذكر المرء لماضيه إلى تلاوة لإخفاقاته المتراكمة"

الهداية (Conversion): يقول رفاييل, "تعني الهداية حرفيا تحويل شئء إلى شيء آخر, أما في إستخدامها الشائع , فتشير إلى عملية تحويل أحد ما إلة ديانة, أو ممارسة معينة , والهداية , شأن فتح , يمكن إذا أن تكون عملية عبور المرء منطقيا أو انفعاليا أو دينيا أو ثقافيا إلة مجال آخر وادعاء أنه مجاله الخاص"

الكريولية (Creole): لغة هجينة خلقت من اختلاط نحوي ومعجمي بين لغتين قائمتين , وغالبا من إختلاط لغة إمبراطورية ولغة أصلية محلية, وتطورت لكي تسهل التواصل بين المستعمر والمستعمر.

الكريلية (Creolization): العملية التي تخلق بها لغة جديدة هجينة من اختلاط لغات قائمة.

النسبسة الثقافية (Culture relativism): الاعتقاد بأن ما من ثقافة هي في جوهرها أفضل من أي ثقافة أخرى وأن معايير وقيم أي صقافة على وجه الأرض ليست "كونية" أو "إنسانية بطبيعتها".

تصفية الإستعمار (Deccolonization): العملية التريجية المتمثلة في بنقص آثار الإستعمار الضارة , خاصة عقدة الدونية الجمعية, أي إحساس المستعمرة السابقة بأنها أقل حداثة ,وتعليما ,وثقافة , وتحضرا من القوة الإمبراطورية السابقة , ويشير هذا التعبير في بعض الأحيان إلى الإجتثاث التام لكا أثار الكولونيالية , والعادة أن يفهم منه على نحو أكثر واقعية عملية تجاوز الإرث الكولونيالي , ودمجه في المستقل المتغير , لان الماضي لايمكنه إجتثاثه قط .

الإستبداد (Despotism): حكم طاغية أو مستبد أوحد , وقد ساد الإعتقاد طويلا في الغرب أن الإستبداد يمثل حاله نمطية في المجتمعات الآسيوية, وغالبا ما أستخدمت هذه النظرة "الإستشراقية", كما تبين تيجاسويني نيرانجانا في تبرير حكم المستعمرات الأسيوية حكما إستبداديا من قبل الأمم الأوروبية الديمقراطية في الظاهر.

الحوار (Dialogue): حديث طليق ومفتوح بين متساوين , وهو عند إيريك تشيفيتز , جوهر الديمقراطية ,الذي أخمده تراث الفصاحة الإمبراطورية .

الشتات (Diaspra): يستخدم هذا المصطلح في الدراسات مابعد الكولونيالية للإشارة إلى واقعة أن معظم الشعوب على الأرض أو جميعها قد أتت من مكان ما, وتعيش الأن في مكان آخر , وأننا قد تكيفنا جزئيا مع ظروفنا الثقافية الجديدة بتمثلنا معايير المحليين وقينهم وإمتزاج دماءنا بدمائم ,غير أننا احنفضنا جزئيا أيضا بما كنا عليه ذات مرة.

الخطاب (Discourse): في استخامه التقليدي هو متن من الكتابة أو الكلام يعتقد أنه منظم على نحو متماسك , كالخطاب الروائي , خطاب المجال السياسي , أما المنظر الفرنسي ميشيل فوكو , فقد حدده بصورة أضيق وأقوى لتوصيف متن مهيمن من الكتابة أو الكلام يحوز قدرة هائلة على صياغى فكر ومعرفة وذوات الشعب الذي يفكر ويعرف برسمه حدود مايمكن التفكير به ومعرفته , وبهذا المعنى الأخير لايكون الإستدعاء ممكنا إلا عبر وسائل خطابية , فالخطاب هو وظيفة ل "الهيمنة" تضمن ايضا بقاء اشتغالها خفيا , وغيرواع , فتبدوكأنها مجرد "حسن سليم"أو "فهم شائع"أو كأنها" الطريقة الطبيعية التي تعمل / تقال بها الأشياء".

الترجمة التوطينية (Domesticating Translation): مصطلح يستخدمه منظرو الترجمة من دعاة الإبقاء علة الطابع الأجنبي لوصف مايعتبرونه أسوا أنواع الترجمة , تلك الترجمة التي توطنالنص الأجنبي زندخنه بتمثله القيم الثقافية واللغوية الهدف , وكانت هذه الترجمة تدعى تقليديا باسم الترجمة"معنى مقابل معنى", كما تدعى الترجمه"التمثلية".

الفصاحة (Eloquence): هي القدرة على إقناع الأخرين ببلاغة مؤثرة, أي أنها قيادة لفظية, وعند إريك نشيفيتز, هي "التكنولوجيا" الحاسمى في السيطرة الكولونيالية على المجتمعات .

الإمبراطورية (Empire): ضم أمم ومناطق على مستوى سياسي كبير ووضعها في العادة تحت سيطرة أمه أو جماعة واحدة , لغايات الربح الإقتصادي و/أوالحمايةالعسكرية/السياسية.

الإثنوغرافيا (Ethnography): الدراسة الانثروبولوجية للشعوب (**Ethnoi** باليونانية) من خلال العيش معها, وفعل ماتفعل, وتعلم لغتها, وطرح الأسئلة عليها,الخ). وتلح الدراسات مابعد الكولونيالية جزئيا من إكتشاف الإنثووغرافيين المطرد أن ماكانوا يفعلونه هو في الإساس محاولة لترجمة كلمات شعوب العالم

الثالث وأفعالهم إلى لغات العالم الإول , وان ذلك قد كان متطورا من نواح متعددة مع المشروع الكولونيالي.

المركزية الاوروبية (Eurocentrism): بنية إعتقادية جمعية نشأت في أوروبا, وعبر نشر الكولونيالية في بقية العالمهامشه, أماالشكل الاعتى فهو المركزية الإثنية (أي الاعتقاد أن جماعة إثنية ماهي المركز) التي برزت في العقود الأربعة الأخيرة.

المجاز (Figuration):عملية التعبير عن شيء ما من خلال شيء آخر, وعلى سبيل المثال في العبارة He,s all heart , يعبر عن الشخص المشار أليه من خلال قلبه , الذي يعبر بدوره عن العطف والرحمة , الخ , وفي البلاغة التقليدية ,المجاز هوتحديد إحلال كلمة "مجازية" محل كلمة "صحيحة" أو معنى " صحيح" , ففي He,s all heart , على سبيل المثال , يتمثل المعنى الصحيح للقلب بتلك العضلة التي تضخ الدم , أما المعنى "المجازي" فهو "القدرة على الشعوربمشاعر الود", وفي البلاغة مابعد البنيوية , لم يفد واضحا ماهي الكلمة" الصحيحية" أو المعنى "الصحيح" وماهي الكلمة المجازية أو المعنى المجازي وصار ينظر الى تلك العملية التي تنسب معاني "صحيحة" و"مجازية" على أنها عملية إتماعية , قائمة على معايير وتحيزات ثقافية , وليست عملية متأصلة في الإشياء أو الكلمات ذاتها ,فأيهما الذي يأتي أولا ",أيهما المعنة "الأصدق" للقلب ,العضلة ام التعاطف؟

نزعة الإبقاء على الطابع الأجنبي(Foreignism): رؤية للترجمة مؤسسة على أعمال مفكرين ألمان مثل أ,و,فون شليغل, وفريد ريش شلايرماخر, وفالتلربنيامين, وأشد المدافعين عنها اليوم هو أنطون بيرمان ولورنس فينوتي , وهي ترى أن الترجمة "الجيدة" تحافظ دوما على أثر مهم من النص الأجنبي الأصل , ومع أنها ترتبط تاريخيا بالحرفية أو الترجمة نلمة مقابل كلمة , إلاأنها أقل جذرية من الحرفية في إلحاحها ليس على التمسك الدقيق بمعاني الكلمات المفردة في السلساة النحوية الأصلية ,بل على الاحتفاظ بنكهى الاصل في الترجمة.

الأسسية(Foundationalism): الاعتقاد الفلسفي بوجود أسس ثابتة للمعرفة مثل الله أو العقل أو الاصلاح الانساني أو الموضوعية العلمية أو الحقيقة, وعادة مايستخدم مابعد الاسسيين هذا المصطلح في الاشارة إلى خصومهم الفلسفيين.

التأويل الرباعي (Fourfold Interpretation): تقليد قروسطي في قراءة نصوص الكتاب المقدس وسواها على مستويات أربعة,أولها (1) "حرفي" , بوصفها تاريخيا, والثلاثة الأخر رمزية (2) المستوى الأخلاقي , بوصفها سبرا للخيارات المتنوعة التي نقوم بها في حياتنا اليومية ,(3) المستوى"الأليغوري", بوصفها قصص رمزية تشير إلى (وبذلك "تعني") القصص "الأشد أهمية فيالكتاب المقدس أو أوروبا المسيحية,(4) المستوى "الباطني", بوصفها تشير إلى الدراما الكونية, وماتشتمل عليه من فصول الخلق الإلهي , والخلاص, والقيامة.

الهيمنة(Hegemony): مصطلح طوره المنظر الإيطالي أنطونيوغرامشي ليشير إلى تحكم الإيديولوجيات غبر الواعي في مجتمع ما , والقيم والمعايير المسيطرة كما تنقل عبر اللغة (عبر "الخطاب") , والمسلك,والملبس, الخ, ولذلك ,فإن ماهو " مهيمن" يكون منقولا عبر أقوى القوى الموجودة في المجتمع , إنه ما تريد القوى القائمة (وهي ليست البشر,مع أنها تنقل عبر البشر ,خاصة الذين في السلطةمثل الأهل,المعلمين,الكهنة,الخ) من كل فرد يعتقد به ,ومايريد لكل فرد أن يسلكه,الخ.

التهجين (Hybridization): عملية اختلاط الاعراق, والجماعات الإثنية ,والثقافات ,واللغات مع بعضها بعضا,وهذه العملية يعتبرها الطرانيونضارة,هي عملية يعتقد المنظرون مابعد الكولونياليين أنها مصدر غني للمجنمع البشري.

سياسات الهوية(Identity Polities): المفاوضات العملية /السياسيةالمتعلقة بهوية جماعة ما أو طبيعتها , والتي تنطوي في العادةعلى ضرب مامن تلاحم هذة الجماعة(بحيث يمكن القول من الذي ينتمي إليها ومن الذي لا ينتمي), وعادة

ماتقتضبي وجود أسطورة أو قصة تتعلق بالأصول (بحيص يمكن تتبع تاريخ هذه الجماعات وصولا إلى حدث نوعي أو سلسلة من الأحداث).

الإمبريالية (Imperialism): ظاهرة تتمثل بفتح عدد من البلدان أو المناطق واحتلالها وحكمها بغية تشكيل امبراطورية, وهي أيضا ذلك الاعتقاد بأن البلد الجماعة الحاكمة أو "الامبراطورية" أرقى بطبيعتها من الأمم الخاضعة ومقدر لها تاليا أن تحكمها.

الأصلية (Indigeneity): كون المرء أصليا أو من منطقة أو ثقافة أو بلد معين من الأصل, وغالبا ماتكون خاضعة في المستعمرات الاستطانية , لأساطير ثقافية أو بناء ثقافي.

البينثقافية (Interculturality): الوجود بين الثقافات, واظهار الولاء لثقافتين أو أكثر . وغالبا ما تستخدمها الدراسات مابعد الكوليانبة في الاشارة إلى حالة مرغوب فيها تتواجد أكثر ماتتواجد في المناطق الحدودية, وبين الجماعات المهاجرة والشتاتية , وبين المترجمين.

الاستدعاء (Interpellation): مصطلح سكه المنظر الماركسي الفرنسي لوى ألتوسر للإشارة إالى العملية التي تشكل من خلالها"أجهزة الدولة الإيديولوجية" أو المؤسسات المهيمنة في المجتمع ذاتيه أعضائه إيديولوجيا أو خطابيا . فمن خلال "استدعاء" أو "مناداه" شخص, أو جماعة ما , بوصفها"خاضعين كولونياليين" على سبيل المثال, تجعل القوة الكولونيالية هذا الشخص أو تلك الجماعة خاضعة للقوة الكولونيالية وتستخدم تيجاسويني نيرانجانا هذا المصلح في وصف عملية الاستدعاء أو "مناداه" الهنودبوصفهم غامضين بدائيين ,لايعتمد عليهم, وأفاكين , الخ, من قبل المستعمرين البرطانيين, ونظر الهنود إلى أنفسهم على نحو يثبت الصور النمطية البريطانية, فمن خلال"إخضاع ذواتهم",بدأ الهنود عمليا بالامتثال لتك الصور.

الإنسانوية الليبرالية (Liberal Humanism): الايديولجية الأوروبية السائدة في القرون الثلاثة أو الأربعة الماضية , والتي ترى أن البشر جميعا خلقوا متساوين , ولهم حقوقهم متساوية ثابتة في الحياة , والحرية , والتملك, وغالبا ماينتقد المنظرون مابعد الكولونياليين هذه الايديولوجيا بوصفها كونية لكنها لم تطبق على مستوى كوني حتى من قبل أولئك الذين يؤمنون في الظاهر بكونيتها , فالمستعمرونالأوروبيون ذوو صيت , على سبيل المثال , في عدم توسيع الحقوق الانسانوية في المساواة والحرية بحيث تطول الشعوب المستعمرة , في الخارج,أو الاقليات (النساء , الملونين) في الداخل .

الحرفي (Literal):في البلاغة يشير إلى المعنى "الصحيح"أوالأساسي أو "الواضح" لكلمة ما,في الترجمة,يشير إلى التمسك الدقيق بمعناني الكلمات المفردة والتسلسل النحوي للنص المصدر , وفي التأويل الرباعي , تشير إلى المستوى التاريخي لنص ما.

الثقافة المولدة (Mestiza Culture): الثقافة الهجينة الناشئة عن توليد العرقي أو "الاثني", والتي سميت على المصطلح الامريكي اللاتيني على الذييطلق على الاشخاص الناجمين عن اختلاط الدماء الإسبانية والأمريكية الأصلية .

الثقافة المهاجرة (Migrant Culture): ثقافة الجماعات التي لاتنى تنتقل , كالعمال الزارعيين المهاجرين والرومانيين أو الغجر.

الذوات المهاجرة (Migratory Subjectivities): مصطلح اطلقته كارول بويس ديفيز على ذهنية البشر الذين ينتقلون على الدوام ممن يتحركون بأنفسهم, أو من الذين ولدوا لجماعة تتحرك أو تحركت عبر الحدود القومية أو الثقافية.

الحداثوية (Modernism): مرحلة في تاريخ الفن تغطي بصورة تقريبية من أوائل القرن العشرين حتى أواسطه, خاصة في أوروبا , وهي تقتصي في صورتها النمطية أشكالا متشظية, وانحلالا للسرد والشخصية والصوت التقليدي في الأدب وانهيار

النزعة التمثلية في الفن , فضلاعن النزوع اللعوب الذي غالبا مايكون كلبيا أو يائسا, وهي تنطبق أيضا على الثقافةأو المجتمع عموما , خاصة في الصور السلبية التي تلتقط التغيلر التكنولوجي بالغ السرعة ("صدمة المستقبل") والتمدين, و"تلاشى" أو حتى أفول الفرد.

الحداثة (Modernity): حالة ثقافية تقرن بالتقدم التاريخي والابتداع وتنسب في العادة إلى المراكز الإمبراطورية, وخاصة أوروبا والولايات المتحدة ,أما المنظرون مابعد الكولونياليين فيلحون بصورة متزايدة على أن التجربة الحداثة تنشأعمليا من تجربة الكولونيالية والتدفقات من الهوامش باتجاه المراكز.

الأحادية الثقافية (Monoculturalism): الاعتقاد بأن ثقافة ما ينبغي أن تكون أحادية وليست متعددة, موحدة وليست متنوعة,وأن الوحدة والتماسك ينبغي الحفاظ عليهما من خلال إقصاء أو تمثل (أو كليهما) أولئك الذين يعتبرون"مختلفين".

التعددية الثقافية (Multiculturalism): الاعتقاد بأن التنوع من طبيعة كل ثقافة , وأنه مصدر غنة يجب تعهده بالرعاية بدل اعتباره نوعا من النجاسة التي ينبغي اجتثاثها.

القومية (Nationalism): الاعتقاد بأن جميع أعضاء جماعة ما , خاصة على النحو الذي تحددها به الحدود الجغرافية السياسية الحالية أو رالتاريخية, يمتلكون تراثا مشتركا معينا (خلفية وراثية أو عرقية , تاريخ ' إيديولوجيا. ثقافة , لغة,الخ), وأن (أ) أولئك الذين يبدون "داخليين"أو منتمين" في الظاهرلكنهم لايمتلكون تلك الخصائص المشتركة يجب إستئصالهم, او تهجيرهم,أو تجريدهم من حق الاقتراع وغيره من الحقوق السياسية ,(ب) كل تأثير أجنبي في الماضي والحاضر, والمستقبل , هو تأصير مؤذ ويجب صده أو مقاومته ,(ج) أي خلائط أو هجائن عرقية ' أو أثنية,أو ثقافية,أو لغوية هي ضروب من النجاسة ينبغي التخلص منها.

المحلية (Nativism): الاعتقاد بأن السكان " المحليين " أو الاصليين في منطقة ما أنقياء لم يداخلهم الفساد قبل وصول الأجانب الذيم دمرو الفردوس المحلي الأصلي, وغالبا ما تكون المحلية مرتبطة بشكل وثيق بالقومية السياسيةوالاصول الدينية , حيث يتطلع إلة التطهر من كل تأصير أجنبي واستعادة النقاء الأصلي.

الكولونيالية الجديدة (Neocolonialism): شكل من السيطرة الاقتصادية على بلد من قبل بلد آخر دون فتح صريح أو احتلال , وعادة مايتم ذلك من خلال فاعلية الشركات الكبيرمتعددة الجنسيات , فبشراء الأرض التي يقوم عليها اقتصاد الفلاحين الزراعي الكافي أو الاقتصاد التبادلي , تخلق الشركات اقتصادا ماليا تابعا لهل في عمالته, ودخله, ومرافقة الحديثة المتعددة (الصرف الصحي,الكهرباء,الخ).

الاستشراق (Orientalism): فرع معرفي أكاديمي تطور في الغرب لدراسة الشرق ,خاصة اللغات والأدب العربية , بعد نشر كتاب ادوارد سعيد الاستشراق في العام 1978, حيث يحلل الدور المركزي الذي لعبه الاستشراق في الدوائر مابعد الكولونيالية مرادفا للذهنية المركزية الاوروبية الكولونيالية , والاسقاط الأوروبي ل "شرق" مقرون ألى البدائية الغامضة ويحتاج إلى أن يرقيه "غرب "يرقيه" غرب" حديث" و"عقلاني".

الهامش (Periphery): هو مصطلح مستمد من استعارة جغرافية لكي تستخدم في الاشارة إلى قوة سياسية وثقافية , بحيث يكون البلد أو المنطقة أو المدينة التي تتركز فيها السيطرة الواسعة والفاعلة على منطقة أوسع هي "المركز" والمناطق القصية, أو الاماكن الأقل قوة هي الهوامش.

مابعد الكولونيالية (Post colonialism): حالة ثقافية أو متعلقة بالدراسات الثقافية الناجمة عن تجربة الكولونيالية وما أعقبها, وهي تعنى بمشكلات هوية الجماعة كما تنعكس في اللغة , الثقافة,القانون ,التعليم , السياسة , الخ , وهي

ميالة إلى جميع ضروب التنوع , وترتباتبالحلول المبسطة القائمة على فكرة النقاء والتي تطرح لحل مشكلات معقدة .

مابعد الأسسية (Postfoundationalism): الاعتقاد الفلسفي بأن ما من أسس قائمة للمعرفة ,مايجعل من المعتذر "الوقوف"في "مكان" ما ومسح العالم بطرائق يمكن التعويل عليها, وهي نزعة نسبيةراديكالية تقوم على قناعة بأن الواقع في حالة تدفق دائم , بحيث بأن مابدا صحيحا البارحة قد لايكون صحيحا اليوم (وسيبدوا سخيفا ومنفيا للعقل غدا) , وتشير السابقة "مايعد" ليس الى نهاية الاسس (كما لو أنها وجدت ذات مرة لكنها لم تعد موجودة الأن) بل إلى نهاية الفلسفات الأسسية.

مابعـــد الحداثوية (Postmodernism): بالمعنى المرادف لما بعد الكولونيالية, اعتقاد بأن البحث القومي عن النقاء العرقي أو الإثني أو الثقافي أو اللغوي هو بحث مخل ومجحف شأن المشاريع الكولو نيالية التي يقامها, بل وينشأ عنها في الواقع, ومع أن صرعات سياسات الهوية مابعد القومية ومعضلاتها التي لم تلق حلا تجعل من المعتذر تحديد البنية الاعتقادية لدى مابعد القومية ذلك التحديد الدقيق, إلا أنها تقتضي في العادة إيمانا برسوخ وأهمية التنوع الثقافي من كل صنف.

مابعد البنيوية (Poststructuralism): سلف البنيوية الغالب , الذي تطور نموذجا تحليليا لدراسة الفن , والثقافة, والمجتمع , انطلاقا من الألسنية البنيوية لدى فرديناند دي سوسور , ولقد ولدت مابعد البنيوية في فرنسا في ستينات القرن العشرين انطلاقا من أعمال جان لاكان, وجاك ديريدا , وميشيل, فوكو, وجوليا كريستسفا وغيرهم, حيث استكشف هؤلاء ,ضروب التعقيد الهائلة التي تنطوي عليها الحدود الوسطى التي كانت ثنائيات البنيوية الصارمة قد أقصتها .

تباينات القوة (Power Differential): مقياس للفوارق في القوى السياسية والثقافيه بين أي ثقافتين, وتباينات القوة يمن أن تكون متقاطعة , ففي روما

الجمهورية , مثلا,كان اليونان أضعف سياسيا لكنهم كانوا يعتبرو أن نطاق واسع أقوى ثقافيا .

الصحيح والملكية ((Proper(ty)): يرى إيريك تشيفيتز أن معاني كلمة « proper » تعمل في تاريخ البلاغة أو الفصاحة كما تعمل « property » في تاريخ استعمال الأرض , بحيث تحدد ماهو ثابت , ومشروع , ومألوف , ومقبول اجتماعيا, أما الاستعارة « metaphor » أو "المجاز" « figuration » ونسيبتها اللاتينية " الترجمة" « Translation» فتقوم على التطوف بعيدا عن الصحيح في منطقة الغريب والأجنبي, وفي البلاغة . « proper » مرادف "للحرفي" .

التمثيل (Respresentation): في الفلسفة صورتع شيء أو شخص , غالبا ماتخلط مع الشيء ذاته أو مع الشخص ذاته .

البلاغة (Rhetory): ذلك النشاط المتمصل بإقناع الأخرين من خلال الكلمات , مقطع من نص أو خطاب ينطوي على محاولة للتأثي عبى الجمهور.

الكبت (Repression): هو عند فرويد تلك العملية التي " تقمع" فيها وتخفة عن أنظار الوعي تلك المادة اللاواعية غير مقبولة لدى المعايير الاجتماعية .

التقطيع (Segmentation): القضية الحاسمة في قضية الترجمة السائدة في تاريخ الغرب , وتقوم على جدال حول "القطعة" النصية التي يجب أن تتم ترجمتها بتمامها قبل الانتقال إلى مايليها , فإذا ماكانت هذه القطعة هي الكلمة , كانت النتيجة هبي الترجمة "معنى مقابل معنى" ويرى بعض الباحثين أن الجملة ذاتها هي الأقصر من أن تكون قطعة نصية مناسبة للترجمة الغاعلة ويعتبرون أن القطعة الملائمة هي النص كله.

الترجمة معنى مقابل معنى (Sense-for-sense Traslation): نظرية الترجمة الغربية السائدة التي ترى أن علة المترجم أن ينقل ليس معنى الكلمات المفردة بل الجمل الكاملة , وكان أول من سك هذا المصطلح هو جيروم في رسالة

إلى باماخيوس (395م) , قياسا على مفهوم شيشرون الخاص بالترجمة " كلمة مقابل كلمة" قبل أربع قرون ونصف,

المستعمرة الاستطانية (Settler Colony) : وتدعى ايضا "المستعمرة الاستطانية البيضاء" , مستعمرة مؤلفة من مستوطنين من البلد المستعمر .

التابع (Subaltern): شخص أو جماعة مسيطرعليها من قبل جماعة أخرى وتحمل بين تعبيراتها الثقافية والصور التي تقدمها عن ذاتها أثارا باقية من تلك السيطرة.

التصعيد (Sublimation): مصطلح من التحليل النفسي لفرويدي يشير إلى أن تقنية "و"إعلاء" أفكار أو سلوكات غير مقبولة اجتماعيا من خلال تحويلها إلى أفكار أو سلوكات مقبولة تحمل ذات " الشحنة " أو الطاقة النفسية , ومثال ذلك العمل الشاق كتصعيد للدافع الجنسي .

التوفيقية الثقافية (Syncretism) : حالة الثقافة "المختلطة" التي تعتبر حالة نمطية في الثقافات مابعد الكولونيالية , بحيث تحتوي على أفكار , وكلمات , وعبارات , وسواها من التعبيرات الثقافية , والبشر من ثقافات أصلية ومستوطنة وخلائط متعددة من كل ذلك , ويرى الباحثون مابعد الكولو نياليين أن التوفيقية الثقافية هي واقع راهن بدلا من السعي , كما يفعل القموميون, ‘الى إجتثاث جميع آثار الاستعمار بحثا عن جوهر ماقبل كولونيالي "نقي" .

التاريخ الغائي (Teleological Signified): تصور للتاريخ قائم على اسطورة أو سرد عن " الترقي" التقدمي من ماض بائس أو أقل تطورا إلى مستقبل مرغوب أو أكثر تطورا , يبلغ ذروته في غاية طوباوية .

المدلول المتعالي (Transcendental Signified): معنى مستقر وثابت يقف خارج التاريخ فلا يعتريه التغيلر قط . مثل الله , الحقيقة , الخير , الخ وتشير إليه جميع المدلولات الأخرى كما يعتقد أفلاطون وأغسطين ومعظم الثقافة الغربية .

قابلية الترجمة (Translatability): قدرة كلمة , أو عبارة , او نص على أن تترجم إلى لغة أخرى , وغالبا ما تؤكد هذه القدرة أو تنفى لأسباب سياسية أو إيديولوجية , كما يحصل حين ينظر إلى مفاهيم أو نصوص شعب مستعمر على أنها تقبل الترجمة بسهوله إلى لغة المستعمر (وهي عملية تشتما على تمثل الإختلافات الثقافية والمفاهيمية تبعا لمعايير ثقافة المستعمر , انظر ماتقوله نيرانجانا عن ترجمة وليم جونز القوانين الهندية إلى الإنجليزية) أو يحين ينظر إلى مفاهيم ونصوص المستعمر على أنها لاتقبل الترجمة إلى لغة المستعمر (في محاولة لصد تمثل الاختلافات الثقافية والمفاهيمية تبعا لمعايير الثقافة المستعمر , انظر مايقوله رفاييل عن "عدم قابلية الترجمة " بالنسبة للكلمات القشتالية Jesucristo.Dois إلى التاجالوجية).

ترجمة المعرفة والإمبراطورية (« Translatio Studii et Imperii ») : النظرية القديمة التي مفادها أن كل من المعرفة والسيطرة الإمبراطورية على العالم ينزعان إلى الانتقال نحو الغرب.

الكونية (Universalism): الاعتقاد بأن قيما ,أو معايير , أو سلوكات معينة صحيحية كونيا , أو"طبيعية"أو "إنسانية في جوهرها , وغالبا ماشارات النظريات مابعد الكولونيالية إلى كونية الإنسانوية الليبيرالية الأوروبية في القرون الأربعة وذلك لتذكير القارئ بأن القيم الأوروبية هي في الواقع نسبية ولاتبدوا كونية إلا بسب تاريخ السيطرة الإمبراطورية الأوروبية.

الترجمة كلمة مقابل كلمة (Word-for-word Tranlation): طريقة الترجمة الحرفية القديمة التي كان شيشيرون قد هاجمها في منتصف القرن الأول وتقوم على الالتزام الدقيق بمعاني الكلمات المفردة وتسلسلها في النص المصدر .

الملحق الثاني: رسالتي إلى مؤلف الكتاب ورّده عليها بتاريخ 2014/05/18

yacine mohamed Belguendouz <belguendouz.yacine@gmail.com> 17/05/2014

À Doug

Dear Douglas,

Thanks for accepting to help me in doing my research, I appreciate it tremendously. My questions are as follows:

What was your aim behind writing Translation & Empire?
What are the books that help you to do it?
If u can summarize it in a few lines, what would you say?
What is the conclusion you obtained after writing it?

Thank you

Sincerely

Yacine Belguendouz

Doug Robinson
2 cercles
Afficher les détails

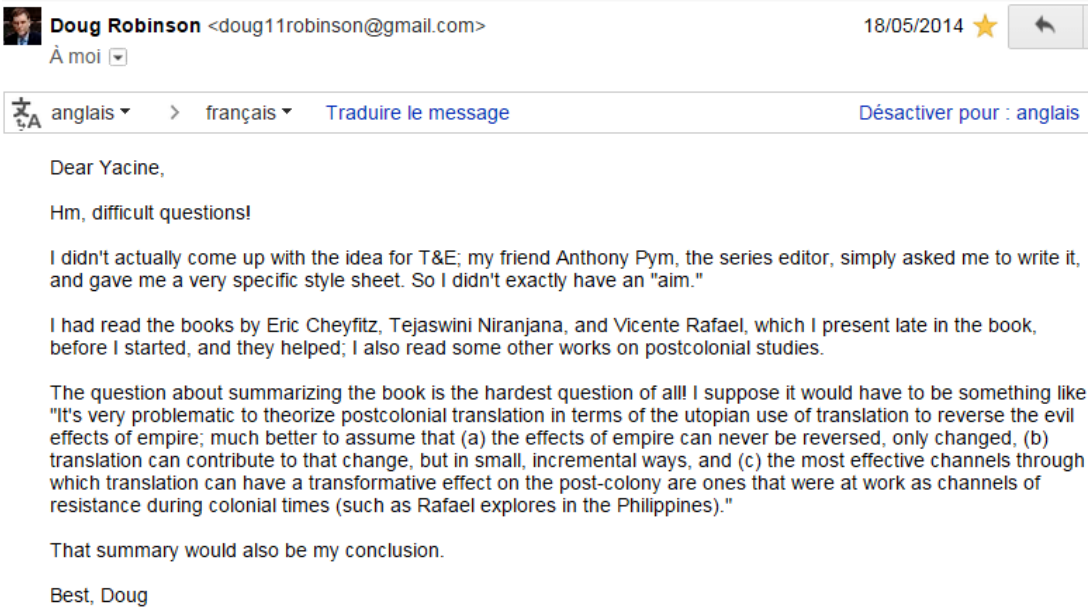

Doug Robinson <doug11robinson@gmail.com> 18/05/2014

À moi

anglais › français Traduire le message Désactiver pour : anglais

Dear Yacine,

Hm, difficult questions!

I didn't actually come up with the idea for T&E; my friend Anthony Pym, the series editor, simply asked me to write it, and gave me a very specific style sheet. So I didn't exactly have an "aim."

I had read the books by Eric Cheyfitz, Tejaswini Niranjana, and Vicente Rafael, which I present late in the book, before I started, and they helped; I also read some other works on postcolonial studies.

The question about summarizing the book is the hardest question of all! I suppose it would have to be something like "It's very problematic to theorize postcolonial translation in terms of the utopian use of translation to reverse the evil effects of empire; much better to assume that (a) the effects of empire can never be reversed, only changed, (b) translation can contribute to that change, but in small, incremental ways, and (c) the most effective channels through which translation can have a transformative effect on the post-colony are ones that were at work as channels of resistance during colonial times (such as Rafael explores in the Philippines)."

That summary would also be my conclusion.

Best, Doug

المراجع

المصادر: مدونة البحث

1- Robinson Douglas, Translation and Empire, Postcolonial Theories Explained, St. Jerome Publishing, Manchester, Uk, 1997.

2 – روبنسون دوغلاس ، الترجمة والإمبراطورية، نظريات ما بعد الكولونيالية مشروحة، ترجمة ثائر ديب، الطبعة الثانية، دار الفرقد، سوريا، 2009.

المراجع:

أولا: الكتب

أ- باللغة العربية

1- الإبراهيمي أحمد طالب، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

2- مجموعة مؤلفين، خطابات الـ"ما بعد" في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013.

3- سعيد إدوارد: طائر القدس المهاجر، إعداد وتوثيق مازن يوسف صباغ، مقدمة أحمد برقاوي، ط1، دار الشرق للطباعة والنشر، سوريا، 2006.

4- بيوض إنعام، الترجمة الأدبية، مشاكل وحلول، دار الفارابي، بيروت، 2003،

5- الشيال جمال الدين، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000.

6- جابر جمال محمد، منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق: النص الروائي نموذجا، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2005.

7- حنفي حسن، مقدمة في علم الاستغراب، منشورات مجد، بيروت، 2000.

8- حنفي حسن، الجابري محمد عابد، حوار المشرق والمغرب، دار رؤية، القاهرة، 2005.
9- بحري حمري، الرجم بالكلام، مقالات في الثقافة والسياسة والفكر، إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003.
10- العيسى سالم، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، تاريخها – تطورها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
11- الخوري شحادة، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، تونس، 1988.
13- مسدي عبد السلام، السياسة وسلطة اللغة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007.
14- الغذّامي عبد الله، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.
15- جعفر عبد الوهاب، البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، 1989.
16- عبود عبده، هجرة النصوص: دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.
17- سامي علي وآخرون، الترجمة والثقافة بين النظرية والتطبيق، حلقة بحثية، الجزء الثاني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009.
18- خليل عماد الدين، الوجه الآخر للغرب، ط.1، دار الرسالة، بيروت، 1997.
20- المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، دار الهدى، الجزائر، 2007.
21- بيومي محمد أحمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
22- ولد خليفة محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
23- عناني محمد، نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، مصر، 2003.

25- الرويلي ميجان والبازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002.

ب- المترجمة

1- سعيد إدوارد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، تذييل طبعة 1995، دار رؤية، القاهرة، 2006.

2- الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، 2004.

3- غينتسلر إدوين، في نظرية الترجمة: إتجاهات الترجمة المعاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

4- درمنغم إميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط.2، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، 1949.

5- ليفيفر أندريه، الترجمة التاريخ الثقافة، ترجمة أحمد مومن، دار الألمعية، الجزائر، 2011.

6- كينج أنطوني، فضاءات الثقافة، فضاءات المعرفة، ترجمة شهرت العالم، وهالة فؤاد، ومحمد يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.

7- لومبا أنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، 2007.

8- مونان جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة لطيف زيتوني، المنتخب العربي، بيروت، 1994.

8- براجوغينا سفيتلانا، حدود العصور حدود الثقافات: دراسة في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، ترجمة ممدوح أبو الوى وراتب سكر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.

9- باسنيت سوزان، الأدب المقارن، ترجمة أميرة نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999.

10- دراسات الترجمة، ترجمة وتقديم فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012.

11- كارودي روجي، من أجل حوار الحضارات، ترجمة زقاق قرقوط، ط.1، دار النفائس، بيروت، 1990.

12- غوتة يوهان فولفغانغ، النور والفراشة، رؤية غوتة للإسلام وللأدبين العربي والفارسي مع النص الكامل للديوان الشرقي، تعريب عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا- بغداد، 2006.

ج- باللغة الإنجليزية

1- Nida Eugene A. and Charles R. Taber, The Theory and Practice of Translation, 2nd edition, United Bible Society, Netherland, 1982.

2- Munday Jeremy, Translation Studies, Routledge, London, 2001.

3- Giaber Jamal Muhammad, Translation Across Cultures, Academy Publishing House, Tripoli, 2005.

4- Baker Mona, In other words, A Course Book on Translation, Routledge, London , 1996.

5- Young Robert J. C., Postcolonialism: a Very Short Introduction, Oxford University Press, New York, 2003.

6- Shohat Ella, Notes on the "Post-Colonial, Social Text, No. 31/32, Third World and Post-Colonial Issues, Duke University Press, 1992.

7- Larocque Emily, Translating Representations: Orientalism in the Colonial Indian Province of Bengal (1770s-1830s).

8- Venuti Lawrence, The Translator's Invisibility, A History of translation, Routledge, London, 1995.

9- Bassnett Susan and Lefevere André, Post-colonial Translation, Introduction, Routledge, London, 1999.

د- باللغة الفرنسية

1- Berman Antoine, L'Epreuve de l'étranger, Culture et Traduction dans l''Allemagne Romantique, Gallimard, Paris, 1995.

2- Lombez C. et Kulessa R. Von, De la Traduction et des Transferts Culturels, L' Harmattan, Paris, 2007.
3- Mew Evelyn Kee, La traduction Post-coloniale: Le cas de Maurice, Université de Provence – France, 2009.
4- De Saussure Ferdinand, Cours de Linguistique Générale, Talantikit, Béjaia, 2002.
5- Fanon Frantz, Les Damnés de la Terre, ENAG, Alger, 2011, p.8.
6- Vinay J.-P., Darbelnet J., Stylistique Comparée du Français et de l'Anglais, Didier, Canada, 1977.
7- Espagne Michael, Les Transferts Culturels Franco-allemand, Presses Universitaire de France, Paris, 1999.
8- Oustinoff Michaël, Que Sais-je, La Traduction, Presses Universitaire de France, 3éme Edition, 2009.
9- Bourdieu Pierre, Forschen und Handeln, Recherche et action, J. Jurt, Freiburg, Rombach, 2004.
10- Eco Umberto, Dire Presque La Même Chose, Tr. Myriem Bouzaher, Grasset, Paris, 2003.

ثانيا: المعاجم والموسوعات

1- علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
2- Ryan Michael, The Encyclopedia of Literal and Cultural Theory, Literary Theory from The 1900 To 1960, Literary Theory from 1966 to Present Cultural Theory, Vol. I, II & III, Wiley Blackwell, UK, 2011.

ثالثا: المجلات و الدوريات

أ - باللغة العربية

1- الوزير زيد بن علي، كيد الترجمة: الإستعمار، مجلة المسار، العدد11، 2003.

2- الغامدي منصور بن محمد، تأثير تدريس اللغة الإنجليزية على ثقافة التلاميذ ولغتهم الأم في المرحلة الابتدائية، 2003.
3- ثنيو نور الدين، قراءة وكتابة تاريخ الاستعمار في لحظة ما بعد الكولونيالية، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 33، 2012، الجزائر.

ب - باللغة الإنجليزية:

1- Pydah Meena, The Language of Discord in The Novels of Ngugi Wa Thiong'o, International Journal of English, Language, Literature and Humanities, Vol. 1 Issue 4, 2014.

2- Asante-Darko Kwaku, Language and Culture in African Postcolonial Literature, Volume 2 Issue 1, Purdue University Press, National University of Lesotho, 2000, p.2.

خامسا :المواقع الإلكترونية

حمداوي جميل، نظرية ما بعد الاستعمار
/http://www.alukah.net/publications_competitions/0/39097
Harish Trivedi, Translating Culture vs. Cultural Translation, a lecture in University of Iowa, 2005. http://iwp.uiowa.edu/91st/vol4-num1/translating-culture-vs-cultural-translation

سادسا: الرسائل

1- Dijk MA Marthe, the Translation Problems of African Literature, MA English Language And Culture Master's Programme Translation Studies, Utrecht University, Germany.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء.....	2
مقدمة	3
مدخل	9
أولا: النظرية ما بعد الكولونيالية: المصطلح والمفهوم.....	12
ثانيا: مقاصدها وأسسها النقدية.....	16
ثالثا: أهم روادها.....	19
رابعا: الاستشراق والخطاب الكولونيالي.....	22
خامسا: تقويمها.....	25
الفصل الأول: الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية الأدبية	32
المبحث الأول: الأيديولوجيا في الأدب الروائي	34
أولا: الأيديولوجيا في الأدب.....	34
ثانيا: الأدب ما بعد الكولونيالي.....	40
ثالثا: ترجمة الرواية العربية إلى اللغات الكولونيالية.....	49

المبحث الثاني: الترجمة والنظرية ما بعد الكولونيالية 53

أولا: الترجمة في سياق كولونيالي..... 54

ثانيا: الأجندة السياسية للترجمة..... 58

ثالثا: الترجمة في سياق ما بعد كولونيالي..... 61

رابعا: الترجمة كإعادة الكتابة 65

خامسا: استراتيجيات الترجمة ما بعد الكولونيالية..... 69

الفصل الثاني: دراسة وصفية تحليلية لكتاب "الترجمة والإمبراطورية"

المبحث الأول: دراسات الترجمة والتاريخ الكولونيالي 80

أولا: النظرية ما بعد الكولونيالية وعلاقتها بدراسات الترجمة..... 80

ثانيا: تاريخ نظرية الترجمة قبل ظهور دراسات ما بعد الكولونيالية..... 85

ثالثا: دور الترجمة في سياقات كولونيالية في الماضي..... 90

المبحث الثاني: دراسات الترجمة ما بعد الكولونيالية في الوقت الراهن 97

أولا: معالم هذه الدراسات في الحاضر..... 97

ثانيا: دور الترجمة في سياقات ما بعد كولونيالية في المستقبل ... 102

ثالثا: تقويم نظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية..... 107

الفصل الثالث: دراسة تحليلية ونقدية لترجمة كتاب "الترجمة والإمبراطورية"

المبحث الأول: التعريف بالمدونة والمؤلف والمترجم 117

أولا: تقديم المدونة..... 117

ثانيا: المؤلف دوغلاس روبنسون..... 119

ثالثا: المترجم ثائر ديب..... 122

المبحث الثاني: تقويم الترجمة 124

أولا: الترجمة الحرفية..... 124

ثانيا: أخطاء النحو والربط والترقيم..... 129

ثالثا: الاقتراض..... 136

رابعا: استخدام مقاربة فينوتي..... 144

خاتمة 150

مسرد المصطلحات..... 153

الملاحق

1- مصطلحات المدونة..... 155

2- رسالة المؤلف..... 169

المراجع..... 170

فهرس..... 176